ذات الثوب الأبيض

ويلكي كولنز

مطبوعات
كتابي
يصدرها حلمي مراد

١٠ قروش



ويلكي كولنز

ذات الثوب الأبيض



THE WOMAN IN WHITE

مجموعة ((كتابى))

(الكتاب الشهرى لتلخيص الكتب العالمية)

صدر منها حتى الان اثنان وعشرون كتابا ، يضاف اليها كتاب جديد أول كل شهر .. وفيما يلى قائمة الكتب التى صدرت :

« خطايا الحب » وكتب أخرى . « قلب عذراء » . « الهاربة من الجنة » . « حواء الجديدة » . « أحدب نوتردام » . « جريمة حب » . « عشيقة نابليون » « مذكرات كيوبيد » . « صنم تحطم » . « حديقة الله » . «عندما تحقد المرأة» « لعبة الحب والموت » . « توبة خاطئة » . « أيها الربيع ترفق » . « الشيطان على الارض » . « ليدى هاملتون » . « الارملة المرحة » . « حياة جورج صاند» « حياة سارة برنار » . « رباعيات عمر الخيام » . « حياة بتهوفن » . « حياة موسولينى »

وتطلب من ادارة كتابى ١٤ شارع فؤاد الاول بالقاهرة ، وثمن كل عدد ١٠ قروش خالص اجر البريد (المسجل) ، ماعدا الاعداد الاربعة الاولى والعدد السادس فقد نفدت ، وما عدا الاعـداد الممتازة ١٣ ، ١٦ ، ٢٠ ويزيد ثمن كل منها قرشين .. وترسل القيمة باسم صاحب المجلة شخصيا باذن بريد عادى (فى مصر والسودان) ، وفى الخارج بشيك على بنك او حوالة بريدية عن طريق مكاتب البريد Money Order ولا تقبل العملة الاجنبية ولا اذونات البريد الخارجية .

مطبوعات

كتابى

ملاحق خاصة تصدر عن ((كتابى)) فى المناسبات ، متضمنة ترجمة كتاب طويل كامل من الكتب العالمية الممتازة ، القصصية وغير القصصية ، فى كل موضوع ، لاعظم المؤلفين

يصدرها : حلمى مراد

الادارة : عمارة الجندول ــ ١٤ شارع فؤاد الاول بالقاهرة
تليفون ٦٥٦٠٨

الكتاب الثانى

ترجمة : الاستاذ محمد بدر الدين خليل

قصة ذات هدف ..

عزيزى القارىء ..

◆ من أبلغ ما طالعته عن العالم النفسانى « روبرت هول » أن رجلا شحيحا من عباد المال زاره يوما ليستشيره فى أمر .. فاخرج « هول » من جيبه قطعة نقود فضية ، ثم فتح كتابه الدينى وأشار الى كلمة « الله » سائلا زائره : « أترى هذه الكلمة ؟ » .. فأجابه : « بلا شك ! » .. وعندئذ وضع هول قطعة النقود على الكلمة بحيث غطتها تماما ، ثم اعاد السؤال : « هل تستطيع أن تراها الآن ؟ » .. ولم تكن بالرجل حاجة الى الجواب !

◆ ويؤثر عن « ملك الكبريت » السويدى (ايفار كروجر) - الذى غش رجال المال فى الولايات المتحدة وحدها فى سنة ١٩٢٠ فى نحو ٢٥٠ مليون دولار ، عن طريق السندات المزيفة والتصريحات المالية المنطوية على التدليس ! انه عاش الاربع عشرة سنة الاخيرة من حياته ينفق على نفسه ثمانية ملايين دولار سنويا ! .. وبرغم عزوبته كانت له سبعة مساكن فى المدينة وثلاث ضياع ريفية وعدة يخوت بحرية ..! الخ فهل وجد فى ذلك السعادة المنشودة وسكينة النفس؟ .. كلا ، بل انه حين استبد به الضيق بالحياة فى سنة ١٩٣٢ عمد الى الانتحار أثناء اقامته بباريس !

◆ لكن الانسان لا يكف مع كل هذه الامثلة التى تتوالى عليه كل يوم ، عن عبادته للمال وتقاتله فى سبيله .. ولو تتبعت اسباب الجرائم التى تزخر بها أعمدة الصحف كل يوم ، لوجدت حب المال والتهالك عليه فى مقدمة هذه الاسباب ! .. بل لقد سجل المؤتمر الدولى لمكافحة الجريمة الذى عقد فى القاهرة فى الاسبوع الماضى أن المال ما يزال فى القرن العشرين كما كان منذ الازل : أصل كل الشرور !

◆ والقصة التى أقدمها اليك فيما يلى من أروع واخلد القصص الانسانية التى تصور الصراع الرهيب - فى سبيل المال - بين عواطف الحب والبغض ، والطمع والندم ، والخير والشر .. الصراع الى حد الجريمة ،التى تقود بدورها الى جرائم! وجرائم ضد من ؟ ضد أقرب امرأة الى المجرم واحوجها الى حبه ورعايته .. ضد المرأة الآمنة البريئة التى شاء لها طالعها أن يكون وراء اختفائها من مسرح الحياة نفع للباغى وأى نفع . ولكن كيف تختفى من الحياة ويمحى اسمها من سفر الاحياء ، دون أن تخضب بالدم يد الجانى التى ما فتئت تحوم حولها ؟ كيف تموت دون أن تقتل .. وتدفن وهى ما تزال على قيد الحياة !

هنا تتفتق قريحة « ويلكى كولنز » عن الحل : الحل الرهيب الذى تتسلسل منه حوادث القصة فى حبكة رائعة تأخذ بمجامع القلوب حقا ، وتجمع بين تشويق القصة البوليسية المثيرة .. وقوة القصة الانسانية الممتازة التى تحلل اصطراع العواطف العنيفة أصدق وابلغ تحليل !

حلمى مراد



«كان ثمة شبح يتحرك بمحاذاة شاطىء البحيرة نحو مخزن الزوارق الذى غادرتاه لتوهما .. وكانت تحيط به هالة من الضباب الابيض..»
« الفصل العاشر »

المؤلف



◆ ولد « وليم ويلكى كولنز » ـ مؤلف هذه الرواية ـ فى يناير سنة ١٨٢٤ فى مدينة لندن ، وكان أبوه « وليم كولنز » رساما ذائع الصيت فى انجلترا فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ٠٠ وحين بلغ الصبى عامه الثانى عشر انتقل به أبوه الى ايطاليـا ، حيث قضت الاسرة ثلاثة أعوام ، عادت بعدها الى انجلترا ، حيث ألحق الغـلام بمؤسسة تجارية قضى فيها اربـع سنوات ، ثم تركها ليدرس القانون٠

لكن هذه الدراسة لم ترض نزعة الفتى الادبية ، فلما مات والده سنة ١٨٤٧ هجر الجامعة وتفرغ للادب ٠٠ فنشر بعد ثلاثة أعوام قصته الاولى « سقوط روما » ، ثم اتبعهـا فى السنوات التالية بأربعة كتب هى: «بازيل» ، «اختبىء وفتش» ، «بعد المغيب» ، « السر الرهيب » ٠٠ وفى سنة ١٨٦٠ نشر قصته هذه المشهورة « ذات الثوب الابيض » ، التى رفعته توا الى قمة المجد الادبى وكانت السبب فى تهافت الناشرين على شراء حقوق نشر قصصه التالية قبل أن يشرع فى كتابتها !٠٠ وكان أبرز هذه القصص : « بلا اسم » ، و «أرمادال» ، و « مونستون » ثم « المجدلية الجديدة » ٠٠ أما ما عداها من القصص التى كتبها بعد ذلك فقد بدت فيها نذر نضوب القريحة و « الافلاس الذهنى » !

وفى سبتمبر سنة ١٨٨٩ مات ويلكى كولنز ، بعد أن قضى السنوات الاخيرة من حياته معتل الصحة ٠٠ وقد عاش النصف الثانى من حياته صديقا حميما لزميله الاديب « تشارلس ديكنز » ، حتى لقد قام ديكنز بتمثيل الدور الرئيسى فى احدى روايات كولنز حين مثلت على خشبة المسرح !

١ ــ لقاء غريب !

◆ في احدى ليالى أغسطس سنة ١٨٤٩ ، ودع « وولتر هارترايت » صديقه « البروفيسور بيسكا » ، وكان قد تعرف الى الايطالى الضئيل الجسم حين التقى به فى بعض قصور لندن، حيث كان الاول يعطى دروسا فى الرسم ، والثانى يعطى دروسا فى لغته الايطالية ، فسرعان ما توطدت صداقتهما ..

وبتوصية من « بيسكا » عين « هارترايت » لدى المستر « فردريك فيرلى » رب (بيت ليمريدج) بمقاطعة (كمبرلاند)، فوكل اليه تعليم ابنتى أخيه فن الرسم بالالوان المائية ، على أن يغادر لندن الى مقر عمله الجديد بعد ظهر اليوم التالى ..

وكانت تلك الليلة شديدة الحر ، فلم يشأ « هارترايت » أن يعود فورا الى مسكنه ، بل آثر أن يسير بضعة أميال خارج لندن ، نحو الحقول التى كانت يومئذ ــ منذ مائة عام ــ أقرب الى المدينة مما هى اليوم ..

وأشرفت الساعة على الواحدة ــ بعد منتصف الليل ــ قبل أن يولى الشاب وجهه عائدا .. وسار متمهلا فى الطريق المقفر الموحش ، يفكر فيما ستكون عليه حياته المقبلة فى (كمبرلاند) **.. واذا به يجفل مذعورا . وفى لحظة جمدت كل قطرة من الدم فى عروقه ، اذ حطت يد على كتفه من الخلف فى خفة ومفاجأة ! .. والتفت لفوره وقد اشتدت أصابعه على مقبض عصاه ، فاذا به يرى فى منتصف الطريق امرأة وحيدة ، كأنما قد شق عنها جوف الارض أو هبطت من السماء ! وقد ارتدت من رأسها الى قدمها ثيابا بيضاء .. وأشارت بيدها ــ اذ واجهها ــ الى السحابة القاتمة التى انعقدت فوق لندن ، وقالت :**

ــ هل هذا هو الطريق الى لندن ؟

وتأملها « وولتر هارترايت » متمعنا ، فاذا كل ما استطاع أن يتبينه منها على ضوء القمر : وجه شاب شاحب ، وعينان واسعتان حزينتان ، وشفتان تختلجان فى عصبية ، وشعر اختلط فيه اللون البنى الباهت باللون الاصفر ٠٠ ولم تكن هيئتها هيئة سيدة رفيعة الشأن ، كما أنها لم تكن ـ فى الوقت ذاته ـ هيئة امرأة من الطبقة الوضيعة ٠٠ أما قوامها فكان نحيلا ، وفى الطول فوق المتوسط بقليل ٠٠

وقالت فى هدوء يشوبه شىء من العجلة : « هل تسمعنى ؟ ٠٠ لقد سألتك عما اذا كان هذا الطريق يؤدى الى لندن ؟ »

فأجاب : « نعم ، انه يؤدى اليها ٠٠ أرجو المعذرة لابطائى فى الاجابة ، فقد أذهلنى ظهورك فجأة فى الطريق ، وما زلت عاجزا عن تعليله ! »

ـ ما أحسبك ترتاب فى أننى أتيت أمرا منكرا ؟ ٠٠ انى لم أرتكب ذنبا ، وانما تعرضت لحادث ٠ وكان من سوء حظى أن بقيت هنا وحدى الى هذه الساعة المتأخرة من الليل ٠٠ ولكن ما الذى يجعلك ترتاب فى أمرى ؟

ـ أرجوك أن لا تفترضى اننى قد خالجنى أدنى ارتياب فيك ، أو خطرت لى فكرة سوى الرغبة فى مساعدتك ان استطعت ٠٠ وانما عجبت لظهورك المفاجىء فى الطريق ، لانه كان يبدو لى خاليا قبل أن أراك بلحظة !

والتفتت ، وأشارت الى فجوة فى جانب الطريق ، ثم قالت:

ـ سمعتك قادما فاختبأت حتى أرى أى نوع من الرجال أنت ، قبل أن أجازف بالتحدث اليك ٠٠ ولقد ارتبت وتوجست حتى مررت بى فرأيتك ٠٠ وعندئذ سمحت لنفسى بأن أتسلل خلفك وألمسك ٠٠ فهل أستطيع أن أركن اليك ؟

فقال : « لك أن تركنى الى لاى غرض غير ضار ٠٠ واذا شق

عليك أن تشرحي لى موقفك الغريب ، فلا تفكرى فى أن تعودى الى هذا الموضوع ثانية ، بل أنبئينى كيف يمكننى أن أساعدك، وسأفعل ان استطعت »

ولاول مرة سمع هارترايت صوتها يختلج برقة الانوثة وهى تقول : « لكم أنت كريم ٠٠ وانى لشاكرة للاقدار كل الشكر اننى قابلتك ، فأنا لم أزر لندن من قبل الا مرة واحدة ٠ هل ترانى أستطيع العثور على عربة من أى نـوع ، أم ان الوقت متأخر ؟٠٠ انك لو استطعت أن تدلنى على مكان أحصل فيه على عربة ، ولو وعدتنى أن لا تعترضنى ، وأن تدعنى أتركك متى وكيفما راق لى ، فسوف أجد فى لندن صـديقا سيسره أن يستقبلنى ٠٠ ولست أرغب فى شىء آخر ، فهل تعدنى ؟ »

وأرسلت بصرها الى الطريق ، ثم ردته فى لهفة وهى تكرر كلماتها : « هل تعدنى ؟ » ٠٠ وحدقت فى محدثها فى خوف وتوسل أشفق من رؤيتهما ٠٠ وماذا كان فى وسع هارترايت أن يفعل ؟٠٠ كانت أمامه امرأة غريبة ، حائرة ، لا حول لها ولا قوة ٠٠ وكانت تحت رحمته تماما ، فقال :

ــ هل أنت واثقة من أن صديقك الذى فى لندن سـوف يستقبلك فى هذه الساعة المتأخرة ؟

ــ كل الثقة ٠٠ ما عليك الا أن تقول لى انك ستدعنى أتركك متى وكيفما راق لى ٠٠ فهل تعدنى ؟

وفيما هى تكرر الكلمات للمرة الثالثة ، اقتربت منـه ، ووضعت على صدره يدها ٠٠ يدا نحيلة ، باردة ٠٠ ثم قالت :

ــ هل تعدنى ؟

ــ أجل ٠٠

ويمما وجهيهما شطر لندن فى تلك الساعة الهادئة ٠٠ الساعة الاولى من النهار الجديد ٠٠ وسارا معا : ولتر هارترايت مدرس

الرسم الشاب ، وهذه المرأة التى كان اسمها ، وشخصيتها ، وقصتها ، وأهدافها فى الحياة ، بل ونفس وجودها فى تلك اللحظة بجانبه ، ألغازا عميت عليه !

وسألته فجأة : « أريد أن أسألك عن شىء : هل تعرف أناسا كثيرين فى لندن ؟ »

فقال : « نعم ، أعرف كثيرين جدا ! »

فسألته : « كثيرين من ذوى المكانة والالقاب ؟ »

وكانت فى لهجة سؤالها الغريب نبرة لا تخفى من الشك ، فأجابها بعد أن لاذ بالصمت لحظة :

ـ بعضهم من هؤلاء ..

وهنا توقفت عن السير ، وتفرست فى وجهه ثم قالت :

ـ هل بينهم من يحملون لقب « سير » ؟

وعجزعن الرد لفرط دهشته، فسألها بدوره: « ولم تسألين؟»

فقالت : « لانى أرجو لمصلحتى ألا تكون قد عرفت واحدا معينا ممن يحملون هذا اللقب ! »

فسألها : « هل لك أن تذكرى لى اسمه ؟ »

ـ لا أستطيع .. لا أجرؤ .. انى أنسى نفسى حين أذكره..

وكانت تتكلم بصوت مرتفع ولهجة تكاد تكون عنيفة ، وقد رفعت قبضتها ولوحت بها فى الهواء فى انفعال .. ثم أضافت فى صوت انخفض حتى اقترب من الهمس :

ـ أذكر لى أسماء من تعرف منهم ..

وذكر أسماء ثلاثة من النبلاء الذين كان يعطى دروسا لبناتهم، فتنفست الصعداء وقالت :

ـ حسنا !.. أنت لا تعرفه .. وهل أنت نفسك ذو مكانة ولقب ؟

ـ بل أنا أبعد الناس عن ذلك .. ما أنا الا « معلم رسم »

فأردفت كمن تحدث نفسها :

ـ انه ليس من ذوى الالقاب والمكانة ٠٠ الحمد لله ! اذن فبوسعى أن أوليه ثقتى !

فقال هارترايت : « أخشى أن يكون لديك مبرر قوى للشكوى من رجل ذى جاه ولقب ٠٠٠ وأخشى أن يكون النبيل الذى لا تريدين الافضاء لى باسمه قد أساء اليك ؟! »

فأجابت : « لا تسألنى ٠٠ لا تدعنى أتحدث عما فعل ؟٠٠ لقد استغللت ، وأسىء الى فى قسوة ٠٠ ولسوف تكون أكرم من ذى قبل لو أسرعت فى السير ولم تكلمنى ! »

وعادا يسعيان قدما بخطى حثيثة ، دون أن ينبس أحدهما بكلمة ، لنصف ساعة تقريبا ٠٠ حتى اذا اقتربا من أول بيوت العاصمة ، عادت تكلمه متسائلة :

ـ هل تعيش فى لندن ؟

ـ نعم ، لكنى سأرحل عنها غدا لبعض الوقت ٠٠ سأذهب الى الريف

فسألته : « الى أين ؟٠٠ الى الشمال ؟٠٠ أو الجنوب ؟ »

فقال : « الى الشمال ٠٠ الى (كمبرلاند) ! »

فرددت الاسم فى لطف : « كمبرلاند !؟٠٠ آه !٠٠ ليتنى كنت ذاهبة مثلك الى هناك ٠٠ لقد سعدت فيها يوما ما ! »

ـ لعلك ولدت هناك ؟

ـ كلا ٠٠ بل ولدت فى « هامبشاير » ، ولكنى ذهبت فترة من الزمن الى مدرســة فى كمبرلاند ٠٠ كم أود أن أرى قرية ليمريدج ، ودار ليمريدج ، مرة أخرى !

وكان هارترايت هو الذى وقف فى هذه المرة مبهوتا لورود ذكر دار مستر فيرلى ـ مخدومه الجديد ـ على شفتى رفيقتــه الغريبة !٠٠ وردد متجاهلا : « دار ليمريدج ؟٠٠ سمعت بعض أهالى كمبرلاند يذكرونها من بضعة أيام »

فاستدركت قائلة : « آه ، ما أظنهم كانوا أهلى ، فقد ماتت السيدة فيرلى ومات زوجها ٠٠ ولعل ابنتهما الصغيرة قد تزوجت فى هذه الاثناء ورحلت ٠٠ لست أدرى من يعيش فى ليمريدج الآن ٠٠ ولئن بقى من يحملون هذا الاسم فلسوف أحبهم من أجل السيدة فيرلى »

وكانا قد بلغا المدينة، فحاول هارترايت أن يستأنف الحديث فى الموضوع ، ولكن هم المرأة انصرف الى البحث عن عربة مغلقة تمضى بها الى حيث شاءت ٠ فاستدعى هارترايت أول عربة رآها وساعد زميلته على الركوب ، ثم ناشدها أن تسمح له بأن يطمئن الى وصولها سالمة الى مقصدها ، ولكنها قالت : « **لا ٠٠ لا ٠٠ لا ٠٠ اننى فى أمان تام وسعادة بالغة الآن ، فاذا كنت شهما فاذكر وعدك ٠٠ دع الحوذى يمضى بى الى أن أستوقفه ٠٠ شكرا لك !٠٠ شكرا لك !٠٠ شكرا لك !** »

وكانت يده على باب العربة ، فتناولتها فى يدها وقبلتها ثم دفعتها عنها !٠٠ وفى اللحظة ذاتها انطلقت العربة ، وأخذ صوت عجلاتها يتضاءل تدريجيا ، حتى ذاب فى الظلال السوداء المخيمة على الطريق ٠٠

وذهبت المرأة ٠٠ ذات الثوب الابيض !

*

◆ **وانقضت** عشر دقائق ، أو تزيد ، وهارترايت لا يبرح ذلك الجانب من الطريق ٠٠ فهو يسير بضع خطوات ، ثم يتوقف شاردا ٠٠ وأحيانا كان يجد نفسه فى ريب من حقيقة ما حدث ٠٠ كان كل ما يدركه هو اضطراب أفكاره ٠٠ ثم أفاق الى نفسه على صوت عجلات تقترب مسرعة ، فوقف فى مكانه ٠٠ وكان لحظتئذ فى الجانب المعتم من الطريق ، تحيط به ظلال بعض الاشجار الكثيفة ٠ وفى الجانب المقابل ــ وكان

أكثر نورا – راح أحد الشرطة يسير ذهابا وجيئة ‥ ومرت العربة ، وكانت مكشوفة تضم رجلين ، صاح أحدهما بزميله:

– قف ، هذا شرطى ‥ فلنسأله !

وسرعان ما جذب الحوذى أعنة الجواد ، فوقفت العربة على قيد خطوات من البقعة المظلمة التى وقف هارترايت فيها ‥ وصاح الراكب الاول بالشرطى يسأله :

– أيها الشرطى ‥ هل رأيت امرأة تمر فى هذا الطريق ؟

فقال الشرطى متعجبا : « ما شكلها يا سيدى ؟ »

فقال الرجل : « امرأة ترتدى البياض أيها الشرطى ‥ ترتدى ثوبا أبيض ! »

– لم أرها يا سيدى

– اذا التقيت – أو أحد زملائك – بالمرأة فاستوقفها وأرسلها فى حراسة دقيقة الى هذا العنوان ‥ وسأدفع جميع النفقات، مضافا اليها مكافأة طيبة !

فتأمل الشرطى البطاقة التى قدمت اليه ، وتساءل :

– ولماذا نستوقفها يا سيدى ؟‥ ماذا فعلت ؟

– ماذا فعلت ؟‥ لقد فرت من مستشفاى ‥‥ مستشفى الامراض العقلية !‥ لا تنس انها فى ثوب أبيض !‥ امض أيها الحوذى

٢ – فى دار ((ليمريدج))

◆ **لم** يستطع « وولتر هارترايت » طيلة تلك الليلة واليوم الذى تلاها – خلال رحلته الى كمبرلاند – أن يقصى عن ذهنه ذكرى لقائه الغريب مع ذات الثوب الابيض !٠٠ صحيح ان بعض الاسئلة التى ألقتها عليه كانت توحى بأن صدمة قد أصابتها حديثا فزعزعت اتزان عقلها ٠٠ لكن فكرة الجنون المطلق الذى يرتبط فى أذهاننا جميعا بلفظ « مستشفى الامراض العقلية » لم تخطر له قط على بال !

وراح يفكر : « ماذا ترانى فعلت ؟٠٠ أترانى مددت يد المساعدة الى ضحية من ضحايا أفظع أنواع المعتقلات ، أم أكون قد أطلقت على لندن الفسيحة مخلوقة تعسة كان من واجبى – وواجب كل انسان – أن نكبح جماحها رحمة بسواها ؟ »

وعند وصوله الى دار « ليمريدج » استقبله خادم مهيب الطلعة ، أنبأه بأن أفراد الاسرة قد أووا الى مضاجعهم ٠٠ وكان هارترايت متعبا وفى حالة نفسية لا تشجعه على أن يأكل أو يشرب ، فلم ينقض ربع الساعة حتى كان متأهبا للذهاب الى غرفة نومه ، فقاده الخادم الى غرفة أنيقة الاثاث ، وقال له : « الافطار موعده الساعة التاسعة يا سيدى » ٠٠ ثم انسحب فى هدوء

واذ نهض هارترايت فى الصباح وفتح النافذة ، رأى البحر يمتد أمامه بهيجا تحت أشعة شمس أغسطس الساطعة ٠٠ وكان المنظر مفاجأة له ، اذ كان يختلف عن منظر لندن الكئيب الى درجة جعلته يشعر بأنه قد انغمس فى حياة جديدة ٠٠ ومع أن المرأة ذات الرداء الابيض كانت لا تزال فى ذهنه ، الا أن صورتها أخذت تخبو وتبهت شيئا فشيئا ٠٠

وهبط الى الطابق الارضى ، فقاده خادم الى حجرة الطعام ٠٠

وكشفت له أولى نظراته عن شابة واقفة الى جوار النافذة وظهرها نحوه ، فبهره جمال قوامها وجلال وقفتها ٠٠ وحرك أحد المقاعد ليستلفت انتباهها ، فاستدارت نحوه على الفور ٠٠ وشد ما كانت دهشته اذ رأى وجهها دميما لا يتفق فى شىء مع قوامها الجميل !٠٠ كانت بشرتها سمراء قاتمة ، وشكل فمها وفكها الاسفل يقربها من شكل الرجال ، وقد علا شفتها العليا ما يشبه الشارب !٠٠ كما كانت ذات عينين بنيتين ثاقبتين وشعر غزير فاحم السواد انحدر فى نموه الى مدى غير عادى فوق جبهتها ٠٠ ولكن محياها كان مشرقا يوحى بالذكاء والامانة

وابتدرت الضيف وقد أضاء وجهها بالابتسام وفاض محياها نعومة وأنوثة :

– مستر هارترايت ؟٠٠ لقد فقدنا كل أمل فى وصولك فى الليلة الماضية وأوينا الى مخادعنا فى موعدنا المعتاد ، فتقبل اعتذارى عن غفلتنا الظاهرة ، واسمح لى بأن أقدم لك نفسى كاحدى تلميذتيك ٠٠

وتصافحا ٠٠ أنس الى بساطة طبعهـــا ، فجلسا الى مائدة الفطور وكأن كل قد عرف الآخر منذ سنوات !٠٠ ولم تلبث أن استطردت قائلة :

– ان أختى لن تهبط لتناول الافطار معنا ، فهى ملازمة غرفتها بسبب صداع شديد ٠٠ أما عمى – مستر فردريك فيرلى – فانه مقعد ولا يشاركنا أية وجبة من وجبات الطعام ٠ ولكن لا تدعنى أربكك ، فالواقع انّ الآنســـة فيرلى (لورا) ليست شقيقتى حقيقة ، كما ان مستر « فيرلى » ليس عمى ! فأنا أدعى « ماريان هالكومب » ٠٠ وقد تزوجت أمى مرتين : الاولى من أبى ، مستر هالكومب ٠٠ والثانية من مستر فيليب فيرلى والد أختى غير الشقيقة ٠٠ **وفيما عدا أن كلينا يتيمة فان كلا منا تختلف عن الاخرى الى أقصى حد ، وفى كل شىء !٠٠ ان أبى كان**

رجلا فقيرا، بينماكان والد الآنسة «فيرلى» غنيا!٠٠ وأنا لا أملك شيئا ، فى حين أنها تملك ثروة !٠٠ وأنا سمراء دميمة ، وهى بيضاء فاتنة !٠٠ ومع ذلك فان كلا منا تحب الاخرى حبا خالصا ، وان بدا هذا عجيبا لك ٠٠ فأنا لا أعيش بدونها ، وهى لا تقوى على العيش بدونى ٠ وهذا سر وجودى فى دار «ليمريدج»!

وصمتت لتقدم الى هارترايت قدحا من الشاى ٠٠ ثم استأنفت الحديث قائلة :

ــ وماذا عساى أن أقول لك عن مستر فردريك فيرلى ؟٠٠ انه ــ أولا ــ الشقيق الاصغر للمرحوم المستر فيرلى والد لورا ٠٠ وهو ــ ثانيا ــ أعزب ٠٠ وثالثا ، هو الوصى على الآنسة فيرلى ٠ ثم هو ــ رابعا ــ مريض عاجز الى درجة لا يجب معها ازعاجه بأى شىء ، أو أى شخص ٠٠ ولست أدرى كنه حالته ، ولا الاطباء يعرفون ما به ، ولا هو نفسه يعرف !٠٠ والآن نبئنى يا مستر هارترايت : هل تظن أنك سوف تستمتع بحياتنا الريفية الهادئة ، أو أنك لن تلبث أن تتعطش سريعا الى التبديل والمغامرة ؟

فأجابها هارترايت : « لن أكون معرضا لخطر الاشتياق للمغامرة لفترة من الزمن ، فقد صادفتنى مغامرة فى ذات الليلة السابقة لوصولى الى هذا البيت ! »

ــ حقا يا مستر هارترايت ؟ هل لى أن أسمع قصتها ؟

ــ من حقك أن تسمعيها ٠٠ فقد ذكرت بطلتها اسم المرحومة السيدة فيرلى بلهجة الاحترام والعرفان بالجميل !

ــ ذكرت اسم أمى ؟٠٠ انك تثير اهتمامى ، فهل لك أن تمضى فى سرد قصتك ؟

وقص عليها هارترايت ظروف لقائه بذات الثوب الابيض ٠ وسرد ما قالته له عن السيدة فيرلى ودار ليمريدج ، حرفا حرفا ٠٠ وكانت عينا الآنسة هالكومب البراقتان الرصينتان تتطلعان

الى عينيه بلهفة وقد بدا أنها تماثله حيرة أمام ذلك اللغز !٠٠ وما عتمت أن سألته :

— أواثق أنت من نص هذه الكلمات التى أشارت بها الى أمى؟

— كل الثقة !٠٠ وأيا كانت تلك المرأة فقد فهمت منها أنها كانت يوما فى مدرسة بقرية ليمريدج ، وانها قد عوملت بعطف كبير من السيدة فيرلى ٠٠ وهى تعلم أن السيدة فيرلى وزوجها قد ماتا ، فضلا عن أنها تحدثت عن الآنسة فيرلى كما لو كانت كل منهما قد عرفت الاخرى منذ الطفولة ٠٠

— هذا عجيب جدا !٠٠ يجب أن نجلو غوامض هذه المسألة فعلا بأية وسيلة !٠٠ ويحسن بك أن لا تذكر شيئا عنها الآن سواء لمستر فيرلى أو لاختى !٠٠ انهما ولا شك يجهلان هذه المرأة ، لكنهما مرهفا الاعصاب ولن يزيدهما النبأ الا انزعاجا ٠٠ أما أنا فكلى فضول متقد ٠٠ لقد أسست أمى فعلا مدرسة القرية حين جاءت الى هنا عقب زواجها الثانى ، واهتمت بها اهتماما كبيرا ٠ وعندى مجموعة ضخمة من خطاباتها المرسلة الى زوجها « مستر فيرلى » أثناء فترات غيابه المتكرر فى لندن ٠٠ وقد أستبين خلالها شيئا

وهنا قطع عليهما حديثهما دخول خادم يحمل رسالة من المستر فيرلى بأنه يسر برؤية مستر هارترايت بمجرد انتهائه من تناول الافطار ٠٠ فنهض الشاب وتبع الخادم صاعدين سلما أفضى بهما الى ممر سارا فيه حتى وقفا أمام باب مغطى بكساء من الصوف القاتم الخشن ٠٠ ففتح الخادم الباب وقاد «هارترايت» بضع خطوات نحو باب آخر ، ثم فتح هذا الباب الثانى فكشف عن ستارتين من الحرير الاخضر مسدلتين أمامهما ، رفع احداهما ، ثم نطق فى خفوت ناعم هاتين الكلمتين : « مستر هارترايت » ٠٠ وتركه ومضى !

وجد هارترايت نفسه فى غرفة فسيحة عالية السقف ،

تحجب نوافذها مصاريع خشبية فى نفس خضرة ستائر الباب ، ولهذا كان الضوء بداخلها ناعما ، مريحـــا ، يغمر كل ما فى الحجرة بدرجة متساوية ويحيط برب البيت المضطجع فى مقعده الكبير ذى المسندين ٠

وبدا من هيئة مستر فيرلى أن سنه فوق الخمسين ، وان نقصت عن الستين ٠٠ وكان وجهه الحليق نحيلا ، شاحبا ، مرهقا ، وقدماه صغيرتين كأقدام النساء ، ويداه الرقيقتـــان البيضاوان يزينهما خاتمان ثمينان ٠٠

وكان لقاء هارترايت مع الآنسة هالكومب قد هيأه لان يسر بلقاء كل فرد فى البيت ٠ لكن عطفه انحسر فى قوة عند أول نظرة الى مستر فيرلى ٠٠ وابتدره رب الدار بصوت أجش ، واهن :

ـ لكم يسرنا أن نستقبلك فى ليمريدج يا مستر هارترايت ٠٠ تفضل بالجلوس ، وأرجو ألا تحرك المقعد ، من فضلك ٠٠ ففى الحالة التعسة التى عليها أعصابى ، تسبب لى كل حركة من أى نوع أشد الالم ٠٠

وشرع هارترايت يقول : « اننى آسف ٠٠ »

ولكن الرجل واصل كلامه قائلا : « معـــذرة ٠٠ هل فى استطاعتك أن تتكلم بمزيد من الرقة ، ففى الحالة التعسة التى عليها أعصابى ، يسبب لى كل صوت مرتفع من أى نوع عذابا ٠٠ أحسبك تعذر مريضا مثلى ؟٠٠ والآن ، ما رأيك فى المرتب ، هل تجده مرضيا ؟ »

ـ أعظم الارضاء يا مستر فيرلى ٠٠

ـ يسرنى ذلك ٠٠ وماذا بعد ؟

ـ أود أن أعرف يا مستر فيرلى أى نوع من تعليم الرســم أتبعه مع الآنستين ؟

ـ آه ، هذا صحيح ٠٠ لكننى أسمع ضجيج أطفال أشقياء فى الحديقة ؟

– لا أظن يا مستر فيرلى ٠٠ اننى لا أسمع شيئا !

– أرجو أن تزيح جانبا من الستارة وتطل على الحديقة ٠٠ لا تدع الشمس تقع على يا مستر هارترايت فان الضوء أقوى من أن تحتمله عيناى الكليلتان ٠٠

وأطل هارترايت ثم قال انه لم ير كائنا ما ، كبيرا أو صغيرا ٠٠ فقال مستر فيرلى :

– ألف شكر !٠٠ أحسب الوهم قد صور لى ذلك ٠٠ ليس فى الدار أطفال والحمد لله ، ولكن الخدم يشجعون أطفال القرية على الحضور ٠٠ كم أتمنى لو تغير تكوين الاطفال يا مستر هارترايت ، فان غرض الطبيعة الاوحد – على ما يبدو لى – هو أن تجعلهم أدوات لانتاج الضجيج الذى لا ينقطع ٠٠ ولكن ، أين بلغنا فى حديثنا ؟

– كنا نتحدث عن تعليم الآنستين يا مستر فيرلى ٠٠

– آه ، نعم ٠٠ ليتنى كنت من القوة بحيث أشرف على الامر بنفسى ، ولكنى لا أستطيع ٠٠ على الآنستين أن تبتا وتقررا بنفسيهما كل شىء ٠٠ هذا جل ما فى الامر ٠٠ ما أمتع أن يفرغ المرء من تدبير أعماله !٠٠ اننى من المرض بحيث أخشى ألا أستمتع كثيرا بصحبتك أثناء مقامك فى ليمريدج ٠٠ هل لك أن تتكرم فتحرص على أن لا تدع الابواب تصطفق ، وأن تسدل الستار برفق ؟٠٠ أرجوك ، فان أضأل ضجيج ينساب فى كيانى كالسكين ٠٠ شكرا لك ٠٠ وسعدت صباحا !

وما أن أسدل الستاران ، وأغلق البابان خلف هارترايت ، حتى أرسل هذا زفرة ارتياح طويلة أحس لها بمتعة ، كسباح عاد الى سطح الماء بعد أن غاص الى عمق بعيد !٠٠ وقرر أن لا يتجه بخطاه مرة أخرى صوب الحجرات التى يشغلها رب الدار ، ما لم يدع اليها ثانية ٠٠ وهو أمر خاله بعيد الاحتمال!

٣ ـ خطاب امرأة ميتة

◆ **هبطت** « لورا فيرلى » من حجرتها ساعة تناول الغداء ، وان هارترايت ليستطيع ـ الى آخر حياته ـ أن يذكر دون عناء صورتها اذ تبدت له للمرة الاولى فى ذلك الصباح من شهر سبتمبر : فتاة ناصعة البياض ، رقيقة ، فى ثوب أنيق خفيف ، ولها شعر بنى فاتح ، وعينان زرقاوان لطيفتان ٠٠ عينان جميلتـان فى اللون وجميلتان فى الشكل ، وجميلتان ـ قبل كل شىء ـ فى الصدق الصافى الذى كان يكمن فى أعمق أغوارهما ٠٠ وذهل هارترايت وهو ينظر اليها ، وانتابه شعور غريب بأنه قد رآها من قبل !٠٠ واذ ذاك قالت الآنسة هالكومب مشيرة الى دفتر الرسم الذى فى يد لورا :

ـ أنظر يا مستر هارترايت ، لا شـك انك ستعترف بأن التلميذة المثالية لك قد وجدت أخيرا ٠٠ ففى اللحظة التى سمعت فيها بوجودك فى البيت حملت دفترها الخاص بالرسم وتاقت الى البدء فى الدرس !

فقالت الآنسة فيرلى ضاحكة : « لا ينبغى لى أن أدعى لنفسى غير الحقيقة ٠ اننى وان كنت مشغوفة بالرسم الا أننى أدرك مبلغ جهلى فيه ، حتى اننى لخائفة أكثر منى مشوقة الى البدء فى الدراسة ٠٠ »

فقالت الآنسة هالكومب معلقة : « سواء أكنت مجيدة أو مسيئة ، أو غير مكترثة ، فان ما ترسمه التلميذة ينبغى أن يتعرض لفحص الاستاذ وحكمه ٠٠ »

وخرجت التلميذتان وأستاذهما بعد الظهـر فى العربة ، فاختير منظر لترسمه الفتاتان ٠ وكان هارترايت يلقى عليهما نصائحه بصدد استخدام القلم ومزج الالوان ٠٠ لكن أبسط

تغيير فى تعبير عينى الآنسة فيرلى كان يستأثر من اهتمامه بأكثر مما ينال عمله !

وعند عودتهم الى الدار افترقوا ليرتدوا ثياب العشاء ٠٠ **فلما التقى هارترايت بالفتاتين مرة ثانية ذهل ، اذ كانت الآنسة هالكومب فى ثياب باذخة ، بينما كان ثوب الآنسة فيرلى الابيض بسيطا ، يكاد ينم عن الفقر ! وحين عرف الشاب المزيد عن خلق الآنسة فيرلى تبين أن هذا الفارق كان يرجع الى كرهها لان تعرض ثراءها الى جانب فقر أختها غير الشقيقة !**

٠٠ وبعد العشاء جلست الآنسة فيرلى الى البيانو ، فتبعها هارترايت الى مقعد مجاور للمعزف ٠٠ بينما انزوت هالكومب فى ركن قصى تنبش خطابات أمها على أضواء الغروب الهادئة ٠٠

واستمرت الموسيقى نصف ساعة ، حتى خبا نور النهار وأضيئت الشموع ٠٠ وعندئذ اجتذب جمال ضوء القمر فى الشرفة الآنسة فيرلى الى الخارج ٠٠ ولم يلبث أن قطع حبل الصمت صوت الآنسة هالكومب ، خفيضا مغايرا لنبرته الطبيعية الممتلئة حيوية : « مستر هارترايت ٠٠ هل لك أن تأتى الى هنا لحظة ؟ »

وكانت قد انتقت من الخطابات المبعثرة فى حجرها واحدا قربته من ضوء الشمعة ، فاتخذ هارترايت مقعدا الى جانبها يستطيع منه أن يرى ـ خلال النافذة المطلة على الشرفة ـ الآنسة فيرلى وهى تذرع الشرفة جيئة وذهابا ٠٠

وقالت الآنسة هالكومب : « أريد أن تصغى الى كى أقرأ لك الفقرات الختامية فى هذا الخطاب ، اذ يبدو أنها تلقى بعض الضوء على مغامرتك فى ذلك الطريق الى لندن ٠٠ والخطاب موجه من أمى الى زوجها الثانى مستر فيرلى ، وقد كتب منذ أحد عشر عاما ٠ فى ذلك الوقت كان مستر فيرلى وزوجته وأختى لورا قد قضوا عدة سنوات يقطنون فى هذا البيت ، بينما كنت أنا بعيدة عنهم أتم دراستى فى باريس ٠٠ »

وشرعت الفتاة تتلو فقرات الخطاب : « سوف تمل ياعزيزى فيليب حديثى الذى لا ينقطع عن مدرستى وتلامذتى .. لكن عندى فى هذه المرة نبأ طريفا حقا يستحق أن أخبرك به ، عن تلميذة جديدة . أنت تعرف طبعا « السيدة كيمب » العجوز صاحبة حانوت القرية .. انها تموت الآن موتا بطيئا بعد أن قضت سنوات مريضة . وفى الاسبوع الماضى وصلت أختها – وهى القريبة الوحيدة الباقية لها على قيد الحياة – كى تعنى بها . وقد جاءت هذه الاخت – وتدعى مسز كاثريك – من هامبشاير .. وهى امرأة وقور حسنة المسلك ، أهل للاحترام، لكنها تتحفظ فى أمورها الخاصة الى حد الكتمان ، ويلوح من سيمائها انها تخفى سرا ما . وقد أحضرت معها ابنتها ، وجاءتنى منذ أربعة أيام لتسأل عما اذا كان للبنية « آن » أن تحظى بالالتحاق بمدرستى أثناء اقامة أمها هنا .. وكانت الطفلة معها ، صغيرة ظريفة فى العاشرة من عمرها ، أى أنها تكبر عزيزتنا لورا بعام فقط .. »

ومرت لورا أمامهما فى الشرفة حين انبعثت العبارة الاخيرة من بين شفتى القارئة ، وكانت تغمغم بصوت خافت بأحد الالحان التى عزفتها على البيانو فى أول السهرة .. فتريثت الآنسة هالكومب حتى ابتعدت لورا عن بصريهما ، ثم استأنفت تلاوة الخطاب : « .. وقد استجبت لرجاء الام على الفور ، وقبلت الصبية فى المدرسة فى اليوم ذاته . وقد شعرت باهتمام كبير يا فيليب نحو تلميذتى الجديدة لسبب أستبقيه لافاجئك به فى نهاية الخطاب .. فالواقع أن ما حدثتنى به الام عن الصبية كان من القلة بالقدر الذى حدثتنى به عن نفسها ، على أننى تبينت أن عقل الصغيرة المسكينة لم يبلغ من النمو ما ينبغى فى مثل سنها !.. وقد عرضتها على الطبيب فكان رأيه أنها سوف تعوض هذا القصور والعجز فيما بعد . لكنها – كما

قال ـ تحتاج الى عناية خاصة بتربيتها وتنشئتها فى المدرسة ، نظرا لبطئها غير العادى فى استيعاب الافكار ، مما يدل على انها تتشبث بها بقوة غير عادية بمجرد نفاذها الى ذهنها !٠٠ ومع ان ملابسها نظيفة الا أنها قبيحة الالوان ، ومن ثم عملت أمس على تعديل بعض الثياب البيضاء والقبعات القديمة التى كانت لعزيزتنا لورا ، لاهدائها اليها ٠ وقد أوضحت لها أن البنات فى مثل سنها يظهرن فى الثياب البيضاء أنظف وأبهى منهن فى سواها ، فبدت حائرة هنيهة ثم تورد وجهها ولاح أنها فهمت ٠٠ وفجأة قبضت بيدها الصغيرة على يدى ، ثم قبلتها وقالت: « سأرتدى دائما ثيابا بيضاء ما حييت لان هذا سيساعدنى على تذكرك وعلى أن أشعر حين أرحل ولا أعود أراك بأننى لا أزال أرضيك ٠٠! »

وكفت الآنسة هالكومب عن القراءة ثم رفعت بصرها الى معلمها وسألته :

ـ هل بدت المرأة التى قابلتها فى مقتبل العمر ، أى فى نحو الحادية والعشرين من عمرها ؟

ـ نعم يا آنسة هالكومب ، كانت فى مثل هذه السن !

ـ وكانت ترتدى ثيابا كلها بيضاء ، بحيث أثارت عجبك ؟

ـ أجل ٠٠ كلها بيضاء !

وبينما كانت الكلمات تبرح شفتيه ظهرت الآنسة فيرلى للمرة الثانية فى الشرفة ٠٠ وبدلا من أن تتابع سيرها ، وقفت وظهرها اليهما تطل على الحديقة ٠٠ فتعلقت عينا هارترايت بثوبها الابيض ، واستولى عليه شعور غريب لم يعرف له كنها! ٠٠٠ بينما استطردت الآنسة هالكومب قائلة له : « بياض شامل ! انه لعجيب أمر ذلك الثوب الابيض الذى كانت ترتديه المرأة التى قابلتها ، والاثواب البيضاء التى أوحت الى تلميذة أمى بذلك الجواب ٠٠ لعل الطبيب كان مخطئا ٠ لعلها لم تشف من ضعفها العقلى ، وبقى ذلك الشعور القديم الذى انتابها فى صباها

نحو أمى عالقا بنفسها بعد أن كبرت وصارت امرأة !٠٠ ولكن اصغ الى هذه العبارات الاخيرة من الخطاب ، فانى أعتقد أنها ستدهشك ! »

ثم عادت هالكومب الى القـراءة : « **٠٠ والآن يا حبيبى ، وقد بلغت ذيل الورقة التى أكتب عليها خطابى أفاجئك بالسبب الحقيقى ـ المثير للدهشة ـ لاعجابى وشغفى بتلك الصبية « آن كاثريك »٠٠ فعلى الرغم من أنها يا عزيزى فيليب لم تؤت نصف جمال ابنتنا لورا الا أنها تكاد تكون ـ بفعل مصـادفة من مصادفات التشابه العارض الخارقة للطبيعة ـ صورة طبـق الاصل منها : فى شعرها ٠٠ وبشرتها ٠٠ ولون عينيها ٠٠ وشكل وجهها ! »**

فقفز هارترايت من مقعده ، اذ انتابه فى هذه اللحظة نفس الشعور الذى سرى فى كيانه حين مست يد ذات الثوب الابيض كتفه فى الطريق الموحش ، وأدرك الشاب لماذا شعر حين وقع بصره على الآنسة فيرلى لاول مرة ، بأنه رآها من قبل !

وكانت الآنسة فيرلى واقفة أمامه فى الشرفة٠٠ كائن أبيض، وحيد فى ضوء القمر ، صورة حية من ذات الثوب الابيض ٠٠ بحركاتها ، واستدارة رأسها ، وبشرتها، وشكل وجهها !٠٠ ولم تلبث الآنسة هالكومب أن قالت للشاب :

ـ ألا ترى أن أمى كانت على حق فى هذه الملاحظة التى أبدتها منذ حوالى أحد عشر عاما ؟

ـ نعم أرى ذلك ، وأقولها على الرغم منى ، فان ارتباط المرأة الحائرة العديمة النصير ، بالآنسة فيرلى ـ ولو بمجرد تشابه عارض ـ يلقى ظلا على مستقبلها ٠٠

ـ صه ! ها هى آتية٠٠ لا تقل شيئا فى وجودها٠٠ ليكن هذا الامر سرا مصونا ، بينك وبينى٠!

٤ ـ ذات الثوب الابيض ... مرة أخرى !

◆ **انقضى** الصيف والخريف والآنسة هالكومب وهارترايت يكتمان سرهما . واستطاعت الآنسة هالكومب فى أول فرصة مأمونة أن تستدرج فى حذر أختها غير الشقيقة الى الحديث عن أمهما ، والايام الخوالى ، وعن آن كاثريك.. غير أن ذكريات الآنسة فيرلى عن تلميذة أمها كانت باهتة الى حد كبير ..

ولم يساعد تنقيب الآنسة هالكومب فى البقية الباقية التى لم تكن قرأتها من خطابات أمها ، على اجلاء شىء من الشكوك التى كانت تحيرها . كانا قد تبينا مدى العلاقة بين التعسة التى التقى بها هارترايت ليلا ، وبين آن كاثريك .. وعند هذا الحد انتهت اكتشافاتهما على ضوء ما كانا يعرفانه اذ ذاك ..

وفى نوفمبر ـ الشهر الثالث لاقامته فى كمبرلاند ـ اكتشف هارترايت انه وقع فى هوى لورا فيرلى !.. وكانت مهنتـه قد يسرت له منذ بضعة أعوام أن يكون على اتصال وثيق بالفتيات ـ من مختلف الاعمار ـ فراض نفسه على أن يترك كل المشاعر الطبيعية فى مثل سنه خارج المكان الذى يجتمع فيه بتلميذته.. لكن كل حيطته وتجاربه خذلته فيما يختص بالآنسة فيرلى ، وان أدرك حماقة حبه لها ، لا سيما وهو مدرس رسم فقير وهى فتاة ذات ثراء !

وأنقذته الآنسة هالكومب من موقفه المحير ، اذ رأت بعينيها الثاقبتين كل شىء .. ومن شفتيها عرف الحقيقة المريرة ، التى لم يكن منها بد ، والتى لم يكن يتوقعها .. اذ قالت له ذات صباح : « أريد أن أقول لك كلمة على انفراد ، فخذ قبعتك وتعال معى الى الحديقة ، حيث لاينتظر ان يزعجنا احد فى هذه الساعة . . »

وسارا فى الحديقة حتى وصلا الى البيت الصيفى فى نهايتها فدخلاه ، وما كادا يجلسان حتى ابتدرته قائلة : « مستر هارترايت

٠٠ أبدأ كلامى بالاعتراف لك فى صراحة بأنى صرت أحس نحوك بشعور قوى من الود ٠ وبوصفى صديقة لك سأبادر الى مكاشفتك ـ بلهجتى الصريحة ـ بأنى قد وقفت على سرك دون معونة من أحـــد ! لقد تركت نفسك تقع فى غرام أختى لورا دون تدبر أو روية ٠٠ وأنا لا ألومك ، بل أرثى لك اذ فتحت قلبك لعاطفة لا أمل منها ٠ وانه ليسعدنى أن العائق لا يتعلق بفوارق اجتماعية ٠٠ على أنك ينبغى أن تبرح دار ليمريدج قبل أن تحدث أضرار أخرى ، لا لانك مدرس رسم ٠٠ »

وتريثت لحظة ، ثم أدارت وجهها نحوه ومدت يدها عبر المنضدة ووضعتها على ذراعه فى حزم ٠٠ وما عتمت أن أردفت قائلة : « ٠٠ لا لانك مدرس رسم ، وانما لان لورا مخطوبة ! »

ونفذت الكلمة الاخيرة الى قلب هاترايت كأنها رصاصـة قاتلة !٠٠ وأحس فجأة بهواء الشتاء القارس الذى كان يبعثر أوراق الشجر الجافة الميتة تحت أقدامهما ، يسفعه بألسنته الباردة ، وكأنما كانت آماله المجنـــونة بدورها أوراقا جافة ميتة !٠٠ وهل هى غير مجرد آمال ؟ ان الفتاة ، سواء كانت مخطوبة أو غير مخطوبة ، بعيدة عن متناوله فى الحالين !

واستطردت الآنسة هالكومب : « لقد أظهرت لى أختى ـ دون وعى منها ـ أنها تزداد شغفا بك ٠٠ ومن ثم ينبغى عليك أن تتركنا من أجلها ـ لا من أجل نفسك فحسب ـ فان وجـودك يجعلها حزينة مكتئبة ، لا سيما وان خطبتها لم تظفر منها حتى اليوم بأى ترحيب ٠٠ فهى خطبة مصلحة وشرف ، لا خطبـة حب ٠ لقد كان والدها هو الذى رغب فى هذه الزيجة ، وحين حضرته الوفاة ـ منذ نحو عامين ـ وعدته هى بتحقيق أمنيته!»

فقال هارترايت : « سأذهب ٠٠ سأفعل كل ما تشيرين به على !٠٠ والآن وقد اطمأن قلبك الى امتثالى لرغباتك ، هل لى أن أسألك : من يكون خطيب الآنسة فيرلى ؟ »

فأجابته : « انه سيد ذو ضيعة كبيرة فى (هامبشاير) »

هامبشاير ؟!٠٠ موطن آن كاثريك ؟٠٠ أترى الظروف تقودنا مرة أخرى الى حديث ذات الثوب الابيض ؟!

وسألها : « وما اسم ذلك الثرى ؟ »

– سير برسيفال جلايد

وتذكر هارترايت سؤال آن كاثريك ٠٠ ذلك السؤال المريب عمن يعرفهم من ذوى المكانة وحملة لقب « سير » ٠٠ فسأل محدثته فى انفعال لم يستطع اخفاءه : « هل يحمل لقب سير؟»

فنظرت اليه الآنسة هالكومب فى فضول ، ثم أجابته فى برود ظاهر : « نعم ، هو سير ولا شك ! » ٠٠ وعلى أثر ذلك نهضت وعادت وحدها الى داخل البيت، بينما بقى هو فى البيت الصيفى وحيدا مع أفكاره : اذن كانت لورا فيرلى مخطوبة ، وزوجها المقبل يدعى سير برسيفال جلايد ٠٠ رجل من ذوى الالقاب ويملك ضيعة فى هامبشاير !٠٠ ان فى انجلترا مئات من حملة الالقاب ، وفى هامبشاير عشرات من أصحاب الضياع ٠ وليس ثمة ما يحمل على أن يربط اسم سير برسيفال جلايد بالاسئلة المريبة التى ألقتها عليه ذات الثوب الابيض !٠٠ لكنه برغم ذلك ربط بينهما فى فكره !٠٠ وأثر حديث الآنسة هالكومب فيه تأثيرا غريبا ، وانتابه شعور قوى بأن خطرا خفيا يكمن لهم جميعا فى ظلام المستقبل ٠٠ خطر لا يمكن التكهن به !

وقطع عليه تسلسل أفكاره رجوع الآنسة هالكومب فجأة ٠٠ وكانت تحمل فى يدها خطابا، وقد بدا عليها الغضب والانفعال! ٠٠ ولم يقل هو أى كلمة حتى ابتدرته قائلة : « مستر هارترايت، كنت أرجو أن يكون كل حديث مؤلم بيننا قد انتهى، لكن رجائى لم يتحقق ، فان هناك يدا خفية شريرة تعمل لاثارة خوف أختى من زواجها الذى اقترب موعده ٠٠ فلقد تلقت خطابا بغير

امضاء ، يتضمن محاولة آثمة للنيل من سير برسيفال جلايد وتجريحه ٠ وأنا أدرك أن هذه مسألة عائلية ما كان ينبغى أن أستشيرك فى شأنها ، لكنك الشخص الوحيد هنا الذى يخلص لى النصح ـ فليس مستر فيرلى ، بحالته الصحية الراهنة وارتياعه من الصعاب ، بالذى يمكن الركون اليه ٠٠؟ »

ثم ناولته الخطاب ، فاذا هو يبدأ دون أية ديباجة ، على هذه الصورة : « **هل تؤمنين بالاحلام؟ أرجو ـ لمصلحتك الخاصة ـ أن تكونى كذلك ٠٠ ففى الليلة الماضية رأيت حلما يتعلق بك يا آنسة فيرلى ٠٠ رأيت كأنى أقف فى كنيسة ، وبعد حين أقبل رجل وامرأة ليتزوجا ٠٠ وكنت أنت المرأة ، وكنت فى ثوب عرسك الحريرى الابيض الجميل ، آية فى البهاء والبراءة ، حتى لقد طفر الدمع من عينى ! ـ وكان دمع الاشفاق والرثاء ، لاننى استطعت أن أتغلغل الى أعمق أعماق قلب الرجل الذى كان معك: كان ظاهرة يروق للعين ، وقامته دون المتوسط بقليل ٠ وكان خفيفا ، نشيطا ، ذا عزة واعتداد ، فى الخامسة والاربعين من عمره ٠٠ وبرغم شحوب وجهه وصلع رأسه ، كان ذا عينين بنيتين لامعتين ، وأنف مستقيم جميل ٠٠ وكان ينتابه بين حين وآخر سعال جاف ، فاذا رفع يده اليمنى البيضاء الى فمه لاحت فى ظهرها ندبة حمراء من آثار جرح قديم ٠٠ أفليس هذا هو الرجل الذى تعتزمين الزواج منه يا آنسة فيرلى ؟**

« **لقد تغلغلت الى أعمق أعماقه كما ذكرت لك ، فوجدت قلبه فى سواد الليل ، وقد كتبت عليه بحروف حمراء هذه العبارة : « لا يرحم ٠٠ لقد ملأ بالتعاسة حياة الآخرين ، وسوف يعيش ليملأ بالتعاسة حياة هذه المرأة التى تقف الى جانبه ! » ٠٠ وكان يقف خلفه شيطان يضحك ساخرا ، كما وقف خلفك ملاك يبكى ٠٠!!**

« اننى أومن بالاحلام ، فلتؤمنى بها أنت أيضا يا آنسة فيرلى ! أتوسل اليك أن تفعلى ·· نقبى فى ماضى هذا الرجل ذى الندبة الحمراء فى يده ، قبل أن تنطقى بالكلمة التى تجعلك زوجته التعسة ·· وأنا أبلغك هذا التحذير اكراما لامك ، التى كانت أول وأعز صديقاتى ، بل كانت صديقتى الوحيدة ·· »

وعند هذا الحد انتهى الخطاب الغريب، دون توقيع! ·· فسألت الآنسة هالكومب معلمها الشاب عقب فراغه من قراءته : « هل ينبغى أن أتخذ من فورى الخطوات التى فى مقدورى بغية معرفة كاتب الخطاب ؟ ·· أم يجدر بى أن أنتظر الى الغد فألجأ الى مستر فيرلى ؟ »

فقال لها : « ولم لا تلجئين اليه اليوم ؟ »

قالت الآنسة هالكومب : « لست أستطيع أن أوضح لك السبب دون أن أفضى اليك بأشياء لم أر من الضرورى أو المرغوب فيه أن أطلعك عليها فى هذا الصباح · ان سير برسيفال جلايد قادم الى هنا يوم الاثنين ليحدد تاريخ زواجه · وقد دعا مستر فيرلى ـ بوصفه الوصى على لورا ـ محامى أسرتنا مستر جيلمور لتدبير شروط عقد زواج أختى، وسيصل غدا »

فقال هارترايت : « اذا كان علينا أن نكشف أى شىء فمن الخير ألا نضيع دقيقة واحدة ·· كيف تلقت الآنسة فيرلى الخطاب ؟ »

ـ ان امرأة عجوزا سلمته الى البستانى ، وقد سألته عنها فأكد لى أنها امرأة غريبة !

ـ اذن ، لنسأل أهل القرية ·· ولكن أخبرينى أولا : هل تنطبق الاوصاف الواردة فى الخطاب على شخص سير برسيفال جلايد ؟

ـ تماما، حتى فيما يتصل بتحديد سنه بخمس وأربعين سنة!

فى الخامسة والاربعين، ولورا لم تجاوز الحادية والعشرين؟! ٠٠ كم من رجال فى سنه يتزوجون كل يوم نساء فى سنها ، وكثيرا ما تكون تلك الزيجات سـعيدة ٠٠ كان هارترايت يعرف ذلك ، ومع ذلك فان مجرد ذكر سن سير برسيفال ، ومقارنته بسن الآنسة فيرلى ، زاد من كراهيـة هارترايت له وعدم اطمئنانه اليه !

واستطردت الآنسة هالكومب فقالت : « تماما ٠٠ حتى فيما يتعلق بالندبة الحمراء التى فى ظاهر يده والتى خلفها جرح قديم أصيب به منذ سنوات أثناء رحلة له فى ايطاليا ٠٠! »

ـ أظن أن أحدا لم يسمع همسات ضد أخلاقه ؟

ـ أرجو ألا تكون ظالما الى الحد الذى يجعل مثل هذا الخطاب المرذول يؤثر فيك !

وشعر هارترايت بالدم يتدافع الى وجنتيه ، فقد أدرك أن الخطاب أثر فيه فعلا !٠٠ بينما واصلت الآنسة هالكومب كلامها قائلة : « لست آسفة على أنك سألت هذا السؤال ، لانه يمكنني من أن أنصف سير برسيفال وسمعته الطيبة ٠٠ فما بلغتنى أو بلغت أسرتى همسة واحدة ضده ! »

❈

◆ **وسارا** صامتين صوب القـرية ، ولكن استفساراتهما هناك لم تفض الى جديد ، اللهم الا أن ثلاثة من القرويين رأوا المرأة العجوز التى أحضرت الخطاب ، ولكنهم عجزوا تماما عن وصفها ، وعن الاتفاق على الوجهة التى مضت اليها !

واقترح هارترايت اذ مرا بمدرسة القرية أن يقوما بتحر أخير ، بسؤال معلم المدرسة ٠٠ ودخلا فناء المدرسـة ، وفى طريقهما الى باب المبنى وقفا هنيهة ليطلا على حجرة الدراسة خلال النافذة ٠٠ كان المدرس جالسا على مقعده العالى وقد استقر

أمامه تلاميذه على مقاعدهم ، باستثناء تلميذ واحد وقف بمعزل عن الآخرين على كرسى صغير بغير ظهر فى ركن الحجرة

وكان المعلم يخاطب الصبية قائلا : « **والآن يا أبنائى افهموا ما أقوله لكم ٠٠ اذا سمعت كلمة أخرى تقال فى هذه المدرسة عن الاشباح ، فستكون العاقبة وخيمة لكم جميعا !٠٠ ها أنتم جميعا ترون زميلكم « جاكوب بوستلتويت » واقفا على المقعد أمامكم ٠ لقد عاقبته ، لا لقوله انه رأى شبحا ليلة أمس ، وانما لانه يصر على زعمه هذا بعد أن أكدت له أن شيئا من ذلك لا يمكن أن يحدث !٠٠ واذا لم يفلح شىء معه ، فسأضربه بالعصا حتى يخرج الشبح منه !** »

وعند هذا دفعت الآنسة هالكومب الباب ودخلت٠٠ وابتدرت المعلم متسائلة : « ماذا حدث يا مستر دمبستر ؟٠٠ ماذا جرى؟»

فأجابها المعلم : « ان هذا التلميذ الشرير أزعج المدرسة كلها يا آنسة هالكومب ، فقد زعم أنه رأى شبحا مساء أمس ! »

فالتفتت الآنسة هالكومب الى (جاكوب) وقالت له : « لم لا تسأل المستر دمبستر أن يصفح عنك أيها الاحمق ؟ »

فأجابها الغلام فى اصرار : « ولكنى رأيت الشبح حقا ٠٠ كان فى الفناء المحيط بالكنيسة مرتديا ثيابا بيضاء ، وواقفا بجوار قبر السيدة فيرلى ! »

فعجلت الآنسة هالكومب وهارترايت بالاستئذان من المدرس ٠٠ وقال هارترايت اذ بلغا الشارع : « لقد ارتبت بمجرد أن قرأت الخطاب فى أن تكون كاتبته « آن كاثريك » ٠٠ والآن صرت واثقا من الامر ٠ ان الشبح المزعوم فى فناء الكنيسة لم يكن سوى « آن كاثريك » بعينها !٠٠ لكم يدفعنى الفضول الى رؤية قبر السيدة فيرلى ! »

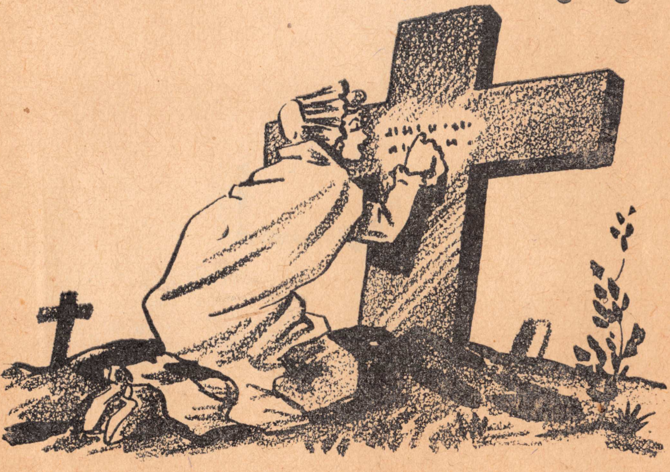
فقالت له : « سأريك اياه الآن ، ثم أعود فى الحال الى البيت، فليس من الخير أن أترك لورا بمفردها وقتا طويلا ٠٠ لشد ما أفزعها الخطاب الذى تلقته ! »

وبعد قليل كان هارترايت يقف وحده أمام قبر السيدةفيرلى الذى كان يعلوه نصب من الرخام على هيئة صليب ، نقش عليه اسم المتوفاة وتاريخ مولدها وموتها ٠ **وكان بياض الصليب مشوبا بآثار العوامل الجوية ، ومع ذلك فقد استرعت النقوش بصر هارترايت فى الحال ، اذ كانت مجردة لدرجة غريبة من أية شائبة من غبار أو مطر ٠٠ وأنعم الشاب النظر فيها فأيقن أنها قد نظفت حديثا ! واذ ذاك اعتزم أن يرقب المكان من مخبأ خفى ، فى المساء ٠٠ لا سيما بعد أن لحظ أن عملية تنظيف النصب لم تتم ، مما كان يوحى بأن الشخص الذى بدأها قد يعود ليتمها !**

٥ ــ لقاء فى ساحة كنيسة ليمريدج

◆ لم يكن ثمة مخلوق بشرى يبدو فى ساحة الكنيسة حين عاد اليها هارترايت فاختار لنفسه مكانا فى ظلال المدخل يستطيع منه ان يرى المقبرة ، وقبر السيدة فيرلى ، وهو مختبىء ! وفيما كان ينتظر مرت بذهنه الاتهامات الجريئة التى تضمنها الخطاب الذى كان بلا توقيع ضد سير برسيفال جلايد .. لم لا يكون لهذه الاتهامات اساس من الصحة ؟ .. ثم ماذا يحدث لو امكن اثبات صحتها قبل اتمام الزواج ؟

وحاول ان يقنع نفسه بأنه انما يعمل لمساعدة الانسة فيرلى ، لكنه لم يخدع نفسه ، بل أيقن انه يتصرف بدافع من حقد لا سلطان له عليه ضد الرجل الذى يزمع الزواج منها ! .. وكان ضوء الشمس الغاربة لا يزال فى الافق حين سمع وقع خطوات تقترب ، وصوتا يقول : « لا تنزعجى





يا عزيزتى بشأن الخطاب ، فلقد أعطيته للبستانى فى أمان، ولم يتبعنى أحد بعد ذلك ! »

وبعد لحظة ظهرت امرأتان تتجهان نحو القبر مباشرة : احداهما تضع وشاحا على كتفيها، والاخرى ترتدى معطف سفر طويل ، كحلى اللون، بدت تحته بضع بوصات من ثوبها .. وتسارعت دقات قلب هارترايت فى صدره حين تبين أن لون الثوب كان .. أبيض !

وقالت المرأة الاخرى تحدث صاحبتها : « سأتجول فى المكان أثناء بقائك هنا، فانجزى ما تريدين عمله قبل عودتى ، ولنحرص على أن نعود قبل هبوط الظلام »

ثم انصرفت المرأة على أثر ذلك. واستطاع هارترايت أن يلمح أن وجهها وجه عجوز سمراء بادية الصحة ، لا توحى سيماها بأى خبث ! .. فلما اختفت عن ناظريه ، اقترب من المرأة الاخرى التى عند القبر .. وكانت قد أخرجت من طيات ثيابها قطعة من القماش ، ورآها تقبل الصليب الابيض،

ثم تشرع فى تنظيفه .. وبلغ من انهماكها فى عملها انها لم تنتبه لاقترابه ، حتى صار على قيد خطوات منها .. وعندئذ التفتت متطلعة ، ثم وقفت تواجهه فى ذعر صامت ! . . فابتدرها هارترايت قائلا : « لا تخافى ، اعتقد انك تذكريننى ! .. لقد التقينا منذ عهد قريب وساعدتك فى الاهتداء الى الطريق المؤدى الى لندن .. لا احسبك قد نسيت كل ذلك ؟ »

وعندئذ تنفست المراة الصعداء ، وزايل الفزع وجهها رويدا ثم غمغمت : « نعم اذكر ذلك . لقد كنت رقيقا بالغ اللطف والكرم معى ، ولكن ما الذى اتى بك الى هنا ؟ »

ـ الا تذكرين قولى لك حين التقينا اننى ذاهب الى كمبرلاند ؟ اننى اقيم منذ ذلك التاريخ فى دار ليمريدج ..

فهتفت وقد اشرق وجهها الشاحب : « فى دار ليمريدج ؟.. آه ما اسعدك ! »

ورأى هارترايت وهو يرقبها عن كثب ، مدى التشابه بينها وبين الانسة فيرلى ـ وان افتقد الوجه المضنى المغضن الذى كان يلوح امامه جمال بشرة الاخيرة وصفاء عينيها ، وقرمز شفتيها .. ولكن لو قدر للحزن والالم ان يتركا آثارهما على شباب وجه الانسة فيرلى وجماله ، فعندئذ ـ وعندئذ فقط ـ يصير التشابه بينهما كاملا !

وقال هارترايت يسأل المراة : « كيف جئت الى هنا ؟ »

فأجابت وهى تستأنف عملها فى تنظيف النصب : « جئت مع صديقة تخلص لى الحب والمعونة .. اواه ، كم يؤلمنى ان ارى بقعة على قبر السيدة فيرلى . ينبغى ان يظل القبر ناصع البياض كالثلج اكراما لذكراها ! »

فقال لها : « لقد استبد بى القلق عليك بعد ان مضت بك

العـــربة يوم التقينا ! » فرفعت عينيها فى عجلة وتوجس وقالت : « القلق ؟ . . لماذا ؟ »

ــ لان شيئا عجيبا حدث بعد افتراقنا . . مر بى رجـــلان فى عربة وقفت على مقربة منى وسأل أحدهما شرطيا عما اذا كان قد رآك ، وقال انك فررت من مصحته !

فقفزت المرأة تبغى الفرار ، كأنما كان مطارداها يجـدان فى اثرها ! . . فصاح بها هارترايت : « قفى ! . . اسمعى قصتى الى نهايتها ، وسترين انى كنت ممالئا لك . . كلمة منى كانت كفيلة بان ترشد الرجلين الى الطريق الذى سلكته . . لكنى لم انطق بهذه الكلمة ، فساعدتك فى فرارك بأن جعلته مأمونا »

وبدا ان كلماته استطاعت ان تفرض ببطء اثرها على ذهنها المضـطرب ، فنظرت اليه وقـد زال من عينيها الخوف وحل مكانه فضول ظاهر . ثم قالت : « ما احسبك ترى اننى يجب ان اعود الى المصحة ، اليس كذلك ؟ »

فأجابها مطمئنا : « بلى . . بالتاكيد ، بل انى مسرور لانك فررت منه ، ومسرور لانى ساعدتك . . هل كانت المصــحة بعيدة عن المكان الذى التقينا فيه ؟ »

فذكرت اسم المصحة ، التى كانت من المصحات « الخاصة » للامراض العقلية ، وكانت قريبة جــدا من المكان الذى تقابلا فيه ! . . فسألها :

ــ هل وجدت فى لندن صديقتك التى حدثتنى عنها ؟

ــ نعم ، ان السيدة كليمنتس صديقة حميمة لى ، وقــد كانت جارة لنا يوما فى هامبشاير . وكانت تحبنى ولطالما اعتنت بأمرى حين كنت صغيرة . .

ــ ألم يكن لك أب أو أم يعنيان بأمرك ؟

ــ اب ؟ انى لم اره قط . . لقد مات فيما احسب !

ـ وامك ؟

ـ لست على صلة طيبة بها . كل منا مصدر متاعب ومخاوف للاخرى !

فخطر بذهن هارترايت ان امها ربما كانت الشخص الذى اودعها المصحة .. بينما استطردت هى فقالت : « لقد جئت هنا مع السيدة كليمنتس ، ونحن نقيم فى مزرعة « تود » على بعد ثلاثة اميال من القرية .. وهذا هو المكان الوحيد الذى ابغى زيارته . . يا لمحبوبتى السيدة فيرلى ! .. هل ابنتها بخير ، سعيدة ؟ »

فأجاب هارترايت على الفور قائلا : « لم تكن الانسة فيرلى بخير تام ، ولا سعيدة جدا فى هذا الصباح .. فقد تسلمت خطابك ! »

وحولتها كلماته الى تمثال من حجر ، فسقطت من يدها قطعة القماش التى كانت ممسكة بها ، وانفرجت شفتاها ذهولا .. ثم قالت فى اعياء : « كيف علمت بهذا ؟ ! .. انى لم اكتب لها اى خطاب ! ولست اعرف شيئا عنه .. »

قال هارترايت : « بل أنت التى كتبته ، وتعرفين كل شىء عنه .. وكان من الخطأ ان ارسلت هذا الخطاب . وكان من الخطأ ان تروعى الانسة فيرلى على هذا النحو .. وانما كان خليقا بك ـ اذا كنت تعرفين شيئا صحيحا من الضرورى ان تسمعه ـ ان تتوجهى بنفسك الى دار ليمريدج وتقوليه لها بلسانك وجها لوجه ! »

فغمغمت المراة كأنما تخاطب القبر الحجرى : « آه لو كان فى استطاعتى ان اموت واختفى معك كى استريح ! .. انت تعلمين كم احب ابنتك من اجلك ، أواه يا مسز فيرلى .. يا مسز فيرلى .. خبرينى كيف انقذها ؟ ! »

وقبلت شفتاها حجر القبر ، بينما كانت يداها تربتان عليه فى انفعال ! .. فخاطبها هارترايت فى رفق : « هدئى من روعك .. والا خامرنى الاعتقاد بأن الشخص الذى وضعك فى المصحة كان على حق »

.. وماتت بقية كلمـــاته على شفتيه ، فقد اعتراها تغير غريب .. تبدل وجهها الذى كان ينطق بالضعف والتردد فغامت عليه فجأة سحابة قاتمة تنم عن البغضاء والخوف . ثم تناولت قطعة القماش التى سقطت منها فعصرتها بين يديها كما لو كانت كائنا حيا تود ان تقتله ! .. وهمست له : « تحدث فى موضوع اخر ، فلسوف افقد سلطانى على نفسى اذا مضيت فى هــــذا الحـــديث ! »

فقال لها : « لست اريد ان اكدرك .. كل ما ابغيه ان تقابلى الانسة فيرلى غدا وتصارحيها بالحقيقة فى شأن ذلك الخطاب ! »

فقالت : « ماذا ؟ .. الانسة فيرلى ؟ .. فيرلى ؟ . فيرلى ؟ »

وكأنما كان لنطقها بهذا الاسم الحبيب تأثيرا أدخل عليهـــا السكينة ، فاسترد وجهها رقته ، واستعاد شكله الطبيعى .. وعندئذ استأنف هارترايت حديثه : « ليس لك ان تخافى الانسة فيرلى او تخشى التورط فى شىء من المتاعب .. انك لم تذكرى فى خطابك اسما على وجه التحديد . لكن الشخص الذى عنيته بما كتبت سيفد على دار ليمريدج يوم الاثنين .. ان الانسة فيرلى تعلم انك انما كتبت عن سير برسيفال جلايد .. »

وما كاد هارترايت ينطق بهذا الاسم حتى بدرت منها صرخة دوت فى فناء المقبرة وجعلت قلبه يقفز فى صدره فزعا .. فان الصرخـــة التى انطلقت عنـــد ذكر الاسم ، ونظرة الكراهيـــة والخوف التى اعقبتها توا ، قد افصحتا له عن كل شىء .. فلم يبق ثمة شك يراوده فى انه لم يكن لامها ذنب فى الزج بهـــا فى

مصحة الامراض العقلية .. وانما كان الذى حبسها هنـاك رجلا ، وهذا الرجل هو « سير برسيفال جلايد » !

وبلغت الصرخة اذنين اخرين عدا اذنى هارترايت ، فلم تنقض لحظة حتى اقبلت مسرعة المراة التى دعتها باسم السيدة « كليمنتس » .. وواجهت هارترايت فى تحفز صائحة : « من أنت ؟.. كيف تجرؤ على افزاع امرأة تعسة مثل هذه ؟ » .. ثم احاطت آن كاثريك بذراعها وقالت تطمئنها : « ماذا حدث يا عزيزتى ؟ ماذا فعل بك ؟ »

فأجابت المسكينة « لا شيء ! .. لكننا يجب ان ننصرف حالا .. انه قادم الى هنا ! »

فقال هارترايت يخاطب السيدة كليمنتس : « لست استحق نظرتك الغاضبة .. فهذه ليست اول مرة اقابل فيها آن كاثريك .. اساليها بنفسك ، وسوف تنبئك بانى لا يمكن ان ابغى شرا بها او باية امراة غيرها »

فقالت آن كاثريك : « نعم .. نعم .. لقد كان لطيفا معى يوما ، وساعدنى فى الطريق الى لندن .. فلنذهب ولا نضع وقتا ، فانه سيأتى يوم الاثنين ! »

وقالت له السيدة كليمنتس : « آسفة يا سيدى اذ خاطبتك بتلك اللهجة الخشنة ، ولكنك ولا بد تقدر ان الظواهر تدعو للارتياب فى اى غريب .. تعالى يا عزيزتى ، هيا بنا الان »

واذا تأبطت آن كاثريك ذراع صديقتها تأهبا للذهاب ، قال هارترايت : « حاولى أن تغفرى لى ! » .. فأجابته : « سأحاول .. لكنك تعرف الكثير ، واخشى انك ستصبح من الان مبعث رعب دائم لى ! »

وقالت السيدة كليمنتس : « طاب مساؤك يا سيدى . انا اعلم انه لم تكن لك يد فى الامر ، ولكنى كنت اود لو انك افزعتنى انا بدلا منها ! »

وذهبتا .. ووقف هارترايت يراقبهما حتى غادرتا فنـــاء المقبرة ثم اختفتا عن نظره فى طريق القرية .. !

✤

◆ **وبعد** نصف ساعة كان هارترايت فى البيت ، وقد صارح الانسة هالكومب بكل ما حدث ! .. ثم عقب على ذلك بقوله : « ليس فى ذهنى اى شك فى ان سير برسيفال جلايد هو الذى أودع « آن كاثريك » مصحة خاصة تتطلب نفقات لا قبل لاى فقير بدفعها .. واللغز الوحيـــد الباقى هو معرفة الباعث له على ذلك ! »

فأجابته الانســـة هالكومب : « ســـوف اذهب غدا الى مزرعة (تود) »

ــ اخشى ان تجدى انها قد غادرتها ، فلشد ما افزعها نبأ قدوم سير برسيفال جلايد !

ــ فى هذه الحالة سوف استفسر عن الامر من سير برسيفال نفسه ، فان مستقبل اختى هو اعز ما احفل به فى الحيـــاة ، ويجب ان يبدد شكوكى .. والا فلن تكون لورا زوجة له ابدا !

فتنهد هارترايت قائلا : « لم يبق لى ما أفعله .. وسأسافر غدا (الاحد) بعد الافطار ، على اننى ينبغى ان استأذن مستر فيرلى .. وان كنت سأرحل سواء اذن لى ام لم يأذن ! »

ثم اوفد خادما الى مستر فيرلى برسالة يستأذنه فيها فى ان يراه لامر يتصل بعمله ، فعاد الخادم بجواب لم يكن يتوقعه . اذ اعتذر مستر فيرلى بأن حالته الصحية تحـــول بينه وبين رؤية مستر هارترايت فى ذلك المساء ! .. وكان قد تلقى رسائل من هذا القبيل فى فترات عديدة خـــلال الشهور الثلاثة التى اقامها فى البيت . بل ان مستر فيرلى لم يكن يوما ــ طيلة هذه

المدة – فى حالة طيبة تسمح له بأن يلقاه مرة ثانية .. ازاء ذلك كتب خطابا ذكر فيه اضطراره الى السفر ، فى اسلوب مهذب ، واضح ، مقتضب بقدر ما استطاع ، دون ايراد لاية اسباب !.. ومرت ساعة تقريبا قبل ان يتسلم الرد التالى :

« تحيات مستر فيرلى الى مستر هارترايت . ان مستر فيرلى اكثر دهشة واستياء مما يستطيع ان يذكر – فى حالته الصحية الراهنة – بسبب ما طلبه مستر هارترايت . وفى رأى مستر فيرلى ان طلب مستر هارترايت السماح له بفسخ عقده لا يمكن ان تبرره ضرورة ، مهما كانت .. وبما ان مستر فيرلى يحتاج الى راحة ذهنية وبدنية تامة ، لذلك فهو لن يدع مستر هارترايت يعكر هذه الراحة بالبقاء فى البيت على الرغم من ارادته . وبناء على هذا ، ولمجرد صون راحته وسكينته ، فان مستر فيرلى ينبىء مستر هارترايت بأن له أن يرحل .. »

ابتسم هارترايت فى سره وهو يطوى الخطاب .. ولو انه كان فى ظروف اخرى لغضب واعتبره اهانة ، لكنه فى الظرف الراهن كان مفعم القلب بالشقاء لفراقه لورا فيرلى ، بحيث لم يعد فى وسع شىء اخر ان يؤلمه !

وقبيل الساعة السابعة والنصف من صباح اليوم التالى هبط من غرفته ، فاذا به يجد الانستين هالكومب وفيرلى تنتظرانه حول مائدة الافطار . وجلس ثلاثتهم يحاولون ان يأكلوا ، ويحاولون ان يتكلموا ، فى ذلك الجو البارد ، وضوء الشتاء المعتم .. واخيرا اقبل خادم يخبر هارترايت بان العربة التى تقرر ان تقله الى المحطة تقف بالباب .. فنهض وبسط يده الى الانسة هالكومب قائلا : « وداعا .. وارجو ان تكتبى الى لتوافينى بتطور الامور » .. فاجابته : « من حقك ان

تعلم .. واذا اقتضى الامر يوما فسوف اركن اليك كصديق لى ولها ، وكأخ لى ولها .. وداعا ، وليباركك الله ! »

والتفت الشاب الى لورا قائلا : « وداعا يا آنسة فيرلى .. ان طريق كل منا فى الحياة بعيد كل البعد عن طريق الاخر .. ولكن اذا جاء وقت تستطيع فيه كل جهودى ان تتيح لك لحظة واحدة من السعادة ، او تجنبك لحظة من الاسى .. فهل لك ان تذكرى يومئذ معلم الرسم المسكين الذى علمك ؟ »

وتجمعت الدموع فى مآقى الفتاة .. فتناول يدها ، واستطرد قائلا : « ان لك أصدقاء كثيرين يحبونك يا آنسة فيرلى .. ومستقبلك السعيد هو اعز هدف لكثير من الامال .. فهل لى أن أقول فى لحظة الوداع هذه انه أعز هدف لآمالى أنا أيضا ؟ »

فانحدرت الدموع الغزيرة على خديها وقالت فى اعياء : « بحق السماء اتركنى ! »

كانت الكلمات اعترافا من قلبها بسره ! .. ولم يكن من حق هارترايت أن يسمعها ، ولا ان يجيب عنها .. فترك يدها بغير ان ينبس بكلمة اخرى ، وانما رمقها بنظرة وداع اخيرة .. ثم اغلق الباب دونها

وفغر اخدود الفراق الهائل السحيق فاه بينهما !

٦ ـ اتفاقية الزواج

◆ **وصل** مستر جيلمور ـ محامى الاسرة ـ الى دار ليمريدج بعد ظهر اليوم نفسه . وكان على النقيض تماما من الصورة المألوفة لمحامى الاسرة القديم .. فقد كان شعره الابيض اطول من المعتاد ومصففا بعناية ، وثيابه جميلة انيقة ، ورباط عنقه نظيفا !

واستقبلته الانسة هالكومب محيية ـ فى حين لزمت لورا مخدعها بعد الوداع المؤثر فى الصباح ! ـ وانبأته الاولى عن الخطاب ، وعن لقاء هارترايت وآن كاثريك .. ثم أردفت : « وقد توجهت اليوم الى مزرعة (تود) ، بعد رحيل مستر هارترايت ، فعلمت ان آن كاثريك والمرأة التى ترافقها قد رحلتا، الى حيث لا يعرف أحد ..! »

قال مستر جيلمور : « انصح لك بان تعرضى الخطاب على سير برسيفال بمجرد وصوله . ولست اشك فى انه سوف يسارع الى تقديم جميع الايضاحات التى يتطلبها الموقف من رجل مهذب شريف . ان اسم سير برسيفال فوق الشبهات .. اما عن المراتين فارسلى احد خدم مستر فيرلى الى المحطة للاستعلام عنهما .. والان ينبغى ان ارى مستر فيرلى بصدد شروط الزواج ، فليس امامنا متسع من الوقت ، اذ يجب ان اعود الى لندن الليلة »

والان ، لندع جيلمور جالسا يترقب معرفة ما اذا كان مستر فيرلى فى حالة صحية تسمح له بمقابلته ام لا ، ولنلم ببعض التفصيلات الضرورية عن ثروة الانسة فيرلى : كانت هذه الثروة تتألف من ثلاثة اقسام :

اولها ما ترثه ـ فى حياتها فقط ـ بعد وفاة عمها ، ويتألف من دار ليمريدج والارض المحيطة بها ، وتبلغ قيمة دخلها ثلاثة آلاف جنيه سنويا ، على أن تستمتع وزوجها بهذا الدخل ابان حياتهما ثم ينتفع به ابنهما بعد وفاتهما .. فاذا لم ينجبا نسلا انتقل الى ابناء عمومتها ..

والقسم الثانى من الثروة : ايراد قدره عشرة آلاف جنيه ، تستمتع به طيلة حياتها فقط ، أذ كانت عمتها « اليانور » قد تزوجت من نبيل ايطالى يدعى الكونت فوسكو .. فاستنكر شقيقها مستر فيليب فيرلى هذا الزواج بشدة بحيث حرمها من هذا الارث واعطى ريعه لابنته بدلا منها ، على ان تؤول العشرة الاف جنيه الى مدام فوسكو اذا ماتت لورا فيرلى قبلها ـ وهو ما لم يكن محتملا اذا راعينا عمرى الاثنين ! ـ وقد يئست العمة من الحصول على هذا المال ونقمت على ابنة شقيقها ، وابت ان تراها منذ وفاة مورثها ! (وهذان القسمان الاول والثانى تحصل لورا فيهما على الدخل وحده دون ان يكون لها حق التصرف العينى)

اما القسم الثالث من الثروة فهو عشرون الفا من الجنيهات تؤول الى لورا فيرلى عند بلوغها سن الحادية والعشرين ، فى شهر مارس التالى .. وهذا المبلغ ملك خالص لها

*

◆ **وفى** الساعة الرابعة بعد الظهر ارسل مستر فيرلى يقول انه يستطيع ان يستقبل جيلمور .. وحياه قائلا : « ارجو الا تكون يا عزيزى جليمور قد جئت لتزعجنى بمضايقات تتعلق بالاعمال ، فلقد بارك والد لورا هذا الزواج ، واباركه انا ، وسوف يسرنى ان تزاح عنى متاعبه .. الا تستطيع ان تستشير ابنة اخى فى

صدد شروط العقد ، فتقصر دورى فى الموضوع ـ بوصفى الوصى عليها ـ على النطق بكلمة « نعم » فى الوقت المناسب ؟ »

فأجابه المحامى المحنك : « اخشى انى لا استطيع ذلك ، فان الانسة فيرلى لم تبلغ بعد سن الرشد ، ومن واجبك انت ان ترعى مصالحها ، وقد ناقشت شروط الاتفاقية مع محامى سير برسيفال جلايد فى لندن ، فنشأ بيننا خلاف كبير جدا : فالعقار والعشرة الاف جنيه لا تدع مجالا لاى نزاع لان الانسة فيرلى انما تحصل على دخل منهما طيلة عمرها فحسب . وانما المشكلة فى ثروتها الخاصة ، فى العشرين الف جنيه . . فقد طلبت انا ان يوضع هذا المبلغ تحت تصرفها وان يكون من حقها ان تتصرف فيه كما تشاء فى حالة عدم انجابها نسلا من زوجها . . لكن محامى سير برسيفال يرفض ذلك ، ويطالب بأن يؤول هذا المبلغ الى موكله فى حالة وفاة الزوجة قبله ! »

فقاطع مستر فيرلى محاميه قائلا فى نفاد صبر : « **يا عزيزى جيلمور . . وهل يعقل ان تموت شابة فى العشرين قبل رجل فى الخامسة والاربعين ، وتموت دون ان تنجب نسلا أيضا ؟ . . لماذا تزعجنى فى حالتى الصحية الراهنة بهذه الفروض المستبعدة يا عزيزى جيلمور ؟** »

فقال جيلمور غاضبا : « لقد جئت الى هنا كى احافظ على مصالح ابنة اخيك وعائلتك ، فأرجو منك ان تولى المسالة مزيدا من الاهتمام ! »

فأجاب مستر فيرلى وهو يغوص فى مقعده ويغمض عينيه : « لا تصح فى وجهى هكذا ، ارجو ان لا تصرخ فى ! . . انى لست من القوة بحيث اتحمل ذلك »

فاستطرد جيلمور : « ما من محام يقبل ان تترك السيدة مالها للرجل الذى تتزوجه . . وما من محام يقبل ان يعطى الزوج ريعا قدره عشرون الفا من الجنيهات عند وفاة زوجته ! »

فتساءل مستر فيرلى : « ولم لا ؟ اذا كانت نعمة الطمأنينة والهدوء السماويين تصبح ميسورة المنال نظير ثمن دنيوى تافه مثل عشرين الف جنيه ؟ انى اسـألك مرة اخرى ، لماذا تزعجنى ؟ دبر الامر مع محامى سير برسيفال .. »

فقال جيلمور : « مستحيل .. انه لن يغير موقفه . لقد ترك له سير برسيفال امر الاتفاق على تفصيلات العقد ، وابى الاشتراك فى بحثها .. ويؤكد المحامى انه لن يستطيع ان يفعل شيئا من شأنه الاضرار بمصالح موكله ! .. والحل الوحيد ان تتحدث انت فى الامر مع سير برسيفال نفسه ! »

فصاح مستر فيرلى : « يا لاعصابى التعسة ! . انت تبغى ازعاجى وازعاج نفسك ، وازعاج جلايد ، وازعاج لورا .. وكل ذلك من اجل شىء هو اخر ما يحتمل ان يحدث ! »

ـ انك لن تفلح فى اثارة اعصابى يا مستر فيرلى ، اننى من اجل ابنة اخيك ومن اجل ابيها سأحتفظ بزمام اعصابى . لقد علمت خلال تشاورى مع محامى سير برسيفال ان ديونه جسيمة .. فاذا تمسكت بوجهة نظرك فسوف يضطر سير برسيفال للاذعان ، والا عرض نفسه لان يتهم بأنه يبغى الزواج من الانسة فيرلى طمعا فى مالها !

ـ يا عزيزى المخرف جيلمور ، لشد ما تبغض ذوى الالقاب والحسب .. الست كذلك ؟ انك تحقد على جلايد لا لشىء الا لانه صاحب لقب !

وغلى الدم فى عروق جيلمور ، لكنه بذل جهدا كبيرا للسيطرة على اعصابه ، وقال : « مستر فيرلى ، لقد كنت الصديق المخلص والناصح الامين لاسرتك منذ سنوات طويلة . ولو كانت لى ابنة لما زوجتها لاى رجل على ظهر البسيطة فى ظل شروط كهذه .. فاذا كنت لا تزال تأبى التحدث الى سير برسيفال فسوف

تضطرنى الى قبول شروط محاميه . ولهذا اناشدك للمرة الاخيرة بل اتوسل اليك ان تفاوضه شخصيا »

فقال مستر فيرلى فى اصرار وانفعال : « اننى لن افعل ، بطبيعة الحال .. ما اقسى قلبك يا جيلمور اذ تطلب منى – فى حالتى الصحية الراهنة التعسة – ان ابحث مسائل غير مستحبة كهذه ! . ان ذلك كفيل بان يضر بى اشد الضرر »

– اذن طاب يومك يا مستر فيرلى ! . اننى محاميك وعلى ان ابرم الاتفاق وفق رغبتك ولكنى انذرك بان مسئوليته تقع على كاهلك وحدك !

– فلتصحبك السلامة يا جيلمور .. متى تزمع الرحيل ؟ .. الليلة ؟ .. لشد ما يؤسفني اننى لن اتمكن من رؤيتك مرة اخرى . لقد جعلتنى اشعر بسقم شديد .. دع خدمى الكسالى يقدمون لك عشاء شهيا !

ولم يجب المحامي المحنك ، لفرط اشمئزازه ، بل دار على عقبيه وغادر الحجرة فى صمت .. وتناول العشاء مبكرا مع الانسة هالكومب وحدها ، فأنبأته بأن الخادم الذى اوفدته الى المحطة قد عجز عن الاهتداء الى اى اثر لان كاثريك ومرافقتها !

وكان ثمة قطار يمر فى الساعة السابعة فاستقله المحامى عائدا الى لندن .. وبعد يومين ارسل بالبريد الى دار ليمريدج عقد الاتفاق الذى انتزع من لورا فيرلى حق التصرف فى مالها الخاص وفق رغبتها !

٧ – سير برسيفال يتشبث بالخطوبة

◆ فى اليوم التالى لمقابلة جيلمور لمستر فيرلى ، وصل السير برسيفال جلايد الى دار ليمريدج متلهفا على تحديد أقرب موعد للزوج ! ٠٠ وتجلى قلقه لما لاحظه فى نظرات لورا فيرلى من جهامة ، فيما أبداه للانسة هالكومب من رقة واحترام لم يسعها سوى أن تغتبط بهما ، فلم تضيع وقتا وأنبأته بخطاب آن كاثريك ، ودور هارترايت فى المسألة ٠٠ وعندئذ تساءل فى قلق : « هل قابلتك آن كاثريك يا لورا ؟ » ٠٠ فأجابت الانسة فيرلى : « لا »

– وهل قابلتك يا آنسة هالكومب ؟

فقالت الفتاة : « انها لم تقابل أحدا من أهل البيت ، اللهم الا مستر هارترايت الذى التقى بها فى فناء الكنيسة »

– تقولين ان مستر هارترايت كان يعمل فى ليمريدج كمدرس للرسم ٠٠ فهل لديك عنوانه فى لندن ؟

وكتب العنوان الذى ذكرته الآنسة هالكومب ، ثم سألها : « هل فشلتم فى الاهتداء الى المكان الذى ذهبت اليه بعد مغادرتها مزرعة (تود) ؟ »

فقالت : « لم نهتد الى أى أثر يرشد الى مكانها »

وأمسك عن الكلام لحظة كأنما يفكر فى اجابات الآنسة هالكومب ، ثم أشرق وجهه بغتة وقال : « من الطبيعى انك ولورا تنتظران منى ايضاحا يا آنسة هالكومب ٠٠ وواجبى يقتضينى أن أقدم لكما هذا الايضاح ، لقد كانت السيدة كاثريك مخلصة فى خدمة أسرتى وخدمتى لسنين خلت ٠٠ وكلما كبرت ابنتها ازداد اختلال عقلها ، حتى بلغ درجة

استدعت ضرورة وضعها تحت رقابة طبية صحيحة . لكن السيدة كاثريك كرهت العار الذى يترتب على ايداع طفلتها التعسة فى مصحة عامة كأى فرد فقير ، فوافقت أنا ـ تقديرا لخدماتها ـ أن أدفع نفقات نزولها بمصحة خاصة . ولسوء الحظ كشفت آن نصيبى فى مسئولية ايداعها تحت الرقابة ، فباتت تشعر نحوى لذلك بأشد الحقد والنفور ! .. وهذا يالورا هو السبب الوحيد للخطاب »

ونظر الى الفتاتين وكأنه يتعرف أثر كلماته ، وفى هذه اللحظة دخل كلب لورا المدلل الى الحجرة ، فبسط سير برسيفال يده الى الكلب وناداه .. ولكن الحيوان الصغير نفر منه ، وعوى وارتعد ، ثم اختبأ تحت أريكة ! فبدا الانفعال على وجه سير برسيفال لمسلك الكلب ازاءه ، واستطرد قائلا : « لست أطالبكما بأن تقبلا كلامى على علاته ، فمن حقكما على أن أقدم دليلا على صحة قولى .. ولهذا أرجو الآنسة هالكومب أن تكتب فورا الى السيدة كاثريك .. وحسبك أن توجهى اليها سؤالين : الاول عما اذا كانت ابنتها قد دخلت المصحة بعلمها وبموافقتها ؟ .. والثانى : عما اذا كان نصيبى أو دورى فى المسألة من النوع الذى يقتضيها أن تدين بالشكر لى ؟ »

واتجه الى منضدة الكتابة وهو يتكلم فجر مقعدا اليها وقال : « تعالى يا آنسة هالكومب ، وافعلى ما سألتك اياه .. فان واجبى نحو لورا ، ونحوك ، ونحو نفسى ، يحتم على أن أبرهن على اننى أقول الحق .. »

ولم تستغرق الآنسة هالكومب وقتا فى كتابة الخطاب ، وحين فرغت منه سلمت الورقة مبسوطة الى سير برسيفال ، فطواها لفوره دون أن ينظر الى محتوياتها ، ووضعها فى ظرف أغلقه وكتب عليه العنوان ثم رده اليها قائلا : « أرسليه بالبريد فورا اذا سمحت .. »

وفى يوم الاربعاء وصل رد السيدة كاتريك ، فاذا به غريب فى بابه ، اذا روعى أن كاتبته امرأة ، اذ كتب بأسلوب شبه رسمى ! ولكنه أكد رواية السير برسيفال كل التأكيد ، وهذا نصه :

« ولمنجهام ، هامبشاير » - فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٤٩

« سيدتى

« أرجو أن تسمحى لى بأن أخبرك بأننى تلقيت خطابك الذى تستفسرين فيه عما اذا كانت ابنتى « آن » قد وضعت تحت الرقابة الطبية بعلمى وموافقتى ، وعما اذا كنت شاكرة للسير برسيفال جلايد دوره فى المسألة ٠٠ وجوابى على هذين السؤالين هو : « نعم »

خادمتك المطيعة

« جين كاثريك »

وكان سير برسيفال فى حجرة الاستقبال مع الفتاتين حين وصل هذا الرد الموجز القاطع ، فترك لهما الوقت الكافى لقراءة الخطاب ٠٠ ثم ألقى عليه هو بدوره نظرة قصيرة ، وقال : «والآن يالورا ، لم يعد ثمة مايمنع من تحديد يوم الزفاف ٠٠؟»

فأجابته الفتاة متوسلة : « أرجو أن تمهلنى بعض الوقت ، وأعدك بأن أعطيك جوابى قبل نهاية العام ٠ أما الان فأشعر بأننى جد مريضة ٠٠ »

وانسحبت من المكان على الفور ، وبعد لحظة تبعتها الآنسة هالكومب ، فوجدتها تذرع غرفتها ذهابا وجيئة فى صبر نافد ٠٠ وابتدرتها قائلة : « كنت فى حاجة اليك ياماريان ، فتعالى واجلسى معى ٠٠ لم أعد أتحمل هذه الحال ياماريان ، ويجب - بل لسوف - أضع حدا لها ! »

فقالت لها الآنسة هالكومب : « نبئينى فى هدوء ياحبيبتى عما ترغبين فى عمله ٠٠ »

– لن أستطيع قط أن أطالب باحلالى من الخطوبة !

وأدركت الآنسة هالكومب ماترمى اليه : فقد وعدت لورا أباها وهو على فراش احتضاره بأن تتزوج من سير برسيفال جلايد ، فتحدث الرجل المحتضر فى سعادة وأمل عن زيجة ابنته المقبلة ·· وكان وعدها لابيها ، واعزازها لذكراه ، يمنعانها من فسخ الخطوبة !

واستطردت لورا فقالت : « لكنى أستطيع أن أكاشف سير برسيفال جلايد بالحقيقه ، وأجعله يحلتى من الخطبة ان شاء ، لا لانني أطلب ذلك ·· وانما لانه يعرف كلشىء ! »

فقالت الآنسة هالكومب : « ماذا تعنين بـ « كل شىء » يالورا ؟ »

– أعنى ياماريان انه كان خليقا بى أن أتمسك بخطوبتى – لا عن سعادة ، مع الاسف – ولكن عن رضى على كل حال ·· لو لم ينبت فى قلبى حب آخر لم يكن موجودا فيه حين وعدت – لاول مرة – بأن أكون زوجة لسير برسيفال ·· وقد عقدت العزم على أن أتحدث اليه غدا ، بحضورك ياماريان ·· »

وأثناء العشاء فى ذلك المساء لاحظت الآنسة هالكومب أن لورا كانت تبدو أكثر انشراحا وتبسطا مع سير برسيفال مما رأتها من قبل ! ولما حيته فى نهاية السهرة ، قالت فى منتهى الهدوء انها ترجو أن تتحدث اليه بعد الفطور ، وانه سيجدها فى قاعة الجلوس مع الآنسه هالكومب ·· فتغير لونه لسماع كلماتها ، اذ كانت المناسبة التى تحدد لها صباح الغد ، فاصلة فى حياته المستقبلة ·· وقد أدرك هو ذلك !·

✣

◆ **ولم** ينضم سير برسيفال اليهما فى الفطور ، ولكنه بعث رساله قال فيها انه سيراهما خلال فترة الصباح ·· وحين دقت الساعة الحاديه عشرة دخل حجرة لورا ، وكانت

كل قسمة من قسمات وجهه تنضح بالقلق والانفعال ، وبدا أن سعاله الجاف الحاد كان أشد وطأة من المعتاد ، ووجهه شديد الشحوب !

وساد الصمت الشامل لحظة ، ثم ابتدرته لورا قائله : « أريد أن أتحدث اليك ياسير برسيفال فى موضوع شديد الاهمية لكلينا ، وما حضور أختى معنا هنا الا لان وجودها يعيننى ويشد أزرى ٠٠ وهى لم تقترح حرفا واحدا مماأوشك أن أقول ، وانما أتكلم بوحى أفكارى الخاصة ، لا أفكارها ! »

وأمسكت هنيهة وهى تنظر الى سير برسيفال ، وكانت قدمه تدق على السجادة ، تحت المنضدة ، فى رفق هادىء رتيب ٠٠ ثم استأنفت قائلة : « لعلك لم تنس ما قلته لك حين وافقت على خطوبتنا ٠٠ لقد قلت لك يومئذ ٠٠ ان تأثير أبى ونصيحته هما الدافع الرئيسى على بذلى ذلك الوعد ٠٠ وأن احترامى لذكرى أبى ، ولوعدى الخاص ، يحولان دون انسحابى من موقفى الراهن ٠٠ ومن ثم فان فسخ خطوبتنا ينبغى أن يأتى من جانبك ، وبوحى من رغبتك أنت يا سير برسيفال ، لا من ناحيتى ! »

وهنا كفت قدمه فجأة عن الطرقات القلقة ، وقال : « من جانبى أنا ؟ ٠٠ أى سبب من جانبى يمكن أن يدعو الى الانسحاب ؟ »

فأجابت : « هناك سبب يشق على جداً أن أذكره ٠٠ هناك تغير طرأ على ، وهو من الخطورة بحيث يكفيك مبررا لفسخ خطوبتنا ! »

وسألها بصوت أجش : « أى تغير ؟ »

ـ عندما عقدت خطوبتنا ، كان حبى فى يدى أمنحه من أشاء حسبما يقدر لى ، وفى متناولك أن تكتسبه أنت ان

استطعت ٠٠ ولكنه الان لم يعد كذلك !٠٠ وان يكن لم تدر بيني وبين هذا الرجل الآخر كلمة عن مشاعرى نحـوه ، ولا عن مشاعره نحوى ٠٠ لا ولن تجرى كلمة بعد الآن ، اذ لا يحتمل أن نلتقى فى هذه الدنيا ثانية ٠٠ ولكنها الحقيقة التى أرى من حق أي زوج مرتقب أن يسمعها ٠ وهذا كل ما لدى ٠٠ لقد قلت أكثر مما يكفى ليبرر عدولك عن الخطوبة ! »

فقال : « بل لقد قلت أكثر مما يكفى كى يجعل تمسكى بالخطوبة أعز أمانى حياتى ! »

أجفلت لورا بعنف وبدرت منها صيحة دهشة خافته ٠٠

بينما كان هو يمضى قائلا : « لقد تركت لى ، يا آنسة فيرلى ، الحق فى أن أحلك من ارتبـــاطنا ٠٠ لكننى لست من قسوة القلب بحيث أهجر امرأة أظهـــرت توا أنها أنبـل بنـات جنسها ! »

ـ اذا كنت لا تزال مصرا على التشبث بخطوبتنا ، فقد أغدو زوجتك الوفية الصادقة ياسير برسيفال ، أما أن أكون زوجتك «المحبة» فهذا ما لن يحدث قط ، اذا كنت أعـرف ما ينطوى عليه قلبى !

ـ اننى أقبل ممتنا صدقك ووفاءك ٠٠ فان أقل ما تستطيعين تقديمه لى هو أكثر عندى من أقصى ما أطمع فيه من أية امرأة أخرى فى الدنيا !

وتناول يدها فرفعها فى رفق الى شفتيه ، ثم انحنى تحية للآنسة هالكومب ٠٠ وغادر الغرفة فى صمت

لم تتحرك لورا عقب خروجه ، ولا فاهت بكلمة ! ٠٠ ورأت ماريان أن الكلام يكون عقيما ميئوسا منه فى هـذا المقـام ، فاكتفت بأن أحاطت كتفى أختها بذراعيها وضمتها اليها في

صمت ٠٠ وظلتا معا وقتا بدا طويلا ، ثم انتزعت لورا نفسها فجأة ونهضت واقفه وهى تقول :

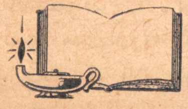
ـ يجب أن أستسلم لمصيرى على خير وجه أستطيعه ! فاخبرى وولتر دائما اذا ما كتبت اليه اننى بخير ، ولا تذكرى له أبدا أننى شقية ! ٠٠ واذا مت قبله ، فاخبريه ٠٠ آه ، يا ماريان ٠٠ قولى له عنى اذذاك اننى ٠٠ كنت أحبه !

وألقت بذراعيها حول عنق ماريان ٠٠ وانخرطت فى البكاء !

✤

◆ **وانقضى** شهر ٠٠ وذات صباح أغبر عاصف من أيام شهر ديسمبر ، زوجت لورا فيرلى لسير برسيفال جلايد فى كنيسة ليمريدج ٠ ولم يحضر عمها الزفاف ـ خشية أن لا تحتمل أعصابه الانفعال ـ لكنه رجا أن تزوره « لورا العزيزة » فى غرفته مرة بثوب العرس ، وأخرى مودعة قبيل سفرها ٠٠ على أن تحذر من أن تكدره !

وعند العصر بدأ سير برسيفال و« ليدى جلايد » رحلتهما الى ايطاليا والنمسا لقضاء شهر العسل ٠٠ وبقيت ماريان هالكومب فى دار ليمريدج تبكى وقد قرح البكاء أجفانها !



٨ ـ الكونت فوسكو

◆ فى احد ايام شهر يونية ـ بعد ستة اشهر ـ وقفت ماريان هالكومب نافذة الصبر فى نافذة غرفة الاستقبال بقصر « بلاكووتر بارك » ـ المقر الريفى لسير برسيفال جلايد ـ تنتظر فى لهفة ظهور العربة التى كانت تحمل اليها ثانية اختها الحبيبة لورا ..

وكان سير برسيفال وزوجته عد انفقا الشتاء فى ايطاليا ، والربيع فى النمسا ، وقد وافق سير برسيفال على ان تعيش ماريان معهما عندعودتهماالى انجلترا .. فغادرت الانسة هالكومب دار ليمريدج قبل ذلك بيومين ، بمجرد ان تلقت رسالة لورا معلنة عودتهما .. ولقد ذكر مستر فيرلى انه سيفتقدها كثيرا ، مثلما كان قد اعرب للورا عقب زواجها عن مدى تحطم قلبه لرحيلها ! ولكنه كان فى الحقيقة يكتم سعادته لبعدهما عن البيت ..

ومرت بذهن ماريان ـ وهىواقفة تنتظر ـ افكار كثيرة .. انها الان فى اقليم « هامبشاير » ، حيثولدت « آن كاثريك » وحيث تعيش امها حتى الان .. وكان الظلام التام يخيم على مصير المرأة التعسة المضطربة العقل ورفيقتها الوفية السيدة كليمنتس ، وعلى حظهما .. فلم يسمع نبأ ما عن احداهما منذ اختفائهما من قرية ليمريدج ! .. وكان سير برسيفال قد اوصى محاميه ـ لدى مغادرته انجلترا ـ بأن يواصل البحثعنهما ٠٠ لكن هذا فقد آخر الامر كل أمل فىهذا الصدد ٠٠

وتحولتافكار ماريان الى « وولتر هارترايت » ٠٠لقد كتب اليها ، عقب زفاف لورا ، ذاكرا انه على اهبة الابحار الى امريكا الوسطى ، اذ عين رساما ملحقا ببعثة للتنقيب بين أطلال مدن « هندوراس » ٠٠ وأضاف المسكين انه كان تحت

رقابة سرية منذ غادر ليمريدج .. وانه سمع اسم « آن كاثريك » ينطق به شخص لم يتبينه تماما وسط الجمع الذى التأم فى ليفربول لتوديع البعثة !

ومنذ ذلك اليوم لم تتلق منه ماريان سطرا واحدا ، وان طالعت فى صحيفة امريكية وصفا لانطلاق المغامرين فى رحلتهم متوغلين فى تلك البلاد ، وقد شوهدوا اخر مرة يدخلون غابة كثيفة المجاهل وكل منهم يحمل بندقية على كتفه .. ومنذ ذلك التاريخ فقد العالم المتحضر كل اثر لهم !

اما لورا ؟ .. فان خطاباتها كانت تقرر انها بخير ، وان السفر والترحال يوافقان صحتها ومزاجها ، بحيث انقضى عليها الشتاء دون ان تصاب ببرد ــ لاول مرة فى حياتها ! .. ولكنها لم تخط فى رسائلها كلمة واحدة عن سعادتها ، وهو اعز موضوع بالنسبة لقلب اختها .. وكان اسم زوجها يرد فى تلك الرسائل وكأنه اسم « صديق » يرافقها فى رحلاتها !.. واحيانا كانت تكتب « برسيفال » فقط ، ولكن هذا كان نادرا .. اذ كانت فى تسع حالات من كل عشر تخلع عليه لقبه الرسمى « سير برسيفال » !

على ان هناك نبأ واحدا سرت له ماريان : ففى (فينا) التقت لورا وزوجها بالكونت فوسكو وزوجته اليانور ــ عمة لورا ــ وقد كان وجود الكونت ، بمحض الصدفة ، فى روما منذ سنوات ، عونا للسير برسيفال على النجاة من السرقة والاغتيال فى اللحظة التى جرحت فيها يده اليمنى وكاد ان يطعن فى قلبه ! .. وقد اعتقدت ماريان بان تلك الصداقة بين الزوجين كفيلة بأن تؤدى الى التوفيق بين زوجتيهما ، وبهذا يسوى نزاع عائلى قديم . وقد ذكرت لورا فى خطابها ان فوسكو وزوجته سيعودان الى انجلترا بصحبتهما ، وسيقيمان فى ضيافتهما ــ بقصر « بلاكووتر بارك » ــ الى ان يوفقا الى دار مناسبة فى لندن ! .. واضافت لورا انها وجدت

عمتها قد تغيرت كثيرا عما الفتها ، فصارت وهى زوجة اميل الى الخير والهدوء والاتزان منها قبل زواجها ..

بيد ان لورا لاذت ـ فى خطاباتها ـ بالصمت فيما يتعلق بالكونت ، كما فعلت ازاء اخلاق زوجها ومسلكه ! فلم تذكر الا انه كان يحيرها ، مما دعا ماريان الى ان تسىء الظن به ـ اذا كانت لورا تحتفظ اكثر من كثير من الناس بغريزة الطفل ، التى توحى اليه بتمييز الاصدقاء من الاعداء ، مرهفة قوية !

واخيرا تحولت ماريان هالكومب عن النافذة ، فجلست وتناولت كتابا .. لكنها عبثا حاولت القراءة ! .. **حتى سمعت وقع حوافر جياد وعجلات عربة تقترب ، ثم تقف .. فهرعت لتفتح الباب ، وفى اللحظة التالية كانت لورا بين ذراعيها فى عناق طويل ، اقصتها بعده قليلا وهى ممسكة بها ، وجعلت تتفرس فى وجهها .. كان شكلها قد تغير ، فمن قبل كان للورا فيرلى جمال يتسم بالنضارة ، والنعومة ، والحنان . وهذا ما لم تستطع ماريان ان تعثر عليه فى ليدى جلايد !**

وكان سير برسيفال بدوره يبدو مهموما ، وقد حيا ماريان دون أن يبدو عليه الانشراح لرؤيتها ، أو يؤثرها بعبارات الترحيب .. بل اكتفى بأن صافحها باقتضاب وقال : « كيف أنت يا آنسة هالكومب ؟ .. يسرنى أن أراك ثانية . دعينى اقدم لك صديقى الكونت فوسكو .. اما مدام فوسكو فقد كنت تعرفينها طبعا باسم الانسة اليانور فيرلى »

وقال الكونت وهو يتناول يد الانسة هالكومب ويرفعها الى شفتيه : « تشرفنا » .. وهنا لمعت عينا زوجته فجأة بنظرة توحى بالغيرة المشبوبة ، وصاحت به قائلة : « ان آداب سلوكك الاجنبية لاتلقى تقديرا من النساء الانجليزيات يا كونت ! » .. فالتفت اليها وقال : « اغفرى لى يا ملاكى ، فان خير واعز انجليزية فى العالم تفهمها » .. ثم اخلى سبيل يد ماريان ورفع فى هدوء الى شفتيه يد زوجته بدلا منها !

✠

◆ **وسرعان** ما كانت ماريان تخلو الى لورا فى غرفتها الخاصة لتعينها على افراغ حقائبها ، فسألتها : « أأنت سعيدة يا عزيزتى ؟ »

فقالت لورا : « ما دمت انا وانت معا ، فاننا نكون اكثر سعادة وارتياحا فيما بيننا ، اذا تقبلنا حياتى الزوجية على ماهى عليه ، ولم نتحدث عنها او نفكر فيها بقدر مانستطيع ! »

وواصلت فك امتعتها ، بينما استنتجت ماريان – وقد امضها الحزن – ان العلاقة بين لورا وزوجها لا ينقصها الفتور ! .. ولم تنقض لحظات حتى سالت لورا اختها : « هل كتبت وتلقيت رسائل كثيرة خلال افتراقنا ؟ »

وفهمت ماريان ان السؤال يرمى الى هارترايت ! ولكنها رات من واجبها الا تشجع اختها فى هذا الصدد .. ومع ذلك مضت لورا متسائلة : « هل تلقيت انباء منه ؟ .. هل هو بخير وسعادة ؟ .. هل نسينى ؟ »

فأجابت ماريان ، بأنها لم تكتب له ولم تسمع عنه شيئا فى الفترة الاخيرة . ثم حولت دفة الحديث الى موضوعات اقل خطورة !

✠

◆ **وفى** الايام التالية وجدت الانسة هالكومب نفسها شديدة الاهتمام بشخصية الكونت فوسكو الغريبة . . كان الكونت مفرط البدانة ، وبرغم دنوه من سن الستين كان وجهه ناعما خاليا من اية تجاعيد ! .. وكان – رغم بدانته وكبر سنه – خفيف الحركة ، سهلها ، اذا وجد فى مكان حرص على تجنب الضجة كأية امراة وديعة ! .. وكان له شغف غير عادى بالحيوانات الاليفة التى ترك الكثير منها فى اوربا ، وان

احضر معه الى « بلاكووتر بارك » اسرة كاملة من الجـرذان البيضاء ، تعيش فى قفص صـغير من الاسلاك ذات الطلاء الزاهى . وكانت جد اليفة وديعة ، حتى انه كان يخرجها من القفص احيانا فتزحف على كل جزء من جسمه وتندس فى صديريته او تخرج منهـا ، وتجلس ازواجا بلونها الابيض كالثلج على كتفيه العريضتين .. فيبتسم لها ويقبلها ويناديها بكافة اسماء التدليل ! لكن هذا الرجل عينه كان يتكلم بأسلوب ينم عن استقلال فى الراى ، والمام بالكتب الصادرة بكل لغة ، وخبرة بالمجتمع فى نصف عواصم اوربا ، مما كان كفيلا بأن يجعله شخصية هامة فى اى مجتمع متحضر !

وكان لهذا الرجل البدين المكتهل قوة خارقة تكمن فى عينيه الباردتين الرماديتين ، حتى لقد ذهب فى صبيحة يوم وصوله الى حظيرة القصر ووضع يده على راس كلب مفترس مقيد بالاغلال ، بلغ من توحشه وشراسته ان كان الخادم الذى يتولى تقديم الطعام له يتحرز من الاقتراب منه ، فقـال الخادم للكونت محذرا : « احترس يا سيدى من الكلب ، انه متوحش يهاجم كل انسان ! »

فأجاب الكونت فى هدوء : « انه يفعل ذلك يا صديقى لان الجميع يخشـونه ويتجنبونه ! .. فلنر ما اذا كان يهب فى وجهى ! » .. ثم وضع اصابعه البدينة البيضـاء على راس الكلب وسدد نظراته الى عينيه ، وهو يقترب منه حتى كاد وجهاهما يتلامسان ، ثم خاطبه قائلا : « هكذا انتم جبناء ، معشر الكلاب الكبيرة .. انك لا تتورع عن قتل قط مسـكين ايها الجبان .. وقد تنقض على متسول جائع ايها الجبان ، ان اى شىء يخاف من جسمك الضخم وفمك المتعطش الى الدماء هو عين الشىء الذى يلذ لك ان تنقض عليه .. انك تود لو تجرب انيابك البيض فى عنقى الممتلىء ، لكنك لا تكاد تجرؤ حتى على ان تنظر الى وجهى ، لاننى لا اخافك ! »

ثم تحول مبتعدا عنه وهو يضحك لمنظر الخادم المشدوه ، بينما زحف الكلب عائدا الى وكره فى هدوء !

وكان للكونت عين التأثير والسلطان على زوجته .. فلقد كانت « اليانور فيرلى » حتى سن السابعة والثلاثين امراة حمقاء وتافهة ، لا تكف عن الثرثرة بالسخافات .. ولكنها وقد اصبحت مدام فوسكو - فى سن الثالثة والاربعين - اصبحت تجلس الساعات دون أن تنطق بأية كلمة ، متشاغلة بلا انقطاع بلف السجائر الصغيرة لزوجها .. وعندما كانت عيناها الزرقاوان الفاترتان تتحولان عن عملها - فى مناسبات قليلة - كانتا تتجهان عادة الى زوجها بنظرات ملؤها التساؤل الخاضع الصامت ، كتلك التى تصدر عن عينى كلب امين !..

اما فى المجتمعات فكان الكونت ينحنى لها ويظهر خضوعه ، وكان يناديها عادة : « يا ملاكى » ، ويقبل يدها !

وهكذا كانت العصا الحديدية التى يحكمها بها لا تبدو قط للعيان .. كانت عصا خاصة ، سرية !

*

◆ **وكانت** فى الارض المحيطة بقصر « بلاكووتر بارك » بحيرة - اشتق اسمه منها - وعلى ضفتها كان ثمة مخزن للزوارق حول الى « استراحة » وضعت فيها اريكة وبضعة مقاعد ومنضدة خشبية ، وكان القوم كثيرا مايتمشون الى البحيرة فيستريحون فى مخزن الزوارق ..

وذات صباح كان الجميع هناك ، ووقف سير برسيفال امام الباب يتسلى بتقليم عصا بمطواة ، بينما انهمكت لورا فى بعض اشغال الابرة ، ومدام فوسكو فى لف السجاير لزوجها .. اما ماريان فلم تكن تفعل شيئا اذ كانت يداها كأيدى الرجال عاجزتين عن اتقان اى فن نسائى ! .. واما الكونت فقد جلس على مقعد صغير لا يناسب حجم جسمه ، ووضع على

حجـره قفص الفيران وتركها تزحف على ذراعيه وكتفيـه كالمعتـاد !

وقال سير برسيفال وهو يشير الى البحيرة بعصاه التى لم يتم تقليمها : « بعض الناس يصفون هذه البحيرة بأنها جميلة ، أما انا فأعتبرها لطخة تشوه املاك اى سيد .. ان عمقهـا لا يبلغ اربعة اقدام بأى الاحوال ، وبودى لو استطيع ان اقدم على ردمها وزراعة الارض مكانها .. ولكن يقال ان هناك لعنة معقودة عليها ، فما رايك فى ذلك يا فوسكو ؟ .. انها تبدو اصلح مكان لارتكاب جريمة قتل ! .. اليس كذلك ؟ »

فأجاب الكونت : « ما الذى يفكر فيه عقلك الانجليـزى يا عزيزى برسيفال ؟ ان مياه البحيرة ضحلة لا تخفى الجثة .. ثم ان الرمال تحيط بها فتكشف اثار قدمى القاتل ! .. انهـا اسوا مكان وقعت عليه عيناى لارتكاب جريمة القتل ! »

فقال سير برسيفال : « انما اقصد ان المنظر موحش والبقعة منعزلة » فقال الكونت : « اذا كان معتزم جريمة القتل غبيا ، فان بحيرتك هى اول مكان يختاره .. اما ان كان عاقلا فان بحيرتك اخر مكان يفكر فيه ! »

وهنا حدجت لورا فوسكو بكراهية تجلت على وجهها ، ثم قالت : « ان وصف القتلة بانهم « اغبياء » فقط يوحى بكرم فى معاملتهم لا يستحقونه ، كما ان وصفهم بالحكمة خطأ ايضا ، فهل وجد عاقل حكيم بين كبار المجرمين يوما ما ؟ »

فقال الكونت : « لا استطيع الاجابة على سـؤالك ، لان جريمة الرجل الذكى هى الجريمة التى لا تكتشف . انمـا تكتشف جريمة الغبى ! »

فقال سير برسيفال متهكما : « الا نبئيه يا لورا ان الجرائم تكتشف دائما .. فما هذا الهراء ؟ »

فقالت لورا فى هدوء : « اعتقد ان هذا صحيح »

وانفجر سير برسيفال ضاحكا ، بينمـا خفت ماريان الى

نجدة اختها قائلة : « وانا ايضا اعتقد ذلك ! »

والتفت الكونت الى زوجته متسائلا : « وانت يا ملاكى .. ما رايك ؟ »

فأجابت مدام فوسكو : « اننى فى حضرة الرجال ذوى المعرفة انتظر التوجيه قبل ان ادلى برايى .. ما رايك انت فى هذا الامر يا كونت ؟ »

ـ الامر هكذا .. هناك مجرمون اغبياء يفتضحون ، ومجرمون عقلاء ينجون .. وما اخفاء الجريمة او اكتشاف الجريمة الا مباراة فى الذكاء والمهارة بين البوليس فى جانب ، والفرد فى الجانب الاخر ! .. فحين يكون المجرم غبيا جاهلا ، يفوز البوليس فى تسع حالات من كل عشر .. وحين يكون المجرم حازما ، متعلما ، بارع الذكاء ، فان البوليس ـ فى تسع مرات من عشر ـ يخسر .. واذا كسب البوليس فانكم تسمعون عادة كل شىء عن الجريمة .. اما اذا خسر البوليس فانكم عادة لا تسمعون شيئا ! »

فصاح سير برسيفال : « صحيح جدا .. وشرح جميل »

وقالت ماريان معلقة على قوله : « قد يكون بعضه صحيحا وقد يكون شرحه جميلا .. ولكن لماذا يتحدث الكونت فوسكو عن انتصار المجرم على المجتمع بكثير من السرور ، ولماذا تتحمس له يا سير برسيفال بهذه الدرجة ؟ »

فتساءل سير برسيفال : « اتسمع هذا ؟ .. استجب لنصحى وكن دائما على سلام مع السيدات . قل لهن : ان الفضيلة شىء جميل ! »

فضحك الكونت فى رفق وقال : « ان السيدات يا عزيزى برسيفال سيحدثننى عن الفضيلة لانهن يعرفنها وانا اجهلها . سأنهض على ساقى الفيل اللتين اوتيتهما قبل ان اشوه موقفى فى آرائهن .. سانهض واتمشى قليلا مع فيرانى فى الهواء الطلق .. »

٩ ــ مستند ينقصه التوقيع

◆ **كان** القوم قد عادوا الى القصر وجلسوا الى مائدة الغداء ، حين دخل عليهم خادم يقول : « ان مستر مريمان حضر ياسيدى، وهو يبغى أن يراك فورا ! »

فردد سير برسيفال فى غضب : « مستر مريمان ؟ »

ــ نعم ياسير برسيفال .. مستر مريمان من لندن !

وساله برسيفال غاضبا : « اين هو ؟ »

فقال : « فى غرفة المكتبه ياسير برسيفال »

وغادر سير برسيفال المائدة من فوره ، واسرع مغادرا الغرفة دون أن ينبس بكلمة للباقين .. فتساءلت لورا : « من هو مستر مريمان ؟ »

وأجابتها ماريان : « ليست لدى أدنى فكرة عنه ! »

فقال الكونت فوسكو بهدوء : « مستر مريمان هو محامى سير برسيفال ! »

وبعد انتهاء الغداء أوت ماريان الى مخدعها لتستريح ، ثم هبطت بعد ساعتين .. وكانت تمر بباب غرفة المكتبة حين سمعت صوت المحامى يقول : « خل عن بالك يا سير برسيفال . ان الامر كله فى يد ليدى جلايد » .. ووقفت ماريان بمجرد سماعها اسم لورا .. ودفعها حبها لاختها الى أن تنصت دون أن تشعر بخجل من عملها .. وكان المحامى قد استطرد قائلا : « لعلك تفهم ما أعنى ياسير برسيفال .. على الليدى جلايد ان توقع باسمها فى حضور شاهدين ، فاذا فعلت فلن يبقى ثمة داع لانزعاجك .. واذا لم تفعل .. »

وهنا قطع سير برسيفال كلام محاميه قائلا فى غضب :

« ماذا تعنى بقولك : « اذا لم تفعــل ؟ .. اذا كان هــذا الاجراء ضروريا فسوف يتم . اعــدك بذلك يا مريمان »

فقال المحامى : « فليكن ياسير برسيفال ، ولكن لكل مسألة وجهان دائما ، ونحن معشر المحامين نحرص على أن نواجــه الاحتمالين . فاذا لم يتم توقيع المستند فقد استطيع اقناع دائنيك بالانتظار ثلاثة أشهر أخرى ٠٠ ولكن كيف يمكن تدبير المبلغ بعد ذلك ؟ »

ـ ليس هناك غير سبيل واحد لتدبير المبلغ ٠٠ وأكرر لك انه سيحصل من هذا السبيل عينه !

ولم تنتظر ماريان لتسمع أكثر من ذلك ، بل غادرت البيت وسارت فى الحديقة ، تفكر فيما سمعت ٠٠ حتى قطع عليها تفكيرها خادم جاء ينبئها بأن سير برسيفال يريد أن يراها فى حجرة المكتبة ٠٠

وقال سير برسيفال اذ ولجت الغرفة : « آسف أن أزعجك، لكنها غلطة فوسكو وليست غلطتى ٠٠ انه يرفض السماح لزوجته بأن تكون أحد الشاهدين ! »

وكانت لورا واقفــة الى جــوار المكتب تنتظر وهى تعتصر منديلها فى يديها ٠٠ بينما جلست مدام فوسكو بالقرب منها فى مقعد كبير ، ترمق فى صمت واعجاب زوجها الذى وقف الى جوار النافذة ٠٠ وما أن ظهرت ماريان حتى تقدم يستقبلها قائلا :

ـ ألف معذرة يا آنسة هالكومب ، أتعـرفين الصفة التى أطلقها الانجليـز على أبنـاء بلادى ؟ ٠٠ اننا معشر الايطاليين جميعا ماكرون فى عرف « جون بول » الطيب ، وانا لا اختلف عن بقية قومى ، ومكرى لا يقر أن تكون مدام فوسكو أحد الشاهدين على توقيع ليدى جلايد فى حين اننى ساكون شاهدا أيضا ٠٠

فقال سير برسيفال : « لا داعى لمعارضته ، فقد أوضحت له ان القانون فى انجلترا يسمح لمدام فوسكو أن تكون شاهدة على التوقيع الى جانب زوجها ٠٠ »

فقال له فوسكو : « أنا أعترف بذلك ٠٠ ان القانون فى انجلترا يجيز هذا ، ولكن فوسكو لا يجيزه ٠ ولست أعرف ـ ولا أحب أن أعرف ـ ما تكونه هذه الوثيقة التى توشك ليدى جلايد أن توقعها ٠٠ ولكن من المستحب أن يكون الشاهدان ممثلين لرأيين مستقلين ٠ وهذا ما لا يتوافر اذا وقعت أنا وزوجتى ، لان لنا فيما بيننا رأيا واحدا هو رأيى أنا ٠٠ ولست أحب أن يقال يوما ان مدام فوسكو تصرفت تحت ضغط منى ، ومن ثم لم تكن شاهدة على الاطلاق »

ونهضت مدام فوسكو من مقعدها وقد لمحت ايماءة من عينى زوجها يأمرها بها بمغادرة الغرفة ! ٠٠ فقال سير برسيفال : « لا حاجة بك الى الانصراف ! »

فالتفتت مدام فوسكو مرة أخرى ترتقب أوامر زوجها ، فلما تلقتها فى نظراته ، قالت انها تؤثر أن تتركهم لعملهم ، وخرجت فى اصرار ٠٠

وفتح سير برسيفال عقب خروجها صوانا أخرج منه ورقة من النوع الذى تكتب عليه الوثائق (البرشمان) وقد طوى عدة مرات ، ففض الطبقه الاخيرة منه ، ووضعه على المنضدة ، واضعا يده على بقية الطبقات ٠ وكانت الطية الاخيرة بيضاء ، فى حين بقيت الاجزاء المكتوبة كلها مطوية ٠٠ ثم غمس ريشته فى الحبر وقدمها لزوجته قائلا وهو يشير لها الى الموضع :

ـ وقعى باسمك هنا ٠٠ وبعدئذ توقعين أنت وفوسكو يا آنسه هالكومب !

فسألته لورا فى هدوء : « وما الذى سأوقع عليه ؟ »

فأجابها سير برسيفال : « ليس لدى وقت للايضاح ، اذ يجب ان انصرف فورا ، والعربة تنتظرنى امام الباب .. ثم انك لن تفهمى الامر . حتى لو كان لدى وقت فانك لن تفهمى .. انه مستند قانونى ملىء بالمصطلحات الفنية .. هيا ، هيا ! .. ضعى توقيعك ودعينا نفرغ من المسألة بأسرع ما يمكن »

قالت : « بل يجب ان اعرف ما اوقعه قبل ان اكتب اسمى »

ـ هراء .. ما للنساء والاعمال ! .. اكرر لك انك لن تفهمى المسالة

ـ على اى حال دعنى احاول ان افهمها .. فقد اعتاد مستر جيلمور ان يشرح الامر لى اولا كلما احتاج الى توقيعى ..

ـ كان جيلمور فى خدمتكم ، فكان مضطرا للايضاح .. اما انا فانى زوجك ، ولست مضطرا لذلك .. الى متى تعتزمين ان تعوقينى عن الذهاب ؟ .. هل ستوقعين او لن توقعى ؟

ـ اذا كان توقيعى بمثابة تعهد منى بشىء ما ، فمن حقى دون ريب ان اعرف هذا التعهد !

وعندئذ رفع برسيفال العقد وضرب به المائدة فى غضب وصاح : « افصحى .. لقد طالما اشتهرت بصراحتك .. لا تراعى وجود الانسة هالكومب ولا فوسكو ، وقولى بصراحة انك لا تثقين فى ! »

فوضع الكونت يده على كتف سير برسيفال ، ولكن هذا نحاها عنه فى حنق ، فعاد الكونت ووضعها من جديد فى هدوء ، وقال : « اكبح اعصابك التعسة يا برسيفال »

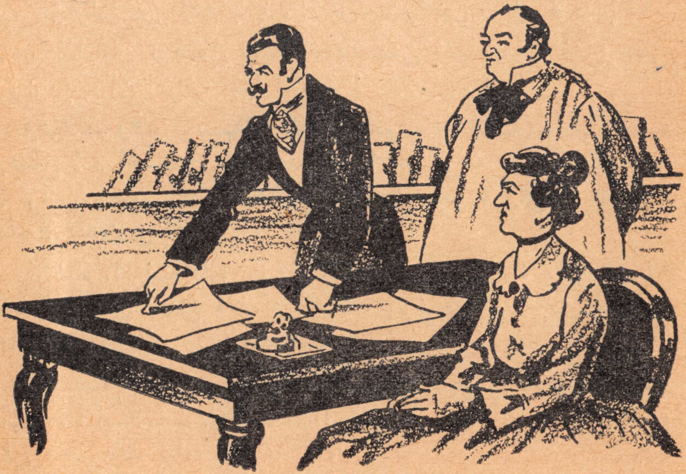
وقالت لورا : « من الظلم والقسوة ان تتهمنى بأننى لا اوليك ثقتى .. اسال ماريان عما اذا لم اكن على حق فى طلبى الاطلاع على محتويات هذه الوثيقة ؟ »

فأجابها : « ليس للانسة هالكومب شان فى هذا الامر »

فقالت ماريان : « لا تؤاخذنى يا سير برسيفال .. اننى كأحد الشاهدين على التوقيع ارى ان لى بعض الشأن فى هذا الامر .. وانا اقر لورا .. وبالاصالة عن نفسى ، ارفض ان اوقع كشاهدة ما لم تتح لها الفرصة لكى تفهم كنه المكتوب فى الوثيقة اولا »

قال سير برسيفال : « فى المرة القادمة التى تدعين نفسك فيها الى بيت انسان يا آنسة هالكومب ، ارجو ان لا تردى له ضيافته بالانحياز الى جانب زوجته فى مسالة لا تعنيك ! »

وهبت ماريان واقفة فجأة عند هذه الاهانة وكأنها تلقت صفعة .. ولو كانت رجلا لالقته ارضا وتركت بيته دون ما رجعة .. ولكنها لم تكن سوى امراة احبت زوجته الى درجة جعلتها تعود الى الجلوس دون ان تنبس بكلمة !



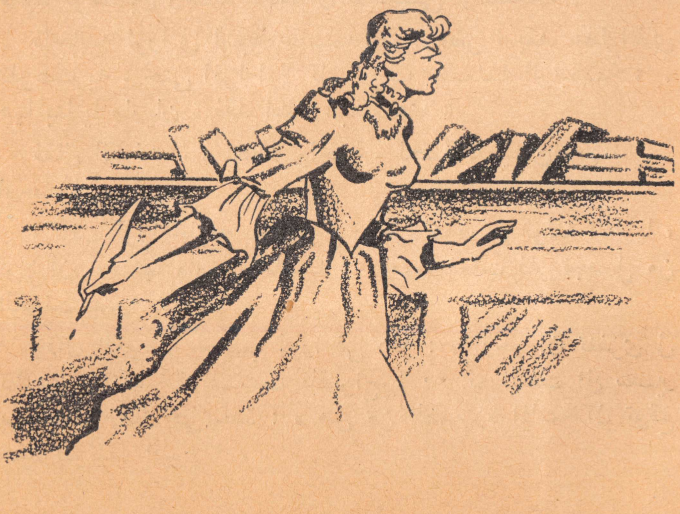
وادركت لورا مدى ما كانت تعانيه اختها ، فهمست لها فى رفق والدموع تنساب من عينيها : « اواه يا ماريان .. لو كانت امى على قيد الحياة مافعلت من اجلى اكثر مما تفعلين ! »
وعاد سير برسيفال فصاح بزوجته قائلا : « تعالى ووقعى ! »

فهمست هذه فى اذن ماريان : « هل افعل ؟ .. سأوقع ان اشرت بذلك » .. فأجابتها ماريان : « لا توقعى على اى شىء ما لم تقرأيه أولا ! »

وصاح سير برسيفال بأعلى صوته فى حنق : « تعالى ووقعى ! »

فتناولت لورا الريشة ثانية وقالت : « ساوقع بكل سرور .. اذا عرفت ما الذى اوقعه .. ان لى الحق .. »

فصرخ سير برسيفال وقد عجز عن قمع حنقه : « حقك ؟. اتحدثيننى عن حقك ؟ .. ليس لك حقوق على الاطلاق ..



لقد فقدتها حين اعترفت لى بعلاقتك الغرامية مع التعس الذى كان يعلمك الرسم ! »

وفى اللحظة التى نطق فيها بهذه الكلمات ، القت لورا بالريشة من يدها ونظرت الى زوجها بازدراء لم تر ماريان له مثيلا فى عينيها من قبل . ثم ادارت له ظهرها دون ان تنطق بحرف ..

وهمس الكونت : « يا لك من ابله ! » .. فالتفت سير برسيفال اليه وقد عقل الانفعال لسانه ، بينما اخذ فوسكو يشد قبضته القوية على كتف صاحبه بتؤدة .. ثم قال فى هدوء : « برسيفال .. اننى اذكر جيداً اننى فى حضرة سيدات ، فهل لك ان تتكرم فتذكر ذلك انت الاخر ؟ »

وعاد سير برسيفال يخاطب زوجته بلهجة مغايرة ، وقد ادرك ان غضبه دفعه الى التفوه بما عاد عليه بالضرر : « اذن فأنت ترفضين رفضا قاطعا ان تمنحينى توقيعك ؟ »

فأجابته لورا فى لهجة حاسمة : « ارفض ، بعد هذا الذى تفوهت به ، حتى اقرا اولا كل حرف تضمنته الوثيقة . هيا بنا يا ماريان ، فقد أطلنا البقاء هنا »

فقال الكونت : « لحظة واحدة ، لحظة يا ليدى جلايد .. ارجوك »

وكانت لورا خليقة بأن تبرح الحجرة دون أن توليه التفاتا ، لولا أن أوقفتها ماريان هامسة : « مهما فعلت فلا تجعلى من الكونت عدوا لك ! »

وقال الكونت يخاطب لورا فى رقة : « أرجو أن تغفرى لى ياليدى جلايد اذا تقدمت باقتراح » .. ثم التفت الى سير برسيفال وقال فى حدة : « هل من الضرورة الماسة أن توقع هذه الوثيقة اليوم ؟ »

ـ انه ضرورى لخطتى ورغباتى ..

ـ أجب بوضوح على سؤالى الواضح : هل يمكن تأجيل التوقيع الى غد ؟ .. أجب بنعم أو لا !

ـ نعم ..

ـ اذن ففيم اضاعه وقتك هنا ؟ .. ارجىء التوقيع الى غد !

فقال سير برسيفال متجهما : « انك تخاطبنى بلهجة لا احبها .. لهجة لا اقبلها من اى رجل »

فأجابه الكونت مبتسما فى ازدراء : « اننى أنصحك لخيرك : أمهل نفسك ، وامهل الليدى جلايد .. هل نسيت أن عربتك تنتظر امام الباب ؟ .. كم من النصائح الطيبة بذلتها لك مذ عرفتك ؟ .. انها أكثر من أن تستطيع احصاءها ، فهل أخطأت يوما ؟ .. اذهب فقم بجولة فى العربة وأرجىء التوقيع حتى تعـود .. »

وتردد سير برسيفال ، ثم نظر الى ساعته وقال فى النهاية : « سأعمل بنصيحتك يافوسكو ، لا لاننى أريدها أو أؤمن بها ، ولكن لاننى لا أطيق البقاء هنا أكثر من ذلك ! » .. ثم حدج زوجته بنظرة حاقدة وقال : « اذا لم توقعى عند عودتى غدا .. »

وضاعت بقية العبارة فى ضجيج الخـزانة اذ فتحها ثانيـة فوضع الوثيقة جوفها ثم احكم اغلاقها فى الحال .. وتناول قبعته وقفازيه من فوق المنضدة وسعى الى الباب .. فتراجعت لورا وماريان كى تمكناه من المرور ..

وقال مكررا لزوجتـه : « تذكرى .. غـدا » .. ثم انطلق خارجا !

١٠ ـ شبح بجوار البحيرة

◆ **قال** الكونت فوسكو حين انصرف صديقه : « لقد رأيتما برسيفال فى أسوأ أحواله .. وانى بوصفى صديقه القديم ، لآسف من أجله وخجل منه .. وكصديقه الحميم أعدكما بأنه لن يسلك غدا مثل هذا المسلك المزرى ! »

وكانت ماريان تربأ بنفسها أن تدين للكونت بشىء ، لكن خوفها منه دفعها الى أن تشكره بأدب .. ثم أحاطت أختها لورا بذراعها وتركتا الحجرة .. واذ بلغتا البهو ، سمعتا عجلات العربة وهى تبتعد .. فهمست لورا : « الى أين هو ذاهب ياماريان ؟ .. يبدو ان كل عمل جديد يأتيه يخيفنى من المستقبل ! »

فأجابتها : « وكيف أعرف أسراره ؟ »

فعادت لورا تسأل : « ترى هل يعرف الخدم شيئا ؟ »

ـ لا ، بالتأكيد .. لابد انهم يجهلون ذلك مثلنا تماما

وهنا هزت لورا رأسها فى ارتياب وأردفت قائلة : « ألم تسمعى من الخدم شائعة عن أن « آن كاثريك » شوهدت فى المنطقة المجاورة ؟ .. الا تعتقدين انه ربما كان قد خرج للبحث عنها ؟ »

فأجابتها أختها : « لا تشغلى بالك بهذا الامر على الاطلاق يالورا .. تعالى الى غرفتى ، ولتستريحى وتهدئى .. »

*

◆ **وجلستا** معا الى جوار النافذة فى غرفة ماريان ، واستسلمتا لنسيم الصيف العليل يداعب وجهيهما .. ثم حدثت ماريان أختها بأمر تلك المناقشة التى سمعتها صدفة بين سير برسيفال

ومحاميه ، وعقبت قائلة : « أنا واثقة من أن المستند الذى أرادك سير برسيفال على أن توقعيه كفيل بأن ينتزع منك ثروتك أو بعضها على الاقل ٠٠ لذلك يجب أن لا توقعى شيئا يالورا ٠٠ »

فقالت هذه : « بل ليتنى منحته توقيعى اكراما لك ٠٠ لقد تفطر قلبى ـ وانه ليتفطر كلما فكرت فيما تحملت فى المكتبة من أجلى ـ ترى ماذا نفعل ؟ ٠٠ ليت لنا صديقا يعيننا وينصحنا ! ٠٠ صديقا نستطيع أن نركن حقا اليه ! »

وقرأت ماريان فى عينيها انها تفكر فى «وولترهارترايت» ٠٠ لقد أصبحتا ـ ولما تنقض ستة شهور ـ فى حاجة الى خدماته التى وضعها تحت تصرفهما وهو يودعهما ! ٠٠ واستطردت لورا قائلة : « هل سمعت ما قاله لى سير برسيفال ؟ ٠٠ انك لا تعلمين مبلغ التعاسة التى كنت فيها ٠٠ وانه ليصعب على أن أعترف بأن الرجل الذى وهبته حياتى كلها هو أقل الناس اكتراثا بها ٠٠ **كم من مرة سمعتك تضحكين ساخرة من فقرك ياماريان ؟ ٠٠ فلا تضحكى ثانية ، بل جدير بك أن تشكرى الله لفقرك ، فهو يجعلك سيدة نفسك وينقذك من المصير الذى أصابنى !** »

ويالها من بداية محزنة على شفتى زوجة شابة ! ٠٠ كانت الايام القليلة التى أمضيتاها معا فى قصره « بلاكووتر بارك » كافية لان تظهر ماريان على حقيقة السبب الذى قام عليه زواج لورا ، فأدركت ان سير برسيفال انما يمثل دورا فى دار ليمريدج ! ٠٠ وان أدبه وتواضعه ولطفه هناك لم تكن كلها سوى حيل رجل دنىء ، ماكر ، قاس ، كشف قناعه حين بلغ هدفه ! ٠٠ وفضح فى المكتبة ـ فى عصر ذلك اليوم ـ عن حقيقة شخصيته ٠٠

وقالت لورا : « أتذكرين ما قلته له فى ليمريدج ؟ ٠٠ لقد كان سرا لا يضير ٠٠ أليس كذلك ؟ ٠٠ لم أكتم عنه سوى الاسم ٠٠ لكنه اكتشفه ! ٠٠ كنا فى مأدبة عشاء فى روما ، حين ذكر أحدالضيوف اسم‌مستر هارترايت‌وأثنى عليه كمدرس بارع ، وشاب متواضع ، مهذب ٠٠ وفى تلك اللحظة التقت عيناى وعينا زوجى ، فأدركت من نظرته ان عينى قد خانتانى وفضحتا سرى !٠٠ **وحين خلونا فى تلك الليلة ، أغلق باب الحجرة بالمفتاح ، ثم دفعني بعنف نحو أحد المقاعد ، وصاح : « منذ أدليت لى باعترافك فى ليمريدج ، وأنا أسعى لمعرفة اسم ذلك الرجل ٠٠ وقد قرأته الليلة على وجهك !٠٠ لسوف تكفرين عن ذلك ، وسيكفرهوالآخر ، حتى آخر لحظة من حياتيكما!٠٠ والان ، امضى الى فراشك ، واحلمى به ـ ان شئت ـ وعلى كتفيه آثار سوطى ! » ٠٠ ومن ذلك اليوم ، كلما غضب منى اخـــذ يهيننى بالاشارة الى عاطفتى البريئـة نحـو وولتـر هارترايت ! »**

واحتضنتها ماريان بين ذراعيها ، وقد تمثلت لها صورة « وولتر هارترايت » واليأس مرتسم على وجهه اذ أدمت كلماتها فؤاده يوم حدثته فى البيت الصيفى بقصر ليمريدج ٠٠ وخيل اليها ان الصورة تؤنبها ، فأحست بالندم ٠٠ كانت يدها هى التى ساقت الرجل الذى أحبته أختهـا بعيـــدا عن وطنـه وصحابه ٠٠ لقد وقفت بين هـذين القلبين لتفرق بينهما الى الابد ٠٠ كانت هى التى فعلت ذلك ٠٠ وفعلته من أجل سير برسيفال جلايد !

وقالت ماريان بعد صمت استغرق بضع لحظات : « لنهبط الى حجرة الجلوس يا عزيزتى ، فقد نثير الشكوك اذا أطلنا البقاء معا فى خلوة ! »

فقالت لها لورا : « الشكوك ؟ ٠٠ شكوك من نثير ، اذا كان سير برسيفال قد غادر البيت ؟ ٠٠ أم تراك تعنين الكونت فوسكو ؟ »

ـ ربما كنت أعنيه يالورا ٠٠

ـ ها أنت ذى قد بدأت تكرهينه كما أكرهه ياماريان !

ـ لا ، لست أكرهه ، فالكراهية ترتبط بالاحتقار ، ولست أرى فى الكونت ما يستدعى الاحتقار !

ـ ما أحسبك خائفة منه ؟

ـ ربما ٠٠ بعض الشىء !

ـ أوتخشينه بعد المساعدة التى قدمها لنا اليوم ؟

ـ نعم ٠٠ انى لاخشى عونه أكثر مما أخشى عنف سير برسيفال ! .. تذكرى ما قلته لك فى المكتبة .. مهما فعلت فلا تجعلى من الكونت عدوا !

وهبطتا الى الطابق الارضى ، فقابلتنا فوسكو وزوجته مرة أخرى حول مائدة العشاء ٠٠ وكان الكونت بادى المرح ، وقد بذل جهدا كبيرا كى يسرى عن لورا وماريان ، كأنما كان مصرا على أن ينتزع من ذاكرتيهما ذكرى ما جرى عصر ذلك اليوم فى حجرة المكتبة !

وبعد العشاء ، انسحب الكونت ليتفرغ للقراءة ٠٠ واقترحت لورا الخروج الى نزهة فى الحقول للاستمتاع بمنظر الليل الطويل وهو يخيم على الكون ٠٠ وكان من ضرورات الادب وحسن السلوك أن تدعوا مدام فوسكو لمرافقتهما . ولكن هذه ـ على ما اتضح ـ كانت قد تلقت أوامر سابقة من زوجها ، فالتمست منهما أن تتكرما فتعفياها ، قائلة : « ان الكونت قد يحتاج الى عدد جديد من السجاير ، ولا يستطيع سواى أن يصنعها بالشكل الذى يرضيه »

وخرجت لورا وماريان وحدهما ٠٠ وكان المساء معتما ، وقد مالت الشمس الى الغروب فى غمرة الضباب ، وبدت فى الافق نذر مطر كان من المحتمل أن ينهمر عندما يستكمل الليل سيطرته ٠٠ وتساءلت ماريان : « فى أى اتجاه نذهب ؟ »

فأجابت لورا : « الى البحيرة ان راق لك ، فليست لى نزهة مفضلة فى «بلاكووتر بارك» ، بل ان كل النزهات هنا سواء فى نظرى »

وكان يخيم على البحيرة ضباب أبيض منخفض ، بدت خلاله رؤوس الاشجار القائمة على الضفة المقابلة أشبه بغابة عائمة فى السماء ٠٠ وكان الصمت رهيبا ، لا تعكره خفقة من أوراق الشجر ، أو نغمة من شدو الطير ٠٠ بل لقد انقطع حتى نقيق الضفادع !

وبلغتا مخزن الزوارق ، فطاب لهما أن تجلسا بداخله لتستريحا ٠٠ وقالت لورا : « هنا نستطيع أن نستمتع بالخلوة أكثر منا فى أى مكان آخر ٠٠ **أواه ياماريان ! اننى بعد الذى حدث فى المكتبة بعد ظهر اليوم لم أعد أرى أى جدوى فى كتمان شقائى عنك ! ٠٠ كنت كثيرا ما أفكر ــ ونحن فى الخارج ــ فى ((وولتر هارترايت)) ، واتصور ما كان من المحتمل ان اصير اليه لو كنت قد أرضيت الله فأنعم على بالفقر ، لاكون زوجة له ٠٠ كنت أتصور نفسى فى ثوب رخيص ، أجلس فى منزلى أنتظره فى سعيه لكسب عيشنا ، وأعمل من أجله وأنا سعيدة لاضطرارى لهذا العمل من أجله !** »

وانهمرت الدموع منحدرة على وجهها ٠٠ بينما لاذت ماريان بالصمت ، اذ لم تجد حديثا يواسيها ٠٠ وهكذا بقيتا حتى تكاثف الظلام ، فقالت ماريان أخيرا : « لقد تأخر الوقت ونحن بعيدتان عن البيت ، فهيا نعد اليه ٠٠ »

وكان الضباب المخيم على البحيرة قد تكاثف حين قفلتا عائدتين ٠٠ وفجأة ، التفتت لورا وقد وقفت ٠٠ وأخذت ترتجف فى عنف ، مغمغمة : « ماريان ! ٠٠ ألا ترين شيئا ؟٠٠ أنظرى ! »

ـ أين ؟

ـ على ضفاف البحيرة !

وأشارت بيدها ، فتبعت عينا ماريان اشارتها ، فرأت بدورها ما رأته أختها ٠٠ كان ثمة شخص يتحرك بمحاذاة شاطىء البحيرة نحو مخزن الزوارق الذى غادرتاه لتوهما ٠٠ وكانت تحيط به هالة من الضباب الابيض وهو يتحرك ببطء ٠٠ وئيدا ٠٠ حتى مر خلف مخزن الزوارق ٠٠ ثم لم تعودا تريانه !

وهمست لورا متسائلة : « أكان رجلا أم امرأة ؟ »

ـ لا أستطيع الجزم ٠٠

ـ وما الذى ترجحينه ؟

ـ يخيل الى انه امرأة ٠٠

ـ انى خائفة ياماريان ، ولست أستبين طريقنا ٠٠ ماذا لو اقتفى الشبح خطواتنا ؟

وكانتا قد أصبحتا بين الاشجار التى كانت تفصلهما عن البيت ٠٠ وما عتمت لورا أن همست فجأة : « صه ! ٠٠ أسمع حركة خلفنا ! »

فقالت ماريان تطمئنها : « انها الاوراق الجافة تتساقط من الشجر »

قالت لورا : « كلا ٠٠ اننا فى الصيف ياماريان ، وليست هناك نسمة تهز الاوراق ٠٠ أنصتى ! »

وسمعتا الحركة معا ٠٠ حركة أشبه بوقع قدمين تتبعانهما ٠٠ ثم زفرة حرى طويلة انبعثت من أعماق الظلمة التى لفت

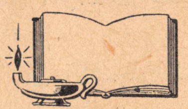
الاشجار خلفهما ٠٠ وصاحت ماريان : « من هناك ؟ » ٠٠ فلم تتلق جوابا ٠٠ وعادت تردد : « من هناك ؟ » ٠٠ وأعقبت ذلك لحظة صمت ٠٠ ثم سمعتا وقع الخطوات الخفيفة مرة ثانية ، لكنه كان يتضاءل ويضعف ويبتعد الى قلب الظلمات ٠٠ حتى تلاشى ! ٠٠ فانطلقت الاختان تجريان بين الاشجارحتى بلغتا البيت !

وعلى ضوء مصباح الردهة ، نظرت لورا الى ماريان وقد شحب وجهها وقالت : «أكاد أموت رعبا ! ٠٠ ترى من يكون؟»

فأجابت ماريان : « سنحاول أن نكشف ذلك غدا ٠٠ لا تذكرى لاحد شيئا مما رأينا وسمعنا ! »

ـ ولم لا ؟

ـ ان الصمت أسلم٠٠وما أحوجنا الى الامان فى هذا البيت !



١١ - لورا وذات الثوب الابيض

◆ **اكتشفت** لورا فى صباح اليوم التالى أنها فقدت دبوس صدرها ، ورجحت أنه سقط منها فى مخـزن الزوارق أو فى الطريق اليه ، فاتجهت الى البحيرة مرة أخرى ، وقد بدد ضوء النهار خوفها ..

ولم تجد الدبوس فى الطريق .. وفيما هى تبحث عنه فى المخزن ، وظهرها الى الباب ، سمعت صوتا ناعمـا ، غريبا ، يناديها من الخلف : « آنسة فيرلى ! »

فأجفلت لسماع اسمها القديم الذى حسبت أنها قد افترقت عنه الى الابد .. واذا امرأة ترتدى ثيابا بيضاء قد وقفت بالباب ترمقها ، باسطة لها احدى يديها .. ورأت لورا الدبوس فى راحتها ، فهتفت : « شكرا لك ! »

فقالت المرأة بصوت خافت : « هل يبلغ شكرك لى حدالتفضل على بصنيع صغير ؟.. دعينى أثبت هذا الدبوس على صدرك ! »

وتراجعت لورا خطوة أو اثنتين مأخوذة بهذا السؤال الغريب ، بينما استطردت المرأة قائلة : « آه ، ما كانت أمك تتردد فى أن تسمح لى بتثبيت الدبوس ! »

ـ أكنت تعرفين أمى ؟.. وهل كان هذا من عهد بعيد ؟.. وهل رأيتك من قبل ؟

فقالت المرأة : « انك لا تذكرين يوما جميلا من أيام الربيع فى ليمريدج ، وقد سارت أمك فى الطريق المؤدى الى المدرسة ، والى كل من جانبيها صبية صغيرة .. كنت أنت احدى الصبيتين ، وكنت أنا الاخرى !.. كانت كل من الآنسة فيرلى الحسناء الذكية ، وآن كاثريك المسكينة البلهاء ، أقرب الى الاخـرى يومذاك منها اليوم ..! »

وتذكرت لورا ان ماريان سألتها فى ليمريدج عن آن كاثريك ، وأنبأتها بما بينهما من تشابه ، فأخذت تتفرس فى المرأة عن كثب ٠٠ فاذا وجهها شاحب ، نحيل ، مكدود ٠٠ لكن منظره أذهل لورا ، اذ بدا لها كأنه صورة وجهها هى فى المرآة بعد مرض طويل !

وتساءلت : « لماذا دعوتنى بالآنسة فيرلى ؟ »

ـ لانى أحب اسم فيرلى ، وأمقت اسم جلايد !

ولاول مرة طالعت لورا فى عينى المرأة علامات الجنون ، فقالت تحاول تهدئتها : « ظننتك لم تعلمى بأنى تزوجت ! »

قالت آن : « لم أعلم انك تزوجت ؟٠٠ لست هنا الا لانك تزوجت ٠٠ هل رأيتنى عند البحيرة فى الليلة الماضية ؟٠٠ هل سمعتنى أتبعك فى الغابة ؟٠٠ لقد ظللت أياما أنتظر فرصة أحدثك فيها على انفراد ٠٠ لقد تركت السيدة كليمنتس ـ الصديقة الوحيدة التى لى فى هذه الدنيا ـ فى حالة من الانزعاج والخوف على ، وخاطرت معرضة نفسى لان أحبس فى مستشفى المجاذيب مرة أخرى !٠٠ وكل ذلك من أجلك أنت يا آنسة فيرلى ! »

وحملت اللهجة التى كانت تتكلم بها لورا على أن تشفق عليها بكل قلبها ٠٠ لم تعد خائفة من المرأة المسكينة ، فدعتها الى الجلوس معها فى مخزن الزوارق ٠٠ لكن آن كاثريك هزت رأسها قائلة :

ـ بل سأبقى الى جوار الباب خشية أن يفد أحد ٠٠ **لماذا تركتك تتزوجين من هذا الرجل ؟٠٠ ما كان ينبغى قط أن أدع نبأ قدومه الى ليمريدج يفزعنى ويدفعنى الى الفرار ٠٠ كان ينبغى ان احذرك وانقذك قبل فوات الاوان ! ٠٠ لماذا لم يواتنى من الشجاعة الا القدر الذى مكننى من كتابة ذلك الخطاب اليك ؟ ٠٠ آه ، ياخوفى ! ٠٠ يا لخوفى الارعن ، التعس ، الآثم ! »**

ـ ما الذى كنت تخافينه ؟

ـ أما كنت تخافين ـ لو كنت مكانى ـ رجلا سبق أن حبسك فى مصحة للمجاذيب ، وهو على استعداد لان يزج بك هناك ثانية اذا استطاع ؟

فعادت تسألها : « وهل مازلت خائفه ؟ »

فأجابت فى هدوء : « كلا ، لست أخافه الآن ، فانى على وشك الموت ٠٠ وهذا هو السبب فى أننى لا أخشاه الآن ٠٠ على اننى قبل موتى أريد أن أزيل أقصى ما أستطيع ازالته من الضرر الذى أحدثته يوما ٠٠ ان لك أصدقاء يساعدونك ، فاذا وقفت على سره فلسوف يخشاك ٠٠ ولن يجرؤ على استغلالك كما صنع بى !٠٠ بل يجب أن يعاملك بالحسنى من أجل مصلحته ، اذا ما صار يخشاك ويخشى اصدقاءك »

فهمست لورا : « أى سر تعنين ؟ »

فاسندت آن كاثريك وجهها وساعديها الى جدار مخزن الزوارق وقالت : « آه ، لو اتيح لى ان ادفن مع امك ! ..ولكن لا أمل فى ذلك ٠٠ لا أمل لغريبة ، فقيرة مثلى !٠٠ لن يقدر لى أن أنعم بالراحة تحت الصليب الرخامى الذى غسلته بيدى وجعلته ناصعا نقيا من أجلها ! »

وتريثت قليلا كمن تفكر أو تحاول التفكير ، وأردفت قائلة: « ماذا كنت أقول ؟٠٠ حينما تخطر أمك ببالى يتسرب كل شىء آخر ٠٠ »

وذكرتها لورا بموضوع الحديث ، بأقصى ما وسعها من رفق ٠٠ فقالت : « آه ، نعم ، نعم ٠٠ **انك مسلوبة الحول ازاء زوجك الشرير ، وينبغى أن أساعدك ٠٠ يجب أن أطلعك على السر الذى يخشاه زوجك القاسى ٠٠ ان أمى تعرف هذا السر ، وذات يوم ـ حين كبرت ـ ذكرت لى شيئا عنه ٠٠ وفى اليوم التالى ، عمد زوجك ٠٠**

ـ أجل ٠٠ أجل ٠٠ أكملى ٠٠

فوقفت تتسمع وتنظر حواليها قائلة: « صه !٠٠ لسنا وحدنا هنا ، اننا مراقبتان ٠٠ فيجب أن أنصرف ! »

فهمست لورا : « السر ٠٠ انتظرى واخبرينى بالسر »

فأجابت آن كاثريك : « ليس الآن ٠٠ تعالى هنا غدا فى هذا الموعد ٠٠ وحدك ٠٠ أذكرى هذا ٠٠ وحدك »

وما أن نطقت بهــذه الكلمة حتى اختفت عن ناظرى لورا مسرعة ، فهرعت لورا عائدة الى البيت وقصت على ماريان ما حدث !٠٠ فهتفت ماريان : « أواه يا لورا !٠٠ لورا !٠٠ هذه فرصة أخرى تضيع ٠٠ لو اننى كنت بالقرب منك لما استطاعت الافلات منا ٠٠ ألم تذكر لك شيئا عن المكان الذى كانت تقيم فيه ، أو عن المرض الذى تعانيه ؟ »

ـ كلا ياماريان ٠٠ ولا كلمة ٠٠ صارحينى بما ترين فى هذا ، فلست أدرى فيم أفكر ، أو ماذا أفعل بعد ذلك ؟

ـ يجب أن تحافظى بدقة على الموعـد الذى ضربته لك فى مخزن الزوارق غدا ، وسأتبعك عن بعد ٠٠ لقد أفلتت آن كاثريك مرة من « وولتر هارترايت » ، وأفلتت اليوم منك ٠٠ ولكن مهما يحدث فهى لن تستطيع أن تفلت منى !

ـ هل تعتقدين بوجـود ذلك السر الذى تقول ان زوجى يخشاه ؟ ٠٠ هبى أن لا وجود له الا فى مخيلة آن كاثريك ؟

ـ اننى أحكم على كلام المرأة على ضوء مسلك زوجك وأعماله ٠٠ أعتقد أن ثمة سرا !

*

◆ **وبعد** الغداء أوت لورا الى مخدعها ٠٠ ودعــا الكونت فوسكو ماريان الى أن تتمشى معه فى الحقول المواجهة للبيت ، قائلا : « ان رجلا مسنا فى بدانة فوسكو خير بالتأكيد من أن

تكونى بلا رفيق على الاطلاق ٠٠ »
وقطع عليهما نزهتهما وصول العربة ، فاذا سير برسيفال قد عاد ٠٠ ومهما كانت النتائج الاخرى لرحلته فقد بدا انها لم تنته الى تبديد سورة غضبه ، اذ سأل فى خشونة : « أين الليدى جلايد ؟ »
ولما أجابته ماريان بأنها فى مخدعهـــا قال : « أبلغيها أن لا تنسى موعدها فى المكتبة بعد ظهر اليوم ٠٠ وسأنتظرها خلال نصف ساعـــة ! » ٠٠ واذ ذاك ودع الكونت ماريان بانحناءة رائعة وهى تتركه لتعود أدراجها الى البيت ٠٠ ثم قال للسير برسيفال : « نبئنى ٠٠ هل استمتعت برحلة طيبة ؟ »
ـ سحقا لها من رحلة !٠٠ أريد أن أتناول غدائى
ـ وأنا أريد خمس دقائق أحدثك فيها يا برسيفال أولا ٠٠ خمس دقائق فقط يا صديقى ٠٠ هنا فوق الحشائش ٠٠
ـ وعم تريد أن تحدثنى ؟
فأجاب الكونت : « عن شئون تخصك وتهمك كثيرا جدا٠٠ »
ولم تستطع ماريان أن تسمع مزيدا من حديثهما ، اذ خشيت أن تتباطأ أكثر من ذلك ٠٠ وكانت واثقة من أن « الشئون » التى يعنيها تتعلق بالتوقيع ، وانهما كانا يتحـدثان عن لورا وعنها هى بلا ريب ٠٠ وقد يكون لمعرفة ما يقوله كل للآخر أهمية كبرى ، بيد أن كلمة واحدة من حديثهما لم تتناه الى أذنيها ٠٠ وصعدت السلم على عجل وقد استل القلق قواها ، فأبلغت لورا رسالة زوجها ، ثم عادت الى قاعة الجلوس ٠٠ واذا الباب يفتح بخفة ويطل منه الكونت قائلا :
ـ ألف معذرة ومعذرة يا آنسة هالكومب ٠٠ انما أجرؤ على ازعاجك لاننى أحمل أنباء طيبة ٠٠ لقد رأى برسيفال من الاوفق أن يغير رأيه ويرجىء أمر التوقيع فى الوقت الحاضر ٠٠ وأرجو أن تقدمى أطيب احتراماتى حين تذكرى هذا لامر لليدى جلايد ٠٠

ثم تركها قبل أن تفيق من دهشتها ٠ ولم يكن ثمة شك فى أن هذا التبدل الكبير يرجع الى نفوذ فوسكو ، فأسرعت تصعد السلم ثانية وأزجت الى لورا النبأ ٠٠

– ان الامر يبدو مستحيلا ياماريان ٠٠ اذا كان الهدف من توقيعى هو الحصول على مبلغ من المال تمس برسيفال الحاجة اليه ، فكيف يمكن ارجاء هذه المسألة ؟

– لست أدرى ٠٠ فان سير برسيفال عند عودته لم يكن قد غير رأيه ٠٠ ثم استطاع فوسكو اقناعه بتغييره ٠٠ ليتنانعرف سر ذلك !

وأقبل المساء ، وولى ٠٠ وكان حديث سير برسيفال مع صديقه قد هذب من مسلكه ، لا سيما نحو زوجته ٠٠ ودهشت لورا اذ ناداها باسمها مجردا ، وسألها عما اذا كانت قد تلقت أنباء من عمها فى الفترة الاخيرة ٠٠ كما أظهر لها من اللطف والرعاية فى عشرات من الامور الاخرى التافهة ما أعاد الى ذهنها ذكرى الايام التى قضاها فى ليمريدج فى فترةالخطوبة!

على أن ماريان كانت قد خبرت من أمور سير برسيفال ما جعلها تعتقد انه أشد ما يكون زيفا ونفاقا حين يغالى فى المجاملة والتظرف ٠٠ !

◆

◆ **وفى** صباح اليوم التالى ، غادرت لورا مائدة الافطار لتتمشى فى اتجاه البحيرة ٠٠ وودت ماريان أن ترافقها ، لولا انها خشيت أن يثير خروجهما معا شكوك الآخرين٠٠والانكى من هذا ، ان آن كاثريك لو رأت لورا تصطحب شخصا آخر ، لكان من المحتمل أن تفقد ثقتها فيها ، فلا يتيسر استعادة هذه الثقة بعد ذلك !

لهذا آثرت ماريان الانتظار فى البيت ، متذرعة بأقصى مافى وسعها من صبر ، حتى جاء الخادم لتنظيف المائدة ٠٠ وعندما غادرت الغرفة ، لم تر أثرا للسير برسيفال والكونت ٠٠

*

◆ **لم** تجد لورا حين بلغت مخزن الزوارق أحدا ، فدخلت وجلست تنتظر بضع دقائق . بيد ان قلقها جعلها تنهض ثانية لتتمشى قليلا حول المكان ٠٠ وعند الباب ، لمحت علامات على الرمال ، فانحنت تفحصها ، واذا بها تكتشف ان تلك العلامات كانت كلمة كتبت بحروف كبيرة ٠٠ وكانت تلك الكلمة : « نقبى ! » فنبشت سطح الرمال قليلا ، واذا بها تجد قصاصة من الورق مخبأة .. كانت رسالة من آن كاثريك هذا نصها :

« رآنى بالامس معك رجل طويل بدين متقدم فى السن ٠٠ فاضطررت الى الفرار كى أنجو بنفسى ٠٠ وعجزت قدما الرجل الثقيلتان عن اللحاق بى ، ففقد كل أثر لى بين الاشجار ! ٠٠ لن أجرؤ على المجازفة بالعودة الى هنا اليوم ، ومن ثم أكتب هذه الرسالة فى الساعة السادسة من صباح اليوم لادسها فى الرمال ٠٠ وحين نعاود الحديث ثانية عن سر زوجك الشرير ، ينبغى أن نتحدث فى جو آمن ، أو لا نتحدث على الاطلاق ! ٠٠ حاولى أن تتذرعى بالصبر ، وأعدك بأنك سوف تريننى مرة أخرى ، فى القريب ٠٠ آ ٠ ك ٠ »

وبعد أن قرأت لورا الرسالة ، عادت الى داخل مخزن الزوارق ، حيث جلست تعيد قراءتها بامعان ٠٠ وفيما هى تقرأ ، سقط على الورق ظل ، فرفعت بصرها ٠٠ واذا سير برسيفال واقف بالباب يرقبها ، وعلى فمه ابتسامة خبيثة !

١٢ ـ غضبة سير برسيفال

◆ **هبت** لورا واقفة وقد ندت منها صرخة ذعر ، وحاولت اخفاء الرسالة عن ناظريه ، فقال : « لا داعى لاخفائها ، فقد قرأتها ٠٠ اذ نبشت في الرمال منذ ساعتين وأخرجتها ، ثم دفنتها ، وأعـدت كتابة الكلمة على الرمال ، وتركتهـا فى انتظارك ! ٠٠ اذن ، فقد قابلت آن كاثريك سرا بالامس ٠٠ اننى لم أضبطها بعـــد ، ولكنى ضبطتك أنت ٠٠ هات الرسالة ! »

وكانت لورا وحيدة أمامه فلم تستطع أن ترفض ٠٠ وأخذ بذراعها وقادها الى البيت خلال ممر غريب ٠٠ ممر لا أمل فى أن يلتقيا فيه بماريان ٠٠ وفى أثناء الطريق سألها : « ماذا قالت لك آن كاثريك امس ؟ .. اننى اصر على سماع كل كلمة .. من البداية الى النهاية ! »

وكانت قبضته القاسية تطبع أثرها على ذراع المسكينة ٠٠ واذكانت وحيدة معه ، وخائفة ، فقد مضت تسرد له كل شىء ، حتى اذا انتهت ، رمقها قائلا وهو يضحك ساخرا : « اننى أعتزم استخلاص بقية القصة من فمك ٠٠ أتفهمين ؟ »

فقالت لورا : « ولكنى ذكرت لك كل ما أعرف ! »

فابتسم ساخرا وقال : « لا ٠٠ بل أنت تعرفين أكثر مما اخترت أن تفضى به ، وسأنتزع منك البقية فى البيت ، اذا لم أنتزعها منك هنا الآن ! »

ثم لاذ بالصمت ، حتى صارا على مرمى البصر من البيت ، فتوقف ثانية وقال : « هل تفيدين من الفرصة الثانية التى أمنحك اياها ؟ ٠٠ هلا فكرت في الامر وصارحتني بالبقية ؟»

فأعادت لورا العبارات التى سردتها من قبل ، فصاح بها :
« لعنة الله على عنادك ! ٠٠ انك لا تستطيعين أن تخدعينى ٠٠ وانك لتعرفين أكثر مما شئت أن تذكرى ٠٠ غير اننى سأنتزع سرك منك ٠٠ وسأنتزعه من تلك الاخت التى لك أيضا ! ٠٠ لن أترككما تتآمران وتتهامسان فيما بينكما ٠٠ لن ترى احداكما الاخرى حتى تعترفا بالحقيقة كاملة ٠٠ سأراقبكما ٠٠ صباحا ، وظهرا ، ومساء ، حتى تبوحا لى بكل شيء ! »

وأصم أذنيه عن كل ما راحت زوجته تقوله ٠٠ حتى دخلا البيت ، فأخذها مباشرة الى مخدعها ٠ وكانت خادمتها «فانى» هناك ٠٠ فتاة طيبة وفية لازمتها من سنوات ، ووفدت فى صحبتها من ليمريدج ٠٠ وقد كانت المخلوقه الوحيدة فى « بلاكووتر بارك » ، التى تستطيع لورا وماريان أن تركنا الى اخلاصها لهما ٠٠

وصاح سير برسيفال بالخادم : « أخرجى !٠٠ سأحرص قبل كل شيء على أن لا تتدخلى فى هذا الامر ٠٠ خذى أجر شهر وغادرى هذا البيت اليوم ٠٠ واذا احتاجت سيدتك الى خادم فسوف تكون لها واحدة أختارها بنفسى ! »

ثم دفع زوجته الى داخل الغرفة وأغلق الباب دونها بالمفتاح ٠٠ وهبط السلم فأرسل خادم تتولى الحراسة !

*

◆ **فى** تلك الاثناء كانت ماريان قد بلغت مخزن الزوارق ، فوجدته خاويا ، وأخذت تنادى بصوت خافت فى البداية ، ثم بصوت أخذ يرتفع رويدا ٠٠ لكن أحدا لم يجبها ، أو يلوح لها ! ٠٠ وعلى قدر ما كانت ترى وتسمع ، لم يكن فى المكان وماجاوره من مخلوق سواها ٠٠ فأخذ قلبها يدق بقوة ، وهرعت

عائدة الى البيت ٠٠ وكان أول شخص قابلته فى الردهة الخادمة « فانى » ٠٠ فلما رأتها باكية دامعة سألتها :

ـ ألا تعلمين اذا كانت ليدى جلايد قد عادت من نزهتها أم لا ؟

ـ لقد عادت سيدتى منذ برهة قصيرة مع سير برسيفال

ثم قصت على ماريان نبأ فصلها فجأة من الخدمة ، ومنعها من أن ترى سيدتها ولو للحظة واحدة لتودعها ، اذ انها بمجرد أن تفرغ من اعداد حقيبتها ستقصد الى فندق القرية ـ حيث رأت أن تمضى ليلتها ـ ثم ترحل مبكرة فى الصباح التالى عائدة الى أهلها فى كمبرلاند دون أن تتخلف فى لندن ، اذ كانت غريبه عنها تماما ٠٠

وكانت أمام باب مخدع لورا خادمة ضخمة الجسم ، تعرف ماريان انها تدعى « مرجريت بورشر » ، وانها أغبى خادمات البيت ، وأقلهن عناية ، وأصلبهن عنادا ، فسألتها : « لم تقفين هنا ؟ ٠٠ ألا ترين اننى أبغى الدخول ؟ »

فأجابت الخادم وعلى وجهها تقطيبة عريضة : « آه ٠٠ ولكنك يجب ألا تدخلى ! »

ـ كيف تجرؤين على أن تحدثينى بهذه اللهجة ؟ ٠٠ تنحى عن الباب حالا !

فبسطت الخادم يدا حمراء ضخمة وذراعا الى كل من جانبيها ، لتسد الباب ، ثم قالت : « انها أوامر السيد ! »

وأحست ماريان انها بحاجة الى كل مافى طوقها من ضبط للنفس ، لتتبين أن لا جدوى من مناقشة « بورشر » ، وانما يجب أن توجه ما تريد من كلام الى سيدها !

وكان هذا فى غرفة المكتبة ، يقف مع الكونت ومدام فوسكو متقاربين ٠٠ وفيما هى تفتح الباب ، سمعت الكونت

يخاطب سير برسيفال قائلا : « كلا وألف كلا ! » ٠٠ فسارت الى سير برسيفال وحدجته بنظراتها قائله : « هل أفهم ان مخدع زوجتك سجن ، وان خادمك هى السجانة التى تحرسه ؟ »

فأجابها سير برسيفال فى برود : « نعم ٠٠ هذا ما ينبغى أن تفهميه ٠٠ وحاذرى أن تضاعفى المهمة الملقاة على عاتق خادمتى ٠٠ حاذرى فان غرفتك ليست سجنا هى الاخرى ٠٠ حتى الان ! »

فصاحت ماريان وقد بلغ غضبها أوجه : « **بل فلتكن أنت حذرا فى معاملة زوجتك ، وفى تهديدى ٠٠ ان فى انجلترا قوانين تحمى النساء من القسوة ٠٠ واذا مسست شعرة من رأس لورا ، أو جرؤت على أن تعترض حريتى ، فسألجأ الى هذه القوانين !** »

وبدلا من أن يجيبها ، التفت الى الكونت فوسكو متسائلا : « ألم أقل لك ؟ ٠٠ ما قولك الآن ؟ »

فأجاب الكونت : « نفس ما قلت من قبل ٠٠ لا ! »

ثم ألقى الكونت الى زوجته نظرة ذات معنى من عينيه الرماديتين الهادئتين الباردتين ، فتحركت مدام فوسكو متجهة الى جوار ماريان ، وقالت لسير برسيفال فى لهجة باردة كالثلج : « أعرنى انتباهك لحظة يا سير برسيفال ٠٠ ان على أن أشكرك لضيافتك ، وأن أرفضها من الآن ٠٠ فلن أبقى فى بيت تعامل فيه السيدات كما عوملت اليوم زوجتك والآنسة هالكومب ! »

وتراجع سير برسيفال خطوة الى الوراء ، وحدجها بنظرة صامتة خرساء ٠٠ وبدا أن هذه العبارة ـ التى كان يعرف ، كما عرفت ماريان ، أن مدام فوسكو ما كانت لتجرؤ على التفوه بها دون اذن زوجها ـ قد سمرته فى مكانه ! ونظر الكونت الى

زوجته فى اعجاب ، ثم قال وهو يقترب فيتناول يدها : « أنا طوع أمرك يا اليانور ·· وفى خدمة الآنسة هالكومب ، اذا شرفتنى بقبول كل ما فى وسعى تقديمه من المساعدة ·· »

فصاح سير برسيفال اذ اتجه الكونت وزوجته فى هدوء الى الباب : « سحقا لك ! ·· ماذا تعنى ؟ »

— فى أوقات أخرى أعنى ما أقول ، أما فى هذه المرة فأنا أعنى ما تقول زوجتى ·· لقد استبدلنا وضعينا يا برسيفال فى هذه المرة ، فأصبح رأى مدام فوسكو هو رأيى ··

فقال برسيفال فى لهجة حاسمة : « لك ما شئت ·· امض فى طريقك وسترى نتيجة ذلك ! »

ثم نحى الكونت عن طريقه وغادر الغرفة ، فنظرت مدام فوسكو الى زوجها مستفسرة ، وسألته : « هل ذهب فجأة دون تمهيد .. ما معنى ذلك ؟ »

فأجابها الكونت : « معناه أنك وأنا معا قد أعدنا أسوأ رجال انجلترا طبعا الى صوابه ! » .. ثم فتح الباب ودلف الى الردهة ·· وسمعته ماريان يتهامس مع برسيفال ·· ثم توقف الهمس وأطل الكونت داخل الحجرة قائلا : « يسعدنى يا آنسة هالكومب أن أنبئك بأن ليدى جلايد قد عادت ثانية سيدة بيتها .. وقد رايت من الانسب ان تسمعى نبأ هذا التطور الطيب منى ، لا من سير برسيفال ! »

وكان سير برسيفال يقف فى الردهة حين هرعت الى السلم .. وسمعته يقول : « أريد أن أتحدث اليك يا فوسكو » ·· فأجاب الاخر : « وانا اريد ان اخلو الى نفسى قليلا لافكر .. انتظر لما بعد يا برسيفال »

✽

◆ **هبت** لورا صائحة مغتبطة حين دخلت ماريان غرفتها — وكان الباب قد فتح ، وانصرفت السجانة « مرجريت بورشر » —

وهتفت لورا : « كيف دخلت ؟ .. من اذن لك ؟ .. ما اظنه سير برسيفال ؟ »

ـ بل الكونت طبعا ، اذ اصبح نفوذه فى هذا البيت ..

ـ لا تحدثينى عنه .. انه شر انسان على قيد الحياة .. ان الكونت جاسوس لعين !

وانبعثت طرقات خفيفة على الباب ، ففتحته ماريان .. واذا امامها مدام فوسكو . وابتدرتها هذه قائلة : « لقد سقط منديلك فى الطابق السفلى يا آنسة هالكومب ، فخطر لى ان احمله اليك وانا فى طريقى الى حجرتى »

وكان وجهها ـ الذى كان بطبيعته شاحبا ـ شديد البياض بدرجة فظيعة .. ويداها ـ اللتان كانتا فى العادة ثابتتين رزينتين ـ ترتجفان فى عنف ! .. وتجاوزت نظراتها ماريان فى غيظ الى لورا .. لقد انصتت تتسمع قبل ان تطرق الباب ـ فرات ماريان ذلك فى وجهها الابيض ، ويديها المرتجفتين ، ونظراتها الى لورا !

واذ انصرفت وأغلق الباب ، هتفت ماريان : « أواه ، يا لورا .. لورا ، لسوف نندم على أنك وصفت الكونت بأنه جاسوس لعين ! »

فقالت لورا : « ما كنت لتترددين يا ماريان فى نعته بهذه الصفة لو عرفت ما اعرف ! .. كانت آن كاثريك على حق .. كان هناك شخص ثالث يراقبنا بالامس »

ـ هل انت واثقة من انه الكونت ؟

ـ تمام الثقة .. انه كان جاسوس سير برسيفال ، كان مخبر سير برسيفال .. وقد حرض سير برسيفال على ان يكمن طيلة الصباح فى انتظار آن كاثريك وانتظارى !

ـ وهل ضبط آن ؟ هل قابلت آن هذا الصباح عند البحيرة ؟

فأجابت لورا بأن اخذت تقص على أختها احداث الصباح التى ادت الى اقدام سير برسيفال على حبسها فى حجرتها !.. الى أن قالت حين فرغت : « ماذا فى وسعنا أن نفعل يا ماريان ؟.. آه لو استطعنا فقط أن أن نهرب من هذا البيت فلا نراه مرة أخرى قط ! »

فأجابتها ماريان : « اننى أعتزم أن أكتب أولا الى مستر جيلمور ، فرغم قلة ما أعرف عن القانون ، الا اننى أعتقد أنه يكفل حماية امرأة مثلك من العنف الذى تعرضت له اليوم .. كذلك أعتزم أن أكتب الى مستر فيرلى بوصفه أقرب قريب لك .. فضلا عن أنه عميد العائلة ، ولا بد أن يتدخل ، وسوف يتدخل ! »

فهزت لورا رأسها فى أسى ، بينما استطردت ماريان قائلة : « أجل .. أنا أعلم أن عمك ضعيف وأنانى ، لكنه ليس كالسير برسيفال .. وليس له صديق مثل الكونت فوسكو .. وسوف أقنعه بأن يدعونا معا الى ليمريدج »

قالت لورا : « أكتبى هنا ولاتفارقينى »

فقالت : « لقد قضينا وقتا طويلا على انفراد .. وفرصتنا الوحيدة هى فى أن لا نثير أية شكوك جديدة .. فاغلقى الباب دونك بالمفتاح يا لورا ، ولا تفتحيه لانسان سواى ! »

*

◆ **ومضت** ماريان الى حجرتها فكتبت الخطابين .. ثم خطر لها أن الاسلم أن تذهب على قدميها الى فندق القرية فتسلم الخطابين الى « فانى » لترسل أحدهما بالبريد الى المحامى فى لندن ، وتسلم الآخر الى مستر فيرلى يدا بيد عند وصولها الى ليمريدج ..

وفى طريقها الى الفندق، لم تكن خلفها سوى عربة نقل فارغة، يجلس الحوذى فى مقدمتها ٠٠ غير أنه خيل الى ماريان – اذ نظرت خلفها – أنها لمحت قدمى شخص يسير خلف العربة مستترا بها ، فتريثت عند أول مفترق للطرق الى أن مرت العربة ٠٠ وعندئذ تبينت أنها كانت واهمة ، اذ كانت الطريق وراءها خالية تماما ، فاستأنفت سيرها الى الفندق حيث سلمت الخطابين الى « فانى » ذاكرة لها أنهما ذوى أهمية قصوى لمصلحة سيدتها !

وكان وقت العشاء قد حان حين عادت الى القصر ، فلاحظت أن الكونت بدا محتقن الوجه ، مبهور الانفاس، غير معتن بأناقته المعهودة ٠٠ وطيلة العشاء ظل صامتا ، شأنه شأن سير برسيفال ٠ بدا انه يعانى قلقا خفيا !٠٠ فلما نهضوا عن المائدة سارعت مدام فوسكو الى مغادرة الحجرة ٠٠ وأرادت ماريان أن تحذو حذوها ، لكن الكونت استوقفها وتعمد أن يعطلها حوالى نصف الساعة بأن راح يحدثها عن الموسيقى الايطالية !

وأخيرا صعدت ماريان الى الطابق العلوى ، لكنها لم تر لمدام فوسكو أثرا ٠٠ وحين سألت لورا عنها وجدتها لا تدرى عنها شيئا ٠٠ ولبثت الاختان معا حتى الساعة العاشرة ، ثم نهضت ماريان متمنية لاختها ليلة طيبة ٠٠

وفى مخدعها ، وقفت عند النافذة تتأمل الليل ٠٠ وفجأة سمعت أصواتا فى الحديقة ٠ كان سير برسفال يقول : « لم لا تدخل وتجلس ؟ » ٠٠ فأجابه صوت الكونت فوسكو خافتا : « أريد أن أطمئن الى انطفاء النور فى غرفة الآنسة هالكومب أولا! »

١٣ ـ محادثة هامة

◆ **تراجعت** ماريان عن النافذة المفتوحة وقلبها يدق فى عنف ٠٠ بينما عاد سير برسيفال يتساءل : « وأى ضرر يترتب على النور ؟ »

ـ انه يدل على أنها لم تأو الى فراشها بعد ٠٠ وانها لمن الذكاء بحيث ترتاب فى أى شىء ، ومن الشجاعة بحيث تهبط لتتنصت الى حديثنا اذا وجدت الفرصة ! ٠٠ فصبرا يا برسيفال ٠٠ صبرا !

ـ انك دائما تتكلم عن الصبر ٠٠

ـ سأتكلم عن شىء آخر حين ينطفىء النور فى تلك النافذة ، وحين ألقى نظرة على الحجرات القائمة على جانبى المكتبة وعلى السلم كذلك ٠٠

واكتفت ماريان بما سمعت ، فغادرت النافذة وأطفأت الشمعة ٠٠ ثم جلست على سريرها تفكر ، وقد استقر رأيها على أن تتسمع كلام الرجلين اذا ما جلسا ، فلربما توقف شرف لورا ، وسعادة لورا ، بل وحياة لورا ، على حدة سمعها !

وكان واضحا من عبارة الكونت أن حديثهما سيدور فى حجرة المكتبة ، التى كانت لها ـ كما للحجرات الاخرى فى الطابق الارضى ـ شرفة تمتد خارجها ٠ وكان مخدع ماريان فى الطابق الاول ، يبعد السقف المستوى للشرفة عن نافذته بحوالى ثلاثة أقدام ٠٠ **فخلعت الفتاة ثوبها الحريرى ، فى الظلام ـ لان أقل حفيف منه فى سكون الليل كفيل بأن يشى بها ! ـ وارتدت معطف سفر أسود ، ورفعت غطاء الرأس المتصل به على رأسها ٠٠ ثم أغلقت باب حجرتها بالمفتاح من الداخل واقتربت من**

النافذة المفتوحة ، فلم يصل الى أذنيها أى صوت ٠٠ وواجهتها الظلمة الكثيفة الداكنة ، لا يتخللها سوى بصيص من الضوء منبعث من حجرة المكتبة على الحديقة ٠٠

وبعد أن تلت صلاة صامتة ، تدلت فى هدوء من النافذة ، ووضعت قدميها فى حذر على سقف الشرفة ٠٠ ثم راحت تزحف عليه وقد أمسكت باحدى يديها أطراف معطفها حولها ، وباليد الاخرى جعلت تتحسس جدار البيت ، حتى بلغت البقعة التى فوق حجرة المكتبة ، فانبطحت عليها ، وألصقت أذنها بحافة سقف الشرفة !

وسمعت صـوت الكونت فوسكو ينبعث من الحجرة التى تحتها قائلا : « أف !٠٠ ما أشد الحر هنا ! » ٠٠ وأعقب هذه الملاحظة ضجيج مقاعد الحديقة تجر على الرصيف الحجرى تحت الشرفة ، الامر الذى اطمأنت معه الفتاة الى أن غريميها سـوف يجلسان أقرب ما يكونان اليها !

ثم قال الكونت : « الآن نستطيع أن نتكلم دون أن نخشى المباغتات ٠٠ فقد أوت الآنسة هالكومب الى فراشـها ، وبات الطابق الارضى آمنـا تماما !٠٠ الآن ، انصت الى يا عزيزى برسيفال : اننا عدنا الى هذا البيت من القارة وشئوننا مرتبكة الى أخطر درجة ٠٠ »

ـ أوجز ٠٠ اننى أبغى بضعة آلاف من الجنيهات ، وأنت تريد بضع مئات ٠٠ وبغير هذا المال سيحيق بنا الدمار !

ـ حسنا يا برسيفال ٠ اذا استعملنا لغتـك الانجليزية الجافة ، قلنا انك أردت بضعة آلاف وأنا أردت بضع مئات ٠٠ والطريق الوحيد للحصول عليها هو معونة زوجتك ٠٠ فهـل تذكر ما قلته لك عن زوجتك أثناء عودتنا الى انجلترا ٠٠ وما

قلته لك مرة ثانية حين رأيت أى نوع من النساء هى الآنسة هالكومب ؟

ـ كيف تريدنى أن أتذكر ؟ لقد ثرثرت كثيرا كعادتك ..

ـ **قلت لك : هناك سبيلان يستطيع بهما الرجل أن يسيطر على المرأة : أحدهما أن تضربها ـ وهى طريقة يستخدمها العامة عادة ، ولكن تنفر منها الطبقات المهذبة المثقفة ـ والسبيل الثانى هو أن لا تدع المرأة قط تثير غضبك ، وبهذه الطريقة يستطيع الرجل أن يروض الحيوانات ، والاطفال ، والنساء ، اللاتى لا يزدن على أن يكن أطفالا كبارا !..** ولقد أوصيتك بأن تذكر هذه الحقيقة البسيطة اذا أردت زوجتك على أن تساعدك فى الحصول على المـــال .. فهل تذكرت ذلك ؟.. لا ، بل ان غضبك الاهوج ضيع توقيع زوجتك على الوثيقة .. وقد حاولت أن أزيل الضرر باقناعك بتغيير رأيك، وباخبارالآنسة هالكومب





أن الامر قد أرجىء ٠٠ فما الذى فعلته بعد ذلك ؟٠٠ سمحت لغضبك بأن يغلبك مرة أخرى ٠٠ وبلغ بك الجنون أن هددت بحبس الآنسة هالكومب كما حبست ـ بحماقتك ـ زوجتك ٠٠ ونتيجة لذلك كتبت الآنسة هالكومب خطابا الى المحامى ٠٠

ـ ماذا يا فوسكو ؟

وسقط على أرض الشرفة مقعد ، أحدث ضجة نمت عن انه ركل بقدم مغيظة ٠٠ وكان من حسن حظ ماريان أن أثار حديث الكونت غضب سير برسيفال ـ اذ انبعثت منها حين سمعت أن عملها افتضح صيحة دهشة كان لا بد من أن تسمع ، لولا أن ضجة المقعد الذى وقع ، أنقذتها !

وسمعت الكونت يقول : « فلتشكر طالعك السعيد لوجودى فى البيت كى أمحو الضرر ، بمجرد أن ترتكبه ٠٠ فلقد تبعتها الى القرية بعد ظهر اليوم ، ورأيتها تسلم الخطابين الى « فانى »! ٠٠ فأرسلت زوجتى بعد العشاء الى الفندق ٠٠ وكان الامر سهلا ٠٠ اذ وجدت الخادم تشرب الشاى هناك ، فزعمت لها

أنها تحمل رسالة من الآنسة هالكومب ٠٠ ثم دست لهـا فى الشاى شيئا ، فاذا الفتاة تستغرق فى النوم ٠٠ وشد ماستكون دهشة المحامى غدا حين يتسلم ظرفا به ورقة بيضاء !٠٠ وقد نسخت زوجتى صورة من الخطاب المرســل للمستر فيرلى ، وتركت الاصل يأخذ طريقه اليه ، فقد ينفعنا فيما بعد ٠٠ »

ـ يا الهى !٠٠ ليتنى حبستها فى غرفتها !

ـ أين عيناك يا برسيفال ؟٠٠ هل تسـتطيع أن تنظر الى الآنسة هالكومب ولا ترى أن لها بعد نظر الرجال وعزيمتهم ؟ ٠٠ انى لاستطيع أن أواجه العالم كله معها لو كسبتها صديقة! ٠٠ أما اذا كانت هذ هالمرأة عدوة ، فانى بكل ذكائى وخبرتى ٠٠ أنا فوسكو الذى يبارى الشيطان دهاء ـ كما قلت لى مائة مرة ـ أضطر الى التزام الحذر ٠٠ فان هذه المخلوقة العظيمـة التى تقف بكل قوى حبها وشجاعتها ، راسخة كالصخرة ، بيننا وبين زوجتك اللطيفة المسكينة ٠٠ أقول ان هذه المرأة الرائعة ـ التى أعجب بها من كل قلبى ، وان وقفت ضدها حرصا على مصالحك ومصالحى ـ تدفعها أنت الى العمل ضدنا يا برسيفال! ٠٠ يا برسيفال !٠٠ انك تستحق أن تفشــل ٠٠ بل انك فشلت !

ـ من السهولة بمكان أن تؤنبنى ٠٠ ولكن أصعب من هذا أن تذكر ما ينبغى عمله !

ـ حقا ؟٠٠ اليك ما ينبغى عمله : انفض يدك فورا من ادارة العملية ، ودعها فى المستقبل فى يدى وحدى !

ـ وماذا تقترح لو تركت لك الامر كله ؟

ـ أجبنى أولا : هل يكون الامر بين يدى أو لا يكون ؟

ـ هب انه بين يديك ، فما هى خطتك ؟

ـ لنبدأ ببضعة أسئلة يا برسيفال ؟٠٠ هل سيقبل دائنوك أن ينتظروا ثلاثة شهور أخرى ؟

ـ هكذا أنبأنى المحامى ٠٠

ـ وبعد تلك الشهور الثلاثة : أليس أمامك ـ حقا وصدقا ـ أى سبيل فى الدنيا لدفع ديونك سوى معونة زوجتك ؟

ـ أبدا ٠٠

ـ والى أى حد ذهبت فى استغلال مال زوجتك حتى هذه اللحظة ؟

ـ لا شىء سوى فوائد العشرين ألف جنيه التى تملكها، وهى لا تكاد تسد نفقاتنا اليومية !

ـ ما الذى تتوقعه من زوجتك ؟

ـ ثلاثة آلاف من الجنيهات سنويا حين يموت عمها !

ـ ثروة لا بأس بها يا برسيفال ٠٠ وأى نوع من الرجال هذا العم ؟٠٠ أهو متزوج ؟

ـ كلا !٠٠ ولو كان متزوجا وله ابن ، لما كانت ليدى جلايد خليفته فى الوراثة ٠٠ انه غبى ، أنانى ، عجوز ، يتحدث دواما عن حالته الصحية الراهنة ٠٠

ـ الرجال الذين من هذا النوع يعيشون طويلا يا برسيفال، ويتزوجون فى أبعد سن تتوقع فيها زواجهم !٠٠ اننى لا أتوقع كثيرا أن تسنح لك فرصة تلك الآلاف الثلاثة من الجنيهات فى العام يا صاحبى !٠٠ فهل لا يوجد أمامك ميراث آخر ؟

ـ لا شىء !

ـ لا شىء اطلاقا ؟

ـ لا شىء اطلاقا ٠٠ اللهم الا فى حالة موتها !

ـ آها !٠٠ فى حالة موتها ٠٠؟

ثم سادت فترة صمت ٠٠ وازداد عنـــاء ماريان من جراء المطر الذى بدأ يهطل ٠٠ بينما استأنف الكونت حديثه قائلا :

ـ هل يهمك أمر زوجتك كثيرا يا برسيفال ؟
ـ فوسكو !٠٠ هذا سؤال أكثر صراحة مما ينبغى ٠٠
ـ وانى لاكرره ، فأنا رجل صريح ٠٠
ـ لماذا ترمقنى هكذا ؟
ـ ألا تجيبنى ؟ حسنا ، لنفترض أن زوجتك ماتت قبل انتهاء الصيف !
ـ دع هذا يا فوسكو !
ـ لنهب أن زوجتك ماتت ٠٠
ـ قلت لك دع هذا ٠٠
ـ فى هذه الحالة تكسب عشرين ألفا من الجنيهات، وتخسر ٠٠
ـ أخسر فرصة الحصول على ثلاثة آلاف سنويا ٠٠!
ـ فرصة واهية يا برسيفال كما ذكرت ٠٠ وأنت تريد مالا فى الحال ، ففى مركزك الكسب محقق ، والخسارة مشكوك فيها!
ـ تكلم عن نفسك كما تتكلم عنى ٠٠ ان موت زوجتى يعود على زوجتك بعشرة آلاف من الجنيهات ٠٠ ويبدو أنك رغم حدة ذكائك قد نسيت ميراث زوجتك ٠٠ لا تنظر الى هكذا !٠٠ انك بنظراتك وأسئلتك تجعل جلدى يقشعر !

ـ انى أتحدث عن موت زوجتك كأمر محتمل ٠٠ لم لا ؟٠٠ ان المحامين الكبار يقدرون أمثال هذا الاحتمال يوميا ٠٠ **والآن ، يبدو موقفك واضحا ٠٠ اذا عاشت زوجتك فلن تستطيع سداد ديونك الا بتوقيعها ٠٠ واذا ماتت زوجتك فستستطيع دفع ديونك بوفائها ٠٠**

فغمغم سير برسيفال قائلا : « يا لثرثرتك !٠٠ ان من يسمعك يحسب أننى حصلت على توقيع زوجتى فعلا ! »
فأجاب الكونت : « انك تركت المسألة فى يدى ، وأمامى ثلاثة شهور ، فاذا انتهت فستتبين بنفسك ما اذا كانت «ثرثرتى» ذات قيمة أم لا ٠٠ أما وقد فرغنا يا سير برسيفال من حديث

الشئون المالية الليلة ، فلعلك تريد أن تستشيرنى فى تلك المشكلة الثانية : آن كاثريك ؟ »

ـ اصغ الى يا فوسكو ٠٠ لقد عرف كل منا الآخر من زمن بعيد ، لكن كلا منا كان يكتم عن الآخر أسراره ٠٠ أليس كذلك؟

ـ لست فضوليا يا برسيفال ، وانما أسألك فى عبارة صريحة ، هل تريد معونتى ؟

ـ نعم ، أنا فى أشد الاحتياج اليها ٠٠ لقد سمعت شائعات عن وجود آن كاثريك فى المنطقة المحيطة بنا ٠٠ وقد ذهبت أمس الاول الى ولمنجهام ـ القرية التى تعيش فيها السيدة كاثريك ـ فوجدتها لا تعرف شيئا عن مكان ابنتها ٠٠ واليوم ، بذلت ما فى وسعى كى أعثر على آن كاثريك ، لكنى فشلت ٠٠

ـ أجل ، فشلت ٠٠

ـ فوسكو ٠٠ أنا ضائع ما لم أجدها ٠٠

ـ ها !٠٠ هل الامر من الخطورة بهذه الدرجة ؟

ـ لقد أريتك الخطاب الموجه لزوجتى والذى دسته آن كاثريك فى الرمل ٠٠ انها تعرف السر ٠٠

ـ هل عرفته منك ؟

ـ كلا ، بل من أمها !

ـ امرأتان تقفان على أخص دخائلك ٠٠ هذا أمر غاية فى السوء يا صديقى !٠٠ لكن ، هات ما عندك ، وسأعرف ما ينبغى عمله ٠٠ ما الخطر الذى يتهددك فى الوقت الحاضر ؟

ـ ان آن كاثريك تقيم الآن فى منطقة قريبة ٠٠ وهى على اتصال بليدى جلايد ٠٠ وأى انسان يقرأ الخطاب الذى أخفته فى الرمال ولا يفهم منه أن زوجتى وقفت هى الاخرى على السر، مهما تمعن فى الانكار ؟

ـ اذا كانت ليدى جلايد تعرف السر ، فلا بد أنها تعرف أيضا مبلغ خطره عليك .. وبوصفها زوجتك لا بد من أن صونه أمر يهمها ..

ـ أتعتقد ذلك ؟.. ربما كان يهمها لو انها كانت متعلقة بى .. لكننى عقبة فى سبيل رجل آخر كانت تحبه قبل أن تتزوج منى ، ولا تزال تحبـــه حتى الآن .. انه مدرس رسم يدعى هارترايت .. من الذى أعان آن كاثريك على الفرار من مستشفى المجاذيب ؟.. هارترايت! .. من الذى عاد فقابلها فى كمبرلاند؟ .. هارترايت !.. وفى المرتين تحدث اليها على انفراد ، ومن ثم فأنا واثق من أنه يعرف السر .. وان زوجتى تعرف السر كذلك.. ولو أتيح لهما يوما أن يجتمعا ثانية لصار من مصلحتها ومصلحته أن يستخدما معلوماتهما ضدى !

ـ أجل .. أجل .. وأين هارترايت هذا ؟

ـ انه خارج البلاد .. واذا كان يهمه أن يحتفظ بجلده على عظامه فانى أنصحه بأن لا يتعجل العودة !

ـ وهل أنت واثق من أنه خارج البلاد ؟

ـ كل الثقة .. لقد وضعته تحت الرقابة منذ الوقت الذى غادر فيه كمبرلاند حتى الوقت الذى أبحر فيه .. أجل .. أؤكد لك اننى كنت حريصا ، فأعطيت والدة آن كاثريك صيغة خطاب تكتبه الى الآنسة هالكومب ، قائلة ان لا ذنب لى فى ايداع ابنتها مستشفى المجاذيب ؟.. كما بذلت أموالا طائلة فى تعقبها بعد فرارها !.. وبرغم ذلك كله فانها تحضر الى هنا وتروغ منى فى أرضى بالذات !

ـ اطمئن يا برسيفال .. ان العثور على آن كاثريك هو أول ضرورة ، وقد أوفق فى بحثى عنها غدا الى نتيجة خير ممـــا وصلت أنت اليه.. بقى سؤال أخير قبل أن نأوى الى مضاجعنا..

ـ وما هو ؟

ـ هاكه !٠٠ قادتنى الصدفة الى مخزن الزوارق فى الوقت المناسب كى أرى امرأة غريبة تفارق زوجتك ٠٠

وانبعثت من عينيه نظرة حاقدة مفاجئة ، واستأنف قائلا : « لم أكن أتجسس كما اعتقدت ليدى جلايد ٠٠ ولكن الصدفة لم تقربنى من المرأة الغريبة بدرجة تكفى لان أرى وجهها بجلاء ٠٠ فلا بد لى من أن أعرف كيف أستدل على فتاتنا « آن » ٠٠ ما شكلها ؟ »

ـ ألخصه لك فى كلمتين ٠٠ انها الصورة المريضة لزوجتى ٠٠ فهتف الكونت متعجبا : « ماذا تقول ؟ »

ـ تخيل شكل زوجتى بعد مرض منهك ، وأضف بعض الخلل فى عقلها ، تجد آن كاثريك أمامك !

ـ هل هناك صلة قرابة بينهما ؟

ـ بتاتا !

ـ ومع ذلك فبينهما هذا الشبه ؟

ـ أجل ٠٠ ومع ذلك فبينهما هذا الشبه ٠٠ ما الذى يضحكك ؟

ولم يصدر رد ، لا ولا سمعت ماريان صوتا ٠٠ اذ كان فوسكو يضحك بطريقته الصامتة الناعمة ٠٠ فكرر سير برسيفال سؤاله : « ما الذى يضحكك ؟ »

فأجاب : « لعلى أضحك من أوهامى يا صديقى !٠٠ حسنا ٠٠ حسنا ٠٠ حسنا !٠٠ سوف أعرف آن كاثريك حين أراها ٠٠ وهذا يكفى الليلة ٠٠ فاهدأ بالا يا عزيزى برسيفال ٠٠ نم يا بنى ٠٠ نم نوم مستريحى الضمير ، وانظر ما سوف أفعله من أجلك حين يشرق نور النهار لمساعدتنا ٠٠ ان عندى خططا أحتفظ بها هنا فى رأسى الكبير !٠٠ سوف تدفع ديونك ، وتعثر

على آن كاثريك ٠٠ أقسم بشرفى ليكونن لك هذا ٠٠ والآن ، طاب مساؤك »

✤

◆ **ولم** تدر بين الرجلين كلمة واحدة بعد ذلك ٠٠ وسمعت ماريان الكونت يغلق باب حجرة المكتبة، وسير برسيفال يحكم رتاج مصاريع النوافذ ، اذ كان المطر ينهمر بشدة ، بحيث بلل ثيابها تماما وتسرب الى جسدها ٠٠ وحين حاولت أن تتحرك آلمتها المحاولة الاولى ، حتى اضطرت الى الكف عنها ٠٠ لكنها عادت تحاول مرة أخرى فنجحت هذه المرة فى النهوض على قدميها، وزحفت ببطء فوق سطح الشرفة ، ثم تسلقت النافذة بعناء كبير عائدة الى مخدعها ، والساعة تدق معلنة انتصاف الليل !

ولم تكن قد فرغت بعد من مهمتها ٠٠ كان عليها أن تسجل كتابة تفصيل الحديث الذى جرى بنصه ، وهو بعد عالق بذاكرتها ! ومن ثم أضاءت شمعة وجلست وفى يدها الريشة والورق ، **فأخذت تكتب بسرعة وثيابها المبللة تبعث البرد فى أوصالها ٠٠ حتى التهبت عيناها ، واتقدت رأسها بالحمى ٠٠ وجففت الحرارة جسدها ، ومع ذلك فقد راحت ترتجف من رأسها الى قدميها ٠٠**

ثم هوت الريشة من أصابعها، وتهاوت من مقعدها الى الارض فى اغماءة !

١٤ ـ الكونت فوسكو يعد عدته !

◆ **كان** موعد الافطار فى قصر « بلاكووتر بارك » متأخرا ، لا يبكر عن التاسعة والنصف ، وقد يتأخر الى العاشرة ٠٠

وحين لم تظهر الآنسة هالكومب على المائدة أرسلت خادم لتستفسر أمرها ٠٠ فعادت الخادمة تهبط السلم عدوا وتقول ان باب غرفة الآنسة هالكومب مغلق بالمفتاح من الداخل ، وانها لم تتلق ردا على طرقاتها ، فى حين تنبعث من الغرفة أصوات ضجيج وكلام غير مسموع !

وسرعان ما ترك سير برسيفال والكونت مائدة الافطـــار وهرعا الى الطابق العلوى ، وهناك ألقى فوسكو بجسمه الثقيل على الباب المغلق فانفتح ٠٠

وكانت الآنسة هالكومب تذرع الغرفة وتهذى فى هياج وهى محمومة ٠ وانتقلت عينا الكونت منها الى الريشة الملقاة على الارض والاوراق المبعثرة على المائدة ٠٠ فتقدم من فوره وألقى نظرة على ما كتب فيها ، ثم جمعها بيديه البدينتين الناصعتين، ومضى الى النافذة فألقى منها نظرة على سقف الشرفة ٠٠ ثم هز رأسه وقال : « ان الحظ حليفنا يا برسيفال ٠٠ اليك ـ فى يدى ـ نص حديثنا فى الليلة المنصرمة ٠ ولا بد أن الآنســة هالكومب قد أنصتت اليه من الشرفة ٠ يا لماريان من رائعة ! انى لآسف لان الضرورة تدفع كلا منا لان يقف ضد الآخر ! »

فسأله سير برسيفال ، وقد ابيض وجهه من القلق : « ماذا نفعل يا فوسكو ؟ »

فوضع فوسكو الاوراق فى جيبه وقال : « **ماذا نفعـــل يا برسيفال ؟ ٠٠ نؤدى واجبنا الانسانى دون شك ٠ ان الآنسة هالكومب مسلوبة الحول فى الوقت الحاضر ٠٠ فلتستدع ليدى**

جلايد وزوجتي كي تخلعا عنها ثيابها وتضعاها في فراشها ٠٠ ولترسل خادما على ظهر جواد الى أقرب طبيب ! »

وقبل انقضاء ساعة وصل الدكتور « داوسون » ، وكان طبيبا محترما متقدما في السن معروفا في المنطقة كلها ٠٠ ففحص ماريان ، ثم خرج من غرفتها بصحبة لورا وهبط السلم الى الطابق الاسفل ، حيث كان سير برسيفال والكونت فوسكو ينتظران في الردهة كي يقفا منه على النتيجة !؟٠٠ فقال لهما : « أخشى أن تكون الآنسة مصابة بحمى شديدة الخطورة ؟ »

ودخل الكونت مع الطبيب في حديث يتخلله المزاح ، وراح يدلي جزافا بآرائه ونصائحه بشأن علاج المريضة !٠٠ فنظر اليه الطبيب المسن في دهشة يشوبها الغضب وسأله : « هل نصائحك هذه صادرة من طبيب ؟ »

فأجابه الكونت : « لقد درست الطب عن هواية فحسب »

ـ انى لم آلف التشاور مع أطباء هواة !

فابتسم الكونت في عذوبة وقال وهو يبرح البيت : « طاب يومك يا دكتور داوسون ! »

◆

◆ **كان** الكونت يبغي السير حتى مخزن الزوارق ، ظنا منه أن آن كاثريك لا بد أن تعود اليه ان عاجلا أو آجلا ٠٠ وكان العثور عليها أهم ضرورة لديه

وكان قد قضى جالسا في الاستراحة ما يقرب من الساعة حين سمع خطى تقترب ٠٠ فلبث في مكانه صامتا بلا حراك ٠٠ واقتربت الخطى حتى ظهرت أمامه على عتبة الباب قروية عجوز، ذات وجه أسمر يطفح بالصحة ٠٠ فابتدرها الكونت وهو يتأملها بامعان : « هل تنتظرين مقابلة أحد هنا ؟٠٠ انى أنتظر ومعى رسالة من الليدى جلايد ، لكنني لا أدرى اذا كنت المرأة التي ينبغي أن تستلمها ؟ »

فقالت العجوز وهى تتنفس الصعداء : « أوه ، نعم ، أنا السيدة كليمنتس يا سيدى . وآن تقيم عندى ، وفى وسعك أن تسلمنى الرسالة وأنت آمن ! »

ـ ان ليدى جلايد تريد من آن ـ ومنك أنت بصفتك صديقتها الحميمة ـ أن تعودا فورا الى لندن ، فهى على ثقة من أن سير برسيفال سوف يهتدى اليكما اذا بقيتما فى ضواحى «بلاكووتر» بعد الآن .. وسوف تذهب ليدى جلايد نفسها الى لندن بعد وقت قصير ، فاذا سبقتها وآن الى هناك فسوف تسمعان أنباءها وترياها فى خلال أسابيع قلائل !

فأجابت السيدة كليمنتس : « انى لست أرجو أكثر من أن أعود بآن المسكينة فى أمان الى لندن . لكنها لا تستطيع الانتقال الآن . انها مريضة وملازمة فراشها . وهذا هو السبب الذى جعلها ترسلنى بدلا من أن تحضر بنفسها .. »

ـ وهل استشرتم طبيبا بشأنها ؟

ـ كلا ، فقد خشيت أن يشيع نبأ وجودنا ..

ـ أنا نفسى طبيب ، فهل تحبين أن أذهب معك اليها فأرى ما يمكن عمله لاجلها ؟

ـ أكون ممتنة جدا ياسيدى . نحن نقيم فى قرية «ساندون» على مسيرة ساعة من هنا ..

وذهبا معا الى « ساندون » ، حتى بلغا كوخا يبعد قليلا عن مبانى القرية ، قالت السيدة كليمنتس أن صاحبته ـ التى أجرت لهما غرفة نوم فيه ـ وعدت بأن تكتم نبأ وجودهما !

وأجفلت آن فى فراشها لدى رؤية الرجل الغريب ، فقالت السيدة كليمنتس : « لا بأس يا عزيزتى ، فهذا السيد صديق لليدى جلايد ، وسوف يساعدنا ! »

واقترب الكونت من الفراش وتأمل فى دهشة ذلك التشابه العجيب بين آن كاثريك ولورا .. ثم قال فى لهجة « أبوية » :

« يا ابنتى العزيزة ٠٠ لقد أردت مساعدتك حين رأيتك عند مخزن الزوارق ، ولكنك كنت مذعورة فلم تدعينى أقترب منك أو أكلمك ! »

ثم أدلى اليها بالرسالة التى أبلغها للسيدة كليمنتس من قبل ٠٠ فسألته آن : « ولكن كيف أتمكن من السفر الى لندن ؟ انى أحتضر ! »

فأجابها الكونت وهو يلمس نبضها فى خفة : « سوف نرى يا عزيزتى ٠ سأعطيك دواء يقويك على الرحلة ٠ انك تثقين بى الآن ، أليس كذلك ؟ »

فهمست آن وهى تبتسم له شاكرة : « نعم »

وكانت قرية ساندون من الكبر بحيث تحتوى على حانوت صيدلى ٠٠ فمضى الكونت الى هناك ليصف الدواء ويأمر باعداده ٠٠ ثم عاد يحمله فى يده وأعطاه للسيدة كليمنتس قائلا : **« انه دواء مقو عظيم الاثر ، وسيهب آن ولا شك قوة على النهوض واحتمال الرحلة الى لندن ، وهى لا تستغرق غير ساعات ٠٠ فاسقيها هذا الدواء اليوم وغدا ٠٠ وبعد غد ستكون فى حالة تمكنها من السفر ٠٠ وسألقاكما فى محطة « بلاكووتر » وأصحبكما فى قطار الظهر ٠٠ وحتى ذلك الموعد أستودعكما الله !٠٠ لا تخشى يا آن ، فانك سترين ليدى جلايد فى أقرب وقت ! »**

وعاد الكونت الى « بلاكووتر بارك » على قدميه وهو يغنى مرحا ٠٠ وقابله السير برسيفال فى الردهة ، فسأله نافد الصبر : « أين كنت ؟ هل عثرت عليها ؟ »

فأجابه الكونت وهو يبتسم ابتسامة عريضة : « لا تشغل نفسك يا عزيزى الطيب برسيفال ، ان أمورك الآن بين يدى ٠٠ تذكر اتفاقنا ! »

✻

◆ **وحل** اليوم التالى دون أن يبدو تحسن فى حالة الآنسة هالكومب ٠٠ وحين عادها الطبيب أغضبه الكونت فوسكو للمرة الثانية بقوله ان علاجه خاطىء ، ثم أضاف : « لست أقدم لك نصيحة ، وانما حسبى أن أوجه اليك سؤالا ٠٠ انك تعيش على مسافة بعيدة من مراكز النشاط العلمى فى لندن وباريس ، فهل سمعت عن علاج آثار الحمى بتقوية المريض الضعيف بالكونياك والنبيذ ؟ »

فأجابه الطبيب : « عندما يوجه الى هـذا السؤال طبيب محترف ، فسـوف أجيب مسرورا ٠٠ لكنك لسـت طبيبا محترفا ، ولهذا ارفض ان اجيبك ! »

وفى صباح اليوم التالى وصل رد مستر فيرلى على الخطاب الذى ارسلته اليه ماريان مع « فانى » ، فاذا هو يقول فيه انه قد ساءه الى اقصى حد ان تعكر صفوه عودة لورا واختها الى قصر « ليمريدج » .. وانه يخشى ، اذا وافق ، ان يتبعهما سير برسيفال فيشتبك معه فى شجار عنيف بسبب ايوائه زوجته ! ولكى يتجنب ذلك كتب الى ماريان راجيا ان تعود وحدها اولا لتبحث الامر معه !

وفتح سير برسيفال والكونت فوسكو الخطاب وقرآه ، ثم قال الكونت : « فى وسعى ان انتفع بهذا ، فأره لزوجتك ودعها تقرأه ٠ وسأذهب أنا الى لندن هذا الصباح يابرسيفال ، وقد اتغيب هناك بضعة ايام ٠ وسأحضر معى فى عودتى ممرضـة مدربة للانسة هالكومب .. فقل لزوجتك انها ينبغى ان تجد من تعينها على تمريض اختها ٠ ولكنى ارجو ان لا تذكر شيئا للطبيب عن هذه الممرضة قبل قدومها ، لانه سوف ينظر بعين مغرضة الى اية ممرضة تأتى على يدى .. فاذا ما ظهرت فى البيت فانه سيضطر الى الاعتراف بأنلا عذر له فى عـدم استـخدامها ! »

فأجابه سير برسيفال متذمرا : « بودى لو تطلعنى على ما يدور فى ذهنك ! »

فأجاب الكونت : « لا احد سوى فوسكو يعلم ما يدور فى ذهن فوسكو ! »

❖

◆ **وصلت** السيدة كليمنتس وآن كاثريك الى محطة « بلاكووتر » فى الوقت المناسب كى تلحقا بقطار الظهر . وكان دواء الكونت قد احدث اثرا عجيبا فى صحة الفتاة ، وضاعف من نتائجه يقينها بأنها لن تلبث ان ترى ليدى جلايد فى لندن !

وقبيل قيام القطار بدقائق اقبل الكونت فوسكو الى الرصيف مهرولا ، فحيا السيدة كليمنتس وسأل فى اهتمام عن صحة آن ، ثم ساعدهما فى ركوب احدى عربات الدرجة الثالثة ، واختار لنفسه ديوانا خاليا فى عربة الدرجة الاولى !

وعند وصولهم الى لندن ساعدهما الكونت مرة اخرى . وقررت السيدة كليمنتس التوجه مباشرة الى مسكنها ، الذى كانت آن قد لجأت اليه عقب فرارها من المصحة .. فصحبهما الكونت فى عربة ، وكان المسكن لحسن الحظ لا يزال خاليا .. فتريث الكونت حتى نقلت حقائبهما الى البيت ، ولاحظ العنوان بدقة ، ثم امر الحوذى بأن يقله الى فندق فى وسط المدينة

وبعد الغداء توجه فوسكو ليزور سمسارا للمنازل ـ على مقربة ـ كان قد حصل على اسمه من كاتب الفندق ، فذكر له انه يريد منزلا مفروشا فى حى هادىء ، لمدة ستة اشهر ، وانه يفضل ان يكون بالمنزل بعض الخدم ليوفر على نفسه عناء البحث عن خدم جدد .. واعرب عن استعداده لدفع قيمة الايجار كلها مقدما ! ..

وتحمس السمسار للارتباط مع مثل هذا المستأجر المريح ، فتخير من دفاتره عدة عناوين مناسبة واعطى مفاتيحها لكاتب ذهب مع الكونت لتفقدها

وقبل ان ينقضى عصر اليوم ، كان الاختيار قد وقع على بيت فى ضاحية « غابة سان جون » فى شمال المدينة ، فدفع ايجار الاشهر الستة مقدما وسلمت المفاتيح الى فوسكو ..

وفى صباح اليوم التالى ذهب الكونت الى قصر ليمريدج ، وارسل بطاقته الى مستر فيرلى الذى قال لنفسه : **« يا للسماوات ! .. انه ذلك الزوج الاجنبى لاختى المتعبة .. وهو لا يمكن ان يكون قد اتى الا لكى يقترض منى نقودا ! » – ثم قال محدثا الخادم بصوت مسموع : « هل تعتقد انه يذهب اذا اعطيته خمسة شلنات ؟ »**

فأجاب هذا بأن الزائر يرتدى ثيابا فخمة ويبدو فى مظهر الثراء !

فسأله مستر فيرلى : « هل ذكر لك ما يبغى ؟ »

ـ قال انه حضر الى هنا لان الانسة هالكومب عاجزة عن مغادرة قصر « بلاكووتر بارك »

فقال مستر فيرلى وهو يزفر يائسا : « ادخله » .. وقد ذهل لمنظر الكونت لاول وهلة اذ شعر بان مثل هذا الرجل الضخم قمين بان يرج الارض ! لذلك سره ان لمس بعد لحظات خفة حركات الايطالى وهدوء صوته !

وقال فوسكو : « اسمح لى بأن اقدم لك نفسى يا مستر فيرلى . انه يشرفنى ويسعدنى ان اكون زوج مدام فوسكو ، ومن ثم ارجو منك الا تعتبرنى غريبا .. كلا ! لا تزعج نفسك يا مستر فيرلى ، لا تتحرك ! »

فأجاب المضيف فى اغتباط : « انك طيب جدا .. ليتنى كنت اقوى على ان انهض لاستقبلك .. تفضل بتناول مقعد ! »

فقال الكونت : « اخشى ان تكون على غير ما يرام اليوم ؟ ! »

فقال المستر فيرلى : « اننى كالمعتاد لست اكثر من حزمة من



الاعصاب ضمت لتبدو فى شكل رجل ! »

وهنا قال الكونت : « لقد درست موضوع الاعصاب فيما مضى • دعنى أبدل نظام الاضاءة فى غرفتك ! »

ثم اتجه الى النافذة فى خطى خفيفة هادئة وأردف قائلا : « ان الضوء هو المؤثر الاول الفعال • فأنت لن تستطيع الاستغناء عنه يا مستر فيرلى ، الا اذا استغنت الزهرة عنه • أنظر • ها أنذا أغلق المصاريع الخشبية للنافذة القريبة من حيث تجلس ، وأفتح خشب النافذة البعيدة عنك لتدخل أشعة الشمس المقوية ! » ثم عاد الكونت الى مقعده ، بينما كان مستر فيرلى يتمنى لو كانت ابنة أخيه لورا وأختها ماريان فى مثل رفق وعطف هذا الاجنبى الضخم الجسم !

واستأنف الكونت حديثه فقال : « ينبغى أن أذكر لك الان أن الانسة هالكومب لم تحضر الى هنا بنفسها ـ كما اقترحت ـ ولم تكتب خطابا ثانيا ، بسبب اصابتها بحمى خطيرة ! »



فصاح مستر فيرلى جزعا على نفسه : « يا الهى !٠٠ وهل هى حمى معدية ؟ »

فقال الكونت : « كلا!٠٠انها ليست معدية فى الوقت الحاضر على الاقل !٠٠ أؤكد لك »

لكن مستر فيرلى لم يطمئن الى هذا التوكيد ، واعتزم أن يتخلص من زائره غير المرغوب فيه بأسرع ما يستطيع ٠٠ فسأله : « وما الغرض من زيارتك ؟ »

فقال الكونت : « جئت لاذكر لك أولا ــ بوصفك عميد أسرة ليدى جلايد ــ ان الانسة هالكومب لم تبالغ فى الخطاب الذى كتبته اليك ٠ فأنا أقدم صديق لسير برسيفال ، وأنا فى الوقت نفسه أمت بصلة النسب الى ليدى جلايد ٠ ثم اننى شاهد عيان لكل ما جرى فى قصر « بلاكووتر بارك » ٠٠ والفراق المؤقت هو الحل الودى الوحيد ٠ وأعدك بأن سير برسيفال لن يدنو من هذا البيت اذا قبلت أن تؤوى زوجته فيه ! »

فأجاب مستر فيرلى فى وهن : شكرا لك ٠٠ اذن ففى وسع ماريان ان تحضرها حين تتحسن حالها »

ـ لا يا سيدى .. لا يجب ان تفكر فى الانتظار حتى تشفى الانسة هالكومب من مرضها ، ثم تستقبل ليدى جلايد .. ان مركزها بازاء زوجها يزداد سوءا وخطرا فى كل يوم .. فاكتب الى ليدى جلايد تدعوها الى الحضور وحدها ! »

ولم يجد مستر فيرلى صعوبة جديدة يثيرها ، بينما استطرد الكونت : « أراك مترددا ؟ !٠٠ انى أفهم سبب ترددك ، فأنت لا تستطيع ان تتصور كيف يمكن ان تقوم ابنة اخيك بمثل هذه الرحلة وحدها ! .. فدعنى ازيل هذه العقبة ! .. لقد استأجرت دارا فى لندن ، ومن الممكن ان اقابل القطار القادم من «بلاكووتر» فآخذها لتستريح وتنام فى بيتى ، فهو فى الوقت ذاته بيت عمتها .. حتى اذا استردت قواها ، رافقتها الى المحطة ثانية ، لتسافر الى هنا ، حيث تستقبلها خادمتها الخاصة «فانى» التى تقيم الان تحت سقفك .. ! »

ورأى المستر فيرلى فى الموافقة على هذا الاقتراح فرصة تريحه من ضيفه اللحوح .. فوعد بكتابة الخطاب فورا ، راجيا ان يفوز بنتيجة طيبة اخرى ، اذ كان واثقا من ان لورا لن توافق على مغادرة قصر « بلاكووتر بارك » اثناء مرض اختها .. !

وتناول الورق والقلم فكتب الدعوة على عجل وسلمها الى فوسكو قائلا وهو يغوص فى مقعده : « اعذرنى ، فانى مرهق جدا ، ولست اقوى على ان افعل شيئا اخر ٠ هل لك ان تستريح وتتناول الغداء فى الطابق الاسفل ٠ سلامى وحبى وعطفى الى الجميع فى قصر « بلاكووتر » ٠٠ طاب يومك »

ثم اغمض عينيه ٠٠ وحين جازف بفتحهما ثانية ، كان الكونت قد ذهب !

١٥ – رحلة قاتلة

◆ **لم يكد** الكونت يعود الى لندن حتى مضى لزيارة منزل حقير فى احد الاحياء الفقيرة .. ثم غادره بعد ساعة وفى صحبته امراة اجنبية الهيئة .. واستقل الاثنان عربة الى المحطة حيث ركبا القطار الى « بلاكووتر بارك » فبلغاها فى ساعة متاخرة من ذلك المساء !

وقدم الكونت مرافقته كممرضة مدربة ، تدعى « مسز روبل » . وكانت ماريان قد تحسنت قليلا ، لكنها لم تتجاوز مرحلة الخطر بعد .. وكانت لورا نفسها على غير ما يرام ، من فرط ما انهكت قواها فى تمريض اختها .. كذلك كان سير برسيفال فى حالة عصبية جعلته يفزع لاقل ضجة ، ويعجز عن ان يظل فترة طويلة بغير حركة ! .. ومن هنا ابتدر صديقه فوسكو فى لهفة حين رآه : « هيه يافوسكو ، ماذا وراءك من انباء ؟ »

فاجابه الكونت فى هدوء : « لا شىء ! .. انتظر يا برسيفال ، انتظر ! .. كم من مرة نصحت لك ان تكون صبورا ؟ .. لايمكن عمل شىء قبل ان تشفى الانسة هالكومب ! »

وعندما حضر الدكتور داوسون فى الصباح التالى ليعود مريضته كعادته اليومية ، لم يسر لوجود الممرضة التى احضرت دون علمه . وصارح سير برسيفال – على حدة – باعتراضاته ، لكنه لم يجد منه اذنا صاغية ، فقال له : « انها قد تكون احسن ممرضة فى الوجود ، لكنها لم تأت من طرفى »

فاجابه سير برسيفال : « كذلك اية ممرضة تاتى من طرفك ستكون غريبة عن لندن .. وانا ارى اننا ينبغى ان نجرب المراة بعد ان تجشم الكونت فوسكو عناء احضارها من لندن ! »

قال الطبيب : « فيما تقول شىء من الانصاف ، ومن ثم سأوافق

على بقائها ، بشرط ان تذهب على الفور اذا وجدت سببا للشكوى منها ! »

فقال سير برسيفال : « وانا اقبل هذا الشرط مرحبا ! »

*

◆ **وانقضى** اسبوعان تأرجحت خلالهما ماريان هالكومب بين الحياة والموت .. آنا تبدو فى حالة اعياء يختلط فيها الضعف بالنعاس .. وآنا تهاجمها الحمى مصحوبة بمزيد من الهذيان .. ولم تتح « مسز روبل » سببا واحدا للشكوى منها ، فقد كانت تؤدى واجباتها فى هدوء وكفاءة . وبرغم وجودها فى « بلاكووتر بارك » فقد استمرت لورا تعمل كل ما فى وسعها لتمريض اختها ، رغم انها كانت هى نفسها فى اشد الحاجة الى الراحة ..

وفى اليوم العشرين لمرض ماريان هبط الطبيب من مخدعها وعلى وجهه الصادق ابتسامة عريضة ، وكان الكونت وسير برسيفال وزوجته فى غرفة المكتبة ، فابتدرهم بقوله : « عندى لكم انباء طيبة . كل ما تحتاج اليه الانسة هالكومب الان هو العناية والتمريض الدقيقين لفترة اخرى من الزمن .. لكنها تجاوزت الخطر نهائيا على اى حال ! »

وكان تأثير هذه الكلمات فى لورا شديدا ، اذ كانت اضعف من ان تحتملها ، فنصح لها الطبيب بان تلازم غرفتها بضعة ايام ، يتوافر لها خلالها الهدوء والراحة .. ثم تقوم على اثر ذلك برحلة لتبديل الهواء .

وعلى اثر صعود لورا الى مخدعها قال الكونت : « اذن فقد نجت الانسة هالكومب من الخطر يا مستر داوسون ، برغم علاجك .. لو انك اتبعت نصائحى .. »

فصاح الطبيب فى غضب قائلا : « سير برسيفال ! .. هل تسمح ان اخاطب بهذه اللهجة فى بيتك ؟ »

فاجابه سير برسيفال : « يبدو انك تنسى يا داوسون ان الكونت فوسكو صديقى ، وان معلوماته الطبية قد تفوق خبرتك ! »

وذهل الطبيب ، ولكنه جاهد حتى قال : « فى هذه الحالة لن احضر بعد الان . ان الانسة هالكومب لم تعد فى حاجة الى رعايتى ، ومن ثم فانى انسحب من معالجة الحالة . طاب يومكم ! »

فاجابه سير برسيفال وهو يهز كتفيه استخفافا : « كما تشاء ! »

ولزم الكونت الصمت ، حتى انبأه صوت اغلاق الباب الخارجى بان الدكتور داوسون قد غادر البيت .. وعندئذ قال وهو يبتسم : « اترى يا برسيفال كيف كانت خططى ناجحة ؟ .. كنت اعلم ان فى استطاعتى التخلص من ذلك الطبيب الغبى وقتما اشاء .. والان جاء دورك . سوف اغادر ومدام فوسكو هذا البيت بعد غد ، فعليك ان ترسل زوجتك الى لندن فورا بمجرد ان تتلقى نبأ منى . لكنها لن تغادر « بلاكووتر » ما دامت ماريان هنا . وقد اعددت خططى لهذا .. فتعال واسمع تفصيلاتها ! »

ثم امسك بذراع سير برسيفال وقاده الى النافذة ، حيث اخذ يهمس له بضع دقائق ، فشحب وجه سير برسيفال لما سمع ، وهتف : « كلا ، كلا يا فوسكو ! لا استطيع ان افعل ذلك ! »

فأجاب الكونت : « بل يجب يا صديقى . لقد تركت دفة امورك فى يدى .. والان سأتركك كى ارى فيرانى المسكينة .. فيرانى البريئة المدللة ! .. اطفالى الصغار الاعزاء ! .. ان اباهم الطيب قد شغل فى الايام الاخيرة عن العناية بهم . لا تنس يا برسيفال : اخل القصر من جميع الخدم قبل مساء غد ، وابق واحدة لليدى جلايد ، ولتكن الغبية : مرجريت بورشر ! »

❖

◆ **واذ** خلا برسيفال الى نفسه فى غرفة المكتبة ، استغرق فى التفكير لبضع لحظات ، ثم دق الجرس وسأل عن مدبرة المنزل .. فلما مثلت امامه قال لها : « اريد ان احدثك فى امر

استقر عليه عزمى منذ زمن .. ان عندى اسبابا تجعلنى ارغب فى الغاء اقامتى فى هذا القصر فورا ، فبمجرد ان تتمكن ليدى جلايد والانسة هالكومب من السفر يجب ان تسافرا لتبديل الهواء .. ولسوف يبرحنا صديقى الكونت فوسكو وليدى فوسكو قبل ذلك ليقيما بضواحى لندن .. وعندئذ لن يكون عندى ضيوف آخرون ، لدواع اقتصادية ، فان نفقاتى هنا باهظة جسيمة . وبالاختصار فانى سأبيع جيادى واتخلص من جميع الخدم فى الحال .. وعلى ذلك فسأخلى المنزل منهم فى مثل هذه الساعة من الغد ! »

ونظرت مدبرة المنزل اليه فى دهشة وسألته : « اتعنى ياسيدى اننى يجب ان افصل الخدم الذين تحت امرتى جميعا دون الانذار المعهود قبل ذلك بشهر ؟ »

ـ نعم اعنى ذلك ! .. فقد تغادر جميعنا المنزل قبل ان يكتمل شهر اخر ، ولن ادع الخدم هنا بلا عمل !

ـ ومن يطهو الطعام يا سير برسيفال اثناء الفترة التى ستمكثها هنا ؟

ـ تستطيع مرجريت بورشر ان تشوى وتسلق ، فاستبقيها .. وما حاجتى الى طاهية اذا كنت لا اعتزم اقامة مآدب او حفلات ؟

ـ ان الخادم التى ذكرت هى أكثر خدم البيت افتقارا الى الذكاء يا سير برسيفال ..

ـ قلت لك استبقيها ، ولتقم أية امرأة من القرية بأعمال التنظيف ثم تنصرف بعدها . ان نفقاتى الاسبوعية يجب ان تخفض فورا ، وستخفض .. فاطردى جميع خدم البيت غدا ، باستثناء بورشر ، فانها فى قوة الحصان وسوف نجعلها تعمل كالحصان !

ــ ارجو ان تسمح لى بان اذكرك يا سير برسيفال بان الخدم اذا طردوا غدا ، وجب ان يتقاضوا اجر شهر عوضا عن فترة الانذار !

ــ فليكن .. ان اجر شهر اقل من التبديد والنهم اللذين يبدران من الخدم فى شهر ..

ــ حسنا جدا يا سيدى ! .. ان تعليماتك ستنفذ ..

واحنت مدبرة المنزل راسها ، وبارحت الغرفة !

وفى اليوم التالى غادر الخدم جميعا القصر ، فبدا غريبا موحشا .. وتولى سير برسيفال بنفسه تسريح عمال الحظائر وخدم الجياد ، وأرسل جميع الجياد ــ الا واحدا ــ الى لندن . واستبقى البستانى ــ الذى كان يقطن فى كوخه الخاص ــ كى يعنى بالجواد الاوحد الباقى ! .. ولم يبق من الخدم الذين كانوا يعملون داخل القصر سوى « مرجريت بورشر »

✤

◆ فى ساعة متأخرة من ذلك المساء دخل الكونت فوسكو وزوجته غرفة ماريان هالكومب ، وكانت مسز روبل تجلس عند طرف الفراش ، فنهضت واقفة حين رأتهما .. وهمس لها الكونت : « هل اعطيتها الجرعة ؟ »

فأجابت الممرضة : « نعم ، ممزوجة بدوائها .. فاطمئن الى انها لن تستيقظ ! »

ــ حسنا ! ينبغى اذن ان نعمل دون اشراك سير برسيفال ، فان أعصابه ليست من البرود بحيث يوثق بها . سأحمل أنا الطرف الاعلى للفراش ، وتحملين أنت طرفه الادنى » .. والتفت الى زوجته قائلا : « أما أنت ياملاكى فستحملين الشمعة وتنيرين لنا الطريق ! »

وفى منتصف الليل غادر الثلاثة حجرة النوم ، وساروا فى بطء عبر الممرات الساكنة: الكونتة فوسكو فى المقدمة ، تحمل الشمعة عاليا ، والكونت ومسز روبل يتبعانها حاملين فيما بينهما السرير الذى رقدت عليه ماريان غائبة عن وعيها بتأثير المخدر !

وبلغوا جناحا مهجورا من القصر ، لم يستعمل منذ سنوات طويلة ، فوضعا ماريان فىاحدى حجرات النوم غير المأهولة٠٠ وقال الكونت : « انى أتركها فى رعايتك يامسز روبل،ليومين أو ثلاثة أيام فقط ٠٠ ولكن لا تدعى خلال هذه الفترة أحدا ـ عدا سير برسيفال ـ يعلم بأنك أو الآنسة هالكومب فى البيت ! »

❉

◆ **وفى** الصباح التالى غادر الكونت فوسكو وزوجته قصر « بلاكووتر بارك » ٠٠ وكانت آخر كلماته الى سير برسيفال: « ستسمع أنباء منى ٠٠ ربما غدا ، وربما بعد غد ٠٠ فيجب بمجرد أن تتلقاها أن تقنع ليدى جلايد بالسفر فورا ٠٠ تذكر هذا ٠٠ السفر فورا ٠٠ أرها الخطاب الذى أعطانيه مسترفيرلى يدعوها فيه الى ليمريدج ٠ وداعا يابرسيفال ولتكن شجاعا٠٠ ان متاعبنا توشك أن تنتهى ! »

وصعد الى العربة فى اثر مدام فوسكو ، ثم تناول قفص فيرانه من يدها ، وبعد أن أراح جسمه الضخم على المقعد فتح القفص وأطلق فيرانه المحبوبة تزحف عليه !

وبعد يومين وصل خطاب من الكونت ، فقرأه سير برسيفال ثم فركه فى يده ٠٠ وصعد من فوره ليرى زوجته فألفاها فى صحة متحسنة ، توشك أن تغادر غرفتها ٠ فسألها : «الى أين أنت ذاهبة ؟ »

ـ الى حجرة ماريان ٠٠

– قد يجنبك الاستياء أن أقول لك فورا أنك لن تجديها هناك ..

– لن أجدها هناك ؟

– بلى .. لقد غادرت البيت منذ يومين مع فوسكو وزوجته!

ولم تكن لورا من القوة بحيث تتحمل المفاجأة .. فشحب وجهها ، واستندت الى الحائط وهى تحدق فى زوجها .. ثم صاحت بعد لحظة : « مستحيل !.. أين كان الطبيب حين رحلت ماريان ؟ »

فقال سير برسيفال : « لم تكن ثمة حاجة الى الدكتور داوسون ، ولم يكن موجودا .. فضلا عن أن ماريان كانت من القوة بحيث تحتمل السفر ، مالك تحدقين فى هكذا ؟ اذا كنت لا تصدقين أنها رحلت فابحثى عنها بنفسك .. افتحى حجرتها وجميع الحجرات الاخرى اذا أردت ! »

ولم تتردد لورا ، ولكنها لم تجد أحدا فى غرفة الآنسة هالكومب عدا مرجريت بورشر ، التى كانت منهمكة فى تنظيف الحجرة .. ثم فتشت لورا الغرف الاخرى قبل أن تعود الى زوجها متسائلة : « ما معنى هذا يا سير برسيفال ؟.. أرجوك بل أستحلفك أن تجيبنى .. ما معنى هذا ؟ »

فأجابها : « معناه أن الآنسة هالكومب أصرت على انتهاز فرصة سفر فوسكو الى لندن لتذهب الى هناك هى الأخرى »

– الى لندن ؟

– نعم .. فى طريقها الى ليمريدج

– ولماذا تذهب ماريان الى ليمريدج وتتركنى هنا وحدى ؟

– لان عمك أبى أن يستقبلك قبل أن يرى أختك أولا .. أنسيت الخطاب الذى كتبه اليها بهذا المعنى فى بداية مرضها ؟ .. لقد عرض عليك وقرأته ، وكان يجب أن تتذكريه

– نعم ، انى أذكره

ـ اذا كنت كذلك ، فلماذا تدهشين لانها تركتك ؟ انك تريدين العودة الى ليمريدج ، وقد ذهبت لتحصل لك على اذن من عمك ·· وهاك الاذن ··

وأخرج من جيبه الخطاب الذى حصل عليه الكونت فوسكو من مستر فيرلى ، فقدمه لها ·· وكان غير مؤرخ ، وقد جاء فيه:

« عزيزتى لورا ·· أرجو أن تحضرى وقتما يروق لك ·· ويمكنك أن تخففى مشقة الرحلة بالمبيت فى منزل عمتك ··

المشتاق :

«فردريك فيرلى »

وقال سير برسيفال : « سأكتب الى فوسكو فى بريد الليلة لانبئه بأن يترقب سفرك فى قطار ظهر غد ·· وسيلقاك عند وصولك الى محطة لندن فيأخذك لتقضى ليلتك فى منزل عمتك! »

فرفعت لورا بصرها عن خطاب عمها وهى ترتجف فى عنف ، ثم قالت : « لا داعى لان ينتظرنى الكونت فوسكو ، فانى أفضل ألا أبيت فى لندن ·· »

ـ بل يجب ، فانك لا تستطيعين أن تقطعى الرحلة الى كمبرلاند فى يوم واحد ·· ولا بد لك من أن تستريحى ليلة فى لندن ، وأنا لا أحب لك أن تنزلى وحدك فى فندق !

ـ لا تكتب الى الكونت فوسكو ·· أرجوك ·· أرجوك ·· لا تكتب له !

فصاح سير برسيفال وقد انفجر غضبه فجأة : « لم لا ؟ أود أن أعرف ! ·· أين يمكن أن تقضى الليلة فى مكان يليق بك أن تنزلى فيه فى لندن خير من بيت عمتك ؟ »

ـ أوثر ألا أذهب اليه ، بل والا أقضى ليلة فى لندن على الاطلاق ··

ـ كفى ! ·· اذا كنت لم تؤتى من الادراك ما يكفى لتعرفى ما فيه خيرك ، فعلى غيرك أن يعرفه لك ·· لقد دبر الامر ، وهذا

فصل الخطاب . ولا يراد منك سوى أن تفعلى ما فعلته الآنسة هالكومب من قبل ..

فهمست لورا : « ماريان ؟ .. أيعقل أن تبيت ماريان فى منزل الكونت فوسكو ! »

ـ أجل فى منزل الكونت فوسكو .. لقد باتت هناك الليلة قبل الماضية لتخفف عناء الرحلة الى ليمريدج . وأنت ستبيتين فى منزل فوسكو مساء غد لتخففى عناء الرحلة كما فعلت أختك .. ولست أريد أن أسمع كلمة أخرى غير ذلك !

وفى الصباح التالى أقل سير برسيفال زوجته الى المحطة وأركبها قطار الظهر ، فقالت له : «لن أراك ثانية ! .. هذا فراق بينى وبينك ! فراق قد يكون الى الابد .. هل تحاول أن تصفح عنى يابرسيفال ، كما أصفح عنك من كل قلبى ؟ »

واستحال لون وجهه الى بياض كئيب ، وتفصد جبينه بقطرات كبيرة من العرق ، ومر بلسانه على شفتيه الجافتين !.. ثم دوى صفير تحرك بعده القطار .. بينما بقى سير برسيفال جلايد واقفا على الرصيف بلا حراك ، ووجه زوجته الابيض ماثل أمام عينيه !

*

◆ **وفى** ساعة متأخرة من عصر اليوم التالى تلقى سير برسيفال خطابا كاد يخرجه عن وعيه . فراح يذرع الردهة ذهابا وجيئة وهو يسب ويصخب .. ثم أمر البستانى باخراج الجواد والعربة . وبعد ربع ساعة قفز الى العربة وراح يلهب الجواد بسوطه حتى جعله يطوى الارض .. وانطلق وقد شحب وجهه بحيث حاكى وجوه الموتى !

كان الخطاب من الكونت فوسكو ، وقد جاء فيه أن الليدى جلايد قد ماتت فجأة ـ متأثرة بهبوط فى القلب اعتراها ليلة وصولها الى بيته فى لندن !

١٦ ـ عودة وولتر هارترايت

◆ **فى** باكورة صيف سنة ١٨٥٠ غادر وولتر هارترايت ومن بقى من رفاقه على قيد الحياة غابات أمريكا الوسطى ومجاهلها الموحشة عائدين الى وطنهم .. فلما وصلوا الى الساحل استقلوا سفينة الى انجلترا .. لكن السفينة غرقت فى خليج المكسيك ، وكان «هارترايت» بين القليلين الذين نجوا من البحر .. وكانت هذه ثالث مرة ينجو فيها من خطر الموت .. فلقد تعرض للموت مرضا .. وللموت على أيدى الهنود الحمر .. ثم للموت غرقاً .. وكان الموت يدنو منه فى المرات الثلاث ، ثم يتجاوزه !

والتقطت سفينة أمريكيه كانت فى طريقها الى «ليفربول» أولئك الناجين من الغرق ، فوصلت الى الميناء فى الثالث عشر من اكتوبر سنة ١٨٥٠ . وهبط «هارترايت» الى البر فى العصر ، فوصل الى لندن فى مساء اليوم ذاته .. فلما سمع من أصدقائه نبأ موت لورا ، قرر أن يزور قبرها قبل أن يستهل حياته فى انجلترا من جديد ..

وفى ذات أصيل ساج من أصائل الخريف ، غادر الشاب القطار فى محطة ليمريدج الصغيرة ، وسار على قدميه سالكا الطريق الذى كان لايزال يذكر معالمه جيدا . وسرعان ما كان يقف بازاء الصليب الرخامى المثبت على القبر .. القبر الذى أصبح يضم جثمان كل من الام والابنة معا ! .. وخلال الدموع التى ترقرقت فى عينيه قرأ العبارات التى حفرت حديثا على لوحة القبر .. الحروف الواضحه القاسية السواد التى روت قصة حياتها ومماتها :

« تقديسا لذكرى لورا ، ليدى جلايد ، زوجة سير برسيفال

جلايد سيد «بلاكووتر بارك» بمقاطعة هامبشاير ٠٠ وابنة المرحوم فيليب فيرلى سيد دار ليمريدج ٠ ولدت فى ٢٧ مارس سنة ١٨٢٩ ، وتزوجت فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٤٩ ، وماتت فى ٢٥ يوليو سنة ١٨٥٠ ، بالغة من العمر احدى وعشرين سنة »

وركع هارترايت أمام القبر ، وأسند يديه وفوقهما رأسه على الحجر الابيض ٠٠ ثم أغمض عينيه المتعبتين ، فاذابالافكار عن لورا تملأ رأسه ٠٠

وانقضى وقت طويل ، وهارترايت ما زال جاثيا أمام القبر ٠٠ حتى سمع وقعا خافتا لخطوات تقترب فرفع عينيه

كانت الشمس على وشك المغيب ٠٠ ورأى فى فناء الكنيسة امرأتين تسيران نحو القبر فى بطء وقد أسدلتا نقابيهما فأخفيا وجهيهما ٠٠ ثم توقفتا ورفعت احداهما نقابها ٠٠ فاذا به يرى أمامه تحت الضوء الغارب ٠٠ وجه ماريان هالكومب !

لشد ما تغير هذا الوجه كأنما مرت عليه السنون ! ٠٠ العينان واسعتان ضاريتان ، تنظران اليه فى ذعر عجيب ٠٠ والوجه مضنى مكدود ، سطر عليه الالم والخوف والاسى !

هب هارترايت واقفا على قدميه ، ومشى خطوة واحدة نحوها ، مبتعدا عن القبر ! ٠٠ ولم تتحرك ٠٠لا ولا نطقت! ٠٠ وفجأة أطلقت المرأة المحجبة التى معها صرخة خافتة ٠٠فتوقف هارترايت ، وسرت فيه رعدة ٠٠ من رأسه حتى قدمه !

وتحركت المرأة ذات الوجه المحجب مبتعدة عن ماريان هالكومب ، وأقبلت نحوه بخطى وئيدة ٠٠ فنظر هارترايت اليها ٠٠ واليها وحدها ٠ ظل ينظر ٠ ووقفت عند الجانب الآخر من القبر ، فصارا متقابلين ، وجها لوجه ، وليس بينهما سوى حجر من الرخام ٠٠

ورفعت المرأة نقابها ٠٠

« تقديسا لذكرى لورا ، ليدى جلايد ٠٠ »

وهناك ٠٠ بجانب هذه الكتابة المنقوشة ، كانت تقف شاخصة الى هارترايت من فوق قبرها : لورا ، ليدى جلايد !٠٠ بلحمها ودمها !

✽

◆ **وهذه** هى القصة التى روتها له ماريان هالكومب : لقد حملت اليها مسز روبل خطابا من مدام فوسكو تعلن فيه موت ليدى جلايد المفاجىء فى بيت الكونت فوسكو ، دون أن تحدد تاريخه ٠٠ فأيقنت لتوها أن أختها اغتيلت ! وانقضى أكثر من ثلاثة أسابيع قبل أن تقوى على مبارحة فراشها والسفر الى لندن ٠٠ واذ بارحت « بلاكووتر بارك » يممت شطر مكتب المستر جيلمور ، وأنبأته بشكوكها ، فقام المحامى بتحريات





لقى فيهـــا من الكونت فوسكو كل عون . **وقال الطبيب الذى عاد ليدى جلايد فى بيت الكونت والذى أصدر شهادة الوفاة ، أنه رآها يوم ٢٥ يوليو ، وانه لا يشك فى أن الوفاة نشأت عن مرض القلب ! وذكر خـــدم فوسكو أن ليدى جلايد وصلت يوم ٢٥ يوليـــو ، ومرضت ، وماتت فى نفس الليلة . ونتيجة لهذه الشـــهادات قال مستر جيلمور لماريان انه واثق من أن لا صحة لشكوكها ، وانه يعتقد انها راودتها من جـراء مرضها وألمها بفجيعتها فى أختها !**

وذهبت ماريان بعد ذلك الى قصر ليمريدج ، حيث أخبرهـا مستر فيرلى بأنه تلقى نبأ موت ابنة أخيه من أخته مدام فوسكو، وان خطابها هـذا بدوره لم يتضمن تاريخا معينا دقيقا . وقد وافق على ما اقترحته أخته من أن تدفن لورا فى قبر أمهـا بمقبرة كنيسة ليمريدج، فرافق الكونت فوسكو الجثـة الى كمبرلاند ، وحضر الجنازة التى سار فيهـا كل سكان القرية . وقد غادر

سير برسيفال جلايد البلاد بعد وفاة زوجته مباشرة ، وهو الآن يعيش فى باريس ٠٠

وقد روى الكونت فوسكو لمستر فيرلى تفصيلات المرض الاخير لابنة أخيه وموتها ، كما أخبره بأن آن كاثريك ضبطت على مقربة من « بلاكووتر بارك » وأودعت مرة ثانية المصحة التى فرت منها من قبل ٠ وأضاف ان حالتها العقلية استفحلت نتيجة تحررها من الرقابة طويلا ، وان مقتها الاهوج وسوء ثقتها فى سير برسيفال جلايد لا يزالا على حالهما ، وان أصبحت تعتقد ـ الى جانب ذلك ـ أنها نفسها ليدى جلايد٠ وقال الكونت فوسكو للمستر فيرلى انه ينذره بذلك ، حتى يكون على بينة اذا وجدت آن كاثريك الوسائل لازعاج أقارب المرحومة الليدى جلايد بالخطابات ٠

كانت هذه هى الاوضاع التى انتهت اليها الامور حين وصلت الآنسة هالكومب الى ليمريدج فى أوائل سبتمبر ٠ وما لبثت أن عاودتها الحمى ، اذ لم يقو جسمها الضعيف على تحمل الاضطراب النفسى القاسى ٠ حتى اذا استعادت بعض قوتها ـ خلال شهر من الزمن ـ عاودتها شكوكها بصدد موت أختها ، وكانت لم تتزعزع !٠٠ **فذهبت الى لندن ، واستأجرت مخبرا بوليسيا خاصا ، لمراقبة منزل الكونت فوسكو فى « غابة سان جون » ، ولكن هذا لم ينجل عن شىء يدعو للارتياب ٠٠ وقام المخبر بتحريات سرية عن الممرضة مسز روبل أسفرت عن أنها كانت قد وصلت الى لندن مع زوجها قبل ذلك بستة شهور ، ولكن لم يعرف عنهما ما يؤخذ ضدهما ، بل كانا هادئين ، يعيشان بأمانة وشرف٠٠** ومع أن الآنسة هالكومب هزمت من كل ناحية ، الا أنها ظلت لا تعرف للسكينة معنى ، فقررت أن تزور مصحة الامراض العقلية ٠ ولم يكن الكونت فوسكو قد أخبر مستر فيرلى عن موقعها ، ولكن آن كاثريك كانت قد أدلت

بالعنوان الى هارترايت حين التقت به فى ليمريدج ، وكانت ماريان قد سجلته عندها حين أفضى اليها هارترايت بحديثه مع ذات الثوب الابيض ٠٠

ومنحها صاحب المصحة عن طيب خاطر اذنا بأن ترى آن كاثريك ، وأخبرها بأن آن قد أعيدت اليه على يدى الكونت فوسكو فى السابع والعشرين من يوليو ، وقد قدم الكونت الشهادات الطبية اللازمة ، وخطابا بالتعليمات يحمل توقيع السير برسيفال جلايد ٠ ثم رافق صاحب المصحة الآنسة هالكومب الى حديقة المصحة ، حيث كانت آن كاثريك تتريض فى صحبة ممرضة ، فأشار نحوهما وكر عائدا الى المبنى ٠

وسارت الآنسة هالكومب نحو المرأتين ، فلما غدت على قيد خطوات منهما طرحت المريضة قبضة الممرضة عنها ، واندفعت الى أحضان الآنسة هالكومب !٠٠ وفى تلك اللحظة ، عرفت ماريان فيها أختها ٠٠ عرفت الميتة ٠٠ الحية !

وحصلت الزائرة على اذن بأن تتحدث الى المريضة على انفراد٠ ولم يكن ثمة وقت لتطارح الاسئلة ٠٠ وانما استغلت الآنسة هالكومب الوقت فى أن تحمل أختها التعسة على أن تتمالك نفسها ، وفى أن تؤكد لها المعونة فى الحال اذا هى تبعت نصحها ٠ وكان الامل فى أن تنجو من المصحة اذا هى أطاعت تعليمات أختها ، كافيا لان يحمل ليدى جلايد على الهدوء ٠ ثم عادت الآنسة هالكومب الى الممرضة ، فأفرغت فى يديها كل ما كان فى جيبها من ذهب ، وسألتها عن موعد ومكان تستطيع أن تتحدث اليها فيهما على انفراد !

وذهلت المرأة فى البداية وارتابت ، لكنها أخذت النقود فى النهاية واقترحت الساعة الثالثة من اليوم التالى موعدا للقاء ــ فقد تستطيع أن تغادر المصحة اذ ذاك لنصف ساعة ، فتقابل

الآنسة هالكومب فى مكان هادىء خارج الاسوار ٠٠ وبمجرد أن استطاعت ماريان أن تنتزع نفسها من أختها المنكودة بادرت الى الانصراف

وفى طريق عودتها الى الفندق الذى كانت تنزل فيه أثناء وجودها فى لندن ، انتهت الى استنتاج أن أية محاولة لانقاذ لورا بالوسائل القانونية ستستغرق ـ على فرض نجاحها ـ وقتا طويلا ٠ ومثل هذا التأخير قد يقضى على عقل لورا ، الذى هزه الموقف الفظيع الذى وجدت نفسها فيه ٠ لذلك عزمت على أن تحقق فرار أختها فى السر بمعونة الممرضة !

وذهبت من فورها الى المصرفى الذى كانت تستثمر مالها بمعرفته ، وباعت الاسهم القليلة التى كانت تمتلكها لقاء سبعمائة جنيه ٠ وفى الموعد المحدد من اليوم التالى كانت خارج المصحة ومعها المبلغ كله نقدا ، وقد استعدت لان تدفعه بأكمله ـ اذا دعت الضرورة ـ ثمنا لحرية أختها !

ولم تتأخر الممرضة ٠٠ وعندما طرقت الآنسة هالكومب الموضوع فى حذر ، قالت الممرضة انها ستؤاخذ بمسئولية فرار المريضة ، وتفقد منصبها ٠ ولم تكن ترغب فى ذلك ، لانها كانت مخطوبة ، وكانت وخطيبها ينتظران ريثما يستطيعان أن يدخرا معا ـ فيما بينهما ـ ثلاثمائة جنيه يبدآن بها عملا أو تجارة ٠ وبينت الآنسة هالكومب أن آن كاثريك المزعومة كانت تمت لها بقرابة ، وأنها وضعت فى المصحة نتيجة خطأ جسيم ، وان الممرضة تفعل خيرا بمساعدتهما ، ثم تناولت من جيبها أربع ورقات من فئة المائة جنيه ، وقدمتها للمرأة كتعويض عن منصبها ! وبعد تمنع قبلت الممرضة ، ورجعت الى المصحة ٠٠ وانتظرت ماريان لاكثر من ساعة ، ثم أقبلت الممرضة مسرعة من خلف ركن فى السور ، ممسكة بذراع ليدى جلايد ٠٠ وفى اللحظة التى التقين فيها ،

وضعت ماريان الورقات المالية فى يد الممرضة ·· والتأم شمل الاختين مرة أخرى !

وفى الليلة ذاتها ، كانتا فى طريقهما الى كمبرلاند ·· وفى القطار ، روت لورا لماريان القليل الذى تدركه ·· فقالت :

ـ لست أذكر بالضبط التاريخ الذى رحلت فيه الى لندن · وكان الكونت فوسكو ينتظرنى على رصيف المحطة عند الوصول، فقال لى انك لم تذهبى الى ليمريدج ، وانه يصحبنى لاراك ، فذهبنا الى بيت غريب ، وحضر رجلان لرؤيتى ، فوجها لى بعض أسئلة غريبة ، دون أن يوجها لى قط الخطاب باسمى ·· وما لبث الكونت فوسكو أن قال لى انك كنت تحتضرين ، فأغمى على، فقدم لى كوب ماء له طعم غريب · ولم أعد أتذكر شيئا ، حتى وجدت نفسى فى المصحة ، حيث كان كل فرد يدعونى « آن كاثريك » !·· آه ، يا ماريان ·· ماذا كنت ترينني فاعلة لو لم تأت ؟

ووصلتا الى ليمريدج فى ساعة متأخرة من الليل ، فرأت الآنسة هالكومب لحكمتها أن لا تزعج المستر فيرلى حتى اليوم التالى · ولكنهما حين دخلتا غرفته فى الصباح ، أعلن أنه لا يعرف لورا ، وانه لم ير ما يجعله يشك فى أن ابنة أخيه دفينة فى ساحة كنيسة ليمريدج وانه سيلجأ للقانون كى يحميه اذا لم تقص عن البيت قبل أن ينتهى النهار !

وكان له بعض العذر فى تصرفه ، فان الخدم الذين كانوا يعرفون لورا مذ كانت طفلة ، كانوا هم الآخرون غير واثقين من أن التى بدت أمامهم هى مولاتهم ، فان حبس ليدى جلايد فى المصحة نجم عنه تغير كبير فى وجهها ومسلكها ··

وكانت ماريان تعتقد أن من الممكن ابقاء أختها فى القصر ، أو فى القرية ، الى أن تشفى ، فتتحدث ولا بد عن أشـخاص وأحداث فى الماضى بطريقة تثبت شخصيتها بجلاء ٠٠ ولكن هذا لم يكن ممكنا ، فان فرارها اذا اكتشف فسوف يتبعها مطاردوها الى كمبرلاند !

وكانت أسلم خطوة هى العودة فورا الى لندن ٠ ففى المدينة الكبيرة لا يلبث أن يضيع كل أثر لهما٠ وفى طريقهما الى المحطة، أصرت لورا على أن ترى قبر أمها ٠ وكانت ماريان عزوفة عن اضاعة الوقت ، فحاولت أن تثنيها ، ولكن لورا لم تتزحزح ٠٠ ولعل يد الله كانت ترشدهما الى الطريق ، فيممتا شطر المقبرة ٠٠ وهناك التقيتا بوولتر هارترايت ، ومن ثم التقى مسـتقبل ثلاثة أرواح متآلفة !

١٧ ـ موعد هام

◆ **بعد** اسبوع من الحوادث السالفة ، استقر « وولتر هارترايت » فى مسكن فى حى فقير مزدحم من احياء لندن ، اذ استأجر ـ باسم مستعار ـ منزلا مفروشا من طابقين ، فأقام فى الطابق العلوى مخصصا حجرة لعمله وحجرة للنوم .. وسكنت ماريان وفلورا ـ تحت نفس الاسم المستعار ـ الطابق السفلى ، بوصفهما « أختيه » .. وكان يتكسب العيش من الرسم للمجلات الرخيصة .. كما كان المعروف ان اختيه تساعدانه بتدبير اعمال البيت وممارسة بعض اشغال الابرة .. وكان مسكنهم الفقير، وأعمالهم المتواضعة، وأسماؤهم وقرابتهم الزائفة ، تستخدم جميعا وسائل لحجبهم فى لندن الجافلة بالخلق ..

اما فى نظر العقل والقانون ، وفى اعتقاد الاقارب والاصدقاء ، فقد كانت لورا ـ ليدى جلايد ـ دفينة مع امها فى مقبرة ليمريدج .. ومع انها اقتطعت ـ وهى حية ـ من قائمة الاحياء، الا أنها ظلت لدى أختها وهارترايت على قيد الحياة .. أما بالنسبة لبقية العالم كله فقد كانت ميتة ! .. ميتة بالنسبة لعمها .. ميتة بالنسبة لخدم القصر الذين عجزوا عن معرفتها !.. ميتة بالنسبة للسلطات الرسمية التى أعطت ثروتها لزوجها وعمتها .. كانت ميتة اجتماعيا وقانونيا ..

ومع ذلك كانت حية .. حية تعيش فى فقر واستخفاء .. حية ، يكافح مدرس الرسم الفقير من اجلها ، ليسترد لها مركزها فى عالم الاحياء .. فمنذ اللحظة التى رفعت فيها نقابها عن وجهها فى مقبرة ليمريدج وكشفت عن وجهها له ، لم يراود ذهن هارترايت أى ظل من الارتياب فى شخصيتها .. وتذكر كلمات الوداع التى خاطبها بها فى ليمريدج : « اذا جاء وقت

تستطيع فيه كل جهودى أن تمنحك لحظة من السعادة ، أو تجنبك لحظة من الشقاء ، فهل لك أن تحاولى تذكر مدرس الرسم التعس الذى علمك ! »

ولقد قدر للورا أن تجيبه : « لقد حاولوا أن يجعلونى أنسى كل شىء يا وولتر ٠٠ لكننى أذكر ماريان ٠٠ وأذكرك ! »

فى تلك اللحظة لم يتردد المدرس الشاب الذى منح لورا حبه من زمن ، فى أن يمنحها حياته أيضا ! ولقد حلت الساعة ٠٠ ومن آلاف الاميال ، خلال الغابات التى هوى فيها زملاء أقوى منه كانوا الى جواره ٠٠ خلال الخطر والموت ، قادته اليد التى تقود الناس فى الطريق الى المستقبل ٠٠ قادته يد القدر ليواجه هذه الساعة !٠٠ وفى تلك اللحظة أقسم هارترايت أن يكرس حياته بأكملها كى يحمى لورا ، ويعينها ، ويعيدها الى المركز الذى سلبوها اياه فى الدنيا والمجتمع ٠٠!

✤

◆ **وبعد** أن سمع هارترايت قصة ماريان انتهى الى نتيجتين:

فهو قد أدرك أولا ـ فى حدس وتخمين ـ طبيعة المؤامرة وان ظلت تفصيلاتها غامضة عليه !٠٠ كان من الواضح أن « آن كاثريك » قد أدخلت الى منزل الكونت فوسكو على أنها الليدى جلايد ، كما كان واضحا ان الليدى جلايد حلت محل المرأة الميتة « آن » فى المصحة ٠٠ ومن المؤكد أن الطبيب الذى حرر شهادة الوفاة ، وخدم فوسكو أنفسهم ، كانوا أبرياء !٠٠ ولعل مدير المصحة العقلية كان هو الآخر بريئا من تبعة الخدعة التى ارتكبت ٠٠

أما النتيجة الثانية التى انتهى اليها هارترايت ، فهى انهم لا يجب أن يتوقعوا رحمة من الكونت فوسكو أو سير برسيفال جلايد ، فقد كسب الرجلان ثلاثين ألفا من الجنيهات : عشرين ألفا لاحدهما ، وعشرة آلاف للآخر ٠٠ كل عن طريق زوجته !

.. ومن ثم كان لديهما أقوى الدوافع للحيلولة دون انكشاف جريمتهما .. وما كانا ليحجما عن أية خطوة ترشدهما الى المكان الذى تختبىء فيه ضحيتهما ، وتمكنهما من التفريق بينها وبين صديقيها الوحيدين فى الدنيا : ماريان هالكومب ، وولتر هارترايت !

وقد كان ادراك هارترايت لهذا الخطر الكبير هو الذى حدا به الى اختيار المسكن فى حى فقير حيث يكدح الناس فى الحياة الى حد لا يدع لهم وقتا كى يلاحظوا الاغراب . وثمة امتياز آخر هو أنهم يستطيعون العيش هناك بنفقات زهيدة وتوفير كل بنس لتحقيق حلم هارترايت . وكان لا يزال متبقيا لماريان ثلاثمائة جنيه ، كما كان قد تبقى مع هارترايت ما يقرب من هذا المبلغ ، فأودع هذه الثروة الصغيرة أحد المصارف ، للانفاق منها على أية تحريات سرية قد يتعين عليه اجراؤها ..

ولم يلبث أن فقد كل أمل فى أن تستطيع لورا بنفسها اثبات شخصيتها ، فان التغييرات الخارجية التى سببها لها العذاب والخوف من الماضى ، عززت الشبه بينها وبين آن كاثريك الى درجة كبيرة !.. كما أن حواسها ضعفت وتزعزعت ، ولم يعد من سبيل الى رد عقلها الى حالته الطبيعية الا باتباع الوسائل البسيطة البطيئة .. فصارت ماريان وهارترايت يأخذانها فى نزهات خارجية فى الايام الصحوة ، ويوفران بضعة جنيهات ليبتاعا لها النبيذ والطعام الشهى .. ويسليانها فى الامسيات بألعاب الاطفال والورق ، أو بالكتب المصورة .. أما تذكيرها بأحداث الماضى المضطربة الرهيبة فكان خليقا بأن يلحق بعقلها ضررا لا سبيل الى اصلاحه .

✤

◆ **واعتزم** هارترايت أن تكون خطوته الاولى هى استشارة مستر جيلمور الذى كان يعرفه ويثق به .. فمضى ليقابل المحامى المسن وسرد له القصة فى اختصار .. فلما فرغ منها

سأله : « ما رأيك يا مستر جيلمور ؟ »

– دعنى أولا ألقى عليك بضعة أسئلة !

وراح يلقى على الشاب أسئلته ·· أسئلة دقيقة مليئة بالريب، أظهرت بوضوح انه يعتبر هارترايت ضحية خطأ ووهم !·· ثم اختتم كلامه قائلا :

– أنا واثق يا مستر هارترايت بأنك توقن من صحة كلامك ·· لكنك جئتنى تنشد رأيى القانونى ، وكمحام ، ومحام فقط، يقتضينى واجبى أن أصارحك بأن قضيتك لا أمل فيها البتة !

– انك تسوق رأيك فى أسلوب اجمالى متعسف يا مستر جيلمور

– سأحاول أن أبسط لك بقدر الامكان : ان الدليل على وفاة الليدى جلايد قوى مقنع ·· فان عمتها تشهد بأنها وصلت الى منزل الكونت فوسكو ، وانها مرضت ، وأنهـا ماتت · والشهادة الطبية تثبت الوفاة وتقرر أنهـا طبيعية وليست جنائية !·· ثم هناك قرينة تشييع الجنازة فى ليمريدج ·· فماذا عندك – ضد هذه – من براهين تدعم قولك بأن المرأة المتوفاة لم تكن ليدى جلايد ؟ قد تذهب الآنسة هالكومب الى مصحة وترى مريضة معينة ثم تعرف فيها أختها !·· فهـل أخطرت صاحب المصـحة بذلك واتخذت الاجراءات القانونية السليمة لانقاذ أختها ؟ لا ·· بل انها عمدت الى رشوة احدى الممرضات لتتمكن المريضة من الفرار !·· وهل عرف مستر فيرلى ابنة أخيه ؟ لا !·· وهل عرفها الخدم ؟·· لا !·· وهل بقيت قريبة من ليمريدج ؟ لا ·· وانما سافرت خفية الى لندن ·· واذا كنت أنت قد عرفتها فانك لست قريبا لها ، ولا أنت صديق قديم للاسرة ·· وانى لاسألك : اذا قدمت هـذه القضية الى المحاكم الآن ، فأين براهينك وأدلتك ؟

واضطر هارترايت الى أن يتريث ويفكر قبل أن يجيب ·· كانت هذه أول مرة تعرض فيها قصة لورا وماريان عليه من

وجهة نظر الشخص الغريب عن حوادثها ·· وأول مرة توضح له فيها العقبات الفظيعة التى تعترض طريق القضية !·· فقال: « أليس من الممكن الاهتداء الى أدلة أخرى ؟·· ان الآنسة هالكومب وانا نملك بضعة مئات من الجنيهات و ·· »

فرمقه المحامى باشفاق وهز رأسه قائلا : « اذا كنت على حق بصدد سير برسيفال جلايد والكونت فوسكو ، فانهما سيضعان كل عقبة فى طريق حصولك على أدلة جديدة ·· سيثيران كل عقبة قانونية ، وسيحاربان كل نقطة فى القضية نثيرها نحن ·· فننفق الآلاف ــ لا المئات التى لدينا ــ ثم تكون النتيجة النهائية ضدنا فى الاغلب ! ان مسائل اثبات الشخصية هى أصعب المسائل علاجا ·· وحتى اذا لم تكن الميتة المدفونة فى مقبرة ليمريدج هى ليدى جلايد فانها كانت فى الحياة شديدة الشبه بها حتى اننا قد لا نفيد شيئا من تشريح الجثة ·· وبايجاز ، فالقضية بلا أسس يا مستر هارترايت ·· بل ليس هناك قضية فى الواقع !··

ــ ولكن أليست هناك أدلة أخرى يمكن استنباطها لكسب القضية ، الى جانب دليل اثبات الشخصية ؟

ــ ان أبسط الادلة جميعا ــ وهو الدليل الذى يؤخذ من مقارنة التواريخ ــ بعيد عن متناولك على ما أفهم ·· ولكن اذا استطعت اظهار عدم التوافق بين تاريخ شهادة الطبيب وتاريخ سفر ليدى جلايد الى لندن ، فأنا أول من يقول لك : هيا بنا !

ــ من الممكن تحقيق ذلك يا مستر جيلمور !

ــ فى اليوم الذى يتحقق فيه يا مستر هارترايت تكون القضية صالحة للعرض على المحاكم !

ــ لست أعرف الوسائل التى يمكن بها بيان التاريخ ، لانى لا أعرف أحدا يستطيع أن يجزم بها عدا الكونت فوسكو وسير برسيفال جلايد ··

فابتسم مستر جيلمور قائلا : « ما أحسبك تنتظر منهما أن يساعداك فلئن كانا قد تشاطرا كسب مبلغ ضخم من المال عن طريق جريمة ما ، فلا يعقل أن يعترفا بها ! »

– انهما قد يجبران على الاعتراف بجريمتهما يامستر جيلمور !

– ومن الذى يجبرهما ؟

فهب هارترايت واقفا وقال : « أنا ·· لقد طردت ليدى جلايد كالغريبة من البيت الذى ولدت فيه ·· وسجلت على قبر أمها اكذوبة ·· وهناك شخصان ما يزالان على قيد الحياة ، بغير عقاب ، هما المسئولان عن ذلك ! ·· ان بيتها لا بد أن يفتح من جديد ليستقبلها ·· ولسوف تمحى تلك الاكذوبة عن القبر أمام الملأ ، ويقدم الرجلان حسابا عن جريمتهما ، لى أنا ·· ان كانت عدالة المحاكم قاصرة عنهما ! »

ثم انحنى الشاب للمحامى وسار الى البـــاب ·· وقبل أن ينصرف تساءل : « ترى هل تعلم اذا كان سير برسيفال جلايد لا يزال مقيما بباريس أم تركها ؟ »

فأجابه مستر جيلمور : « بل لقد عاد الى لندن ·· علمت ذلك من محامية الذى لقيته أمس »

✻

◆ **واذ** بارح هارترايت المكتب وبلغ الشارع ، لاحظ رجلين واقفين يتحدثان معا ·· فلما اقترب منهما مضى أحدهما مبتعدا ، بينما بقى الثانى بلا حراك ·· فنظر اليه هارترايت حين مر به ، وعرف فيه توا أحد الرجال الذين كانوا يراقبونه قبل مغادرته انجلترا ! ·· فلعن تهوره الذى دفعه لزيارة المحامى دون تحرز ·· فقد كان طبيعيا أن يستنتج الكونت فوسكو وسير برسيفال جلايد أن ماريان اذا رغبت فى مساعدة ونصح بعد فرار لورا من المصحة ، فمن المحتمل أن تقصد الى المستر جيلمور · وفى هذه الحالة يكون مكتبه أول مكان يراقب ·· سيما وقد عرف نبأ عودة هارترايت الى انجلترا ! ·· ولكن وقت الندم على عدم

تفكيره فى لقاء المحامي فى مكان آخر منعزل كان قد فات، ولم يعد فى وسع هارترايت أن يصلح خطأه الا بأن يحول بين مراقبيه وبين أن يتبعوه الى مسكنه !

وسار على مهل ، وهو يعلم — دون أن يكلف نفسه عناء النظر — أن الرجلين يتبعانه ٠٠ حتى وصل الى بقعة تبعد عن أى موقف للعربات ٠٠ وهناك توقف ، متظاهرا بأنه يفكر ، حتى مرت به عربة سريعة من ذات العجلتين ٠٠ فقفز الى داخلها وأمر الحوذى بالاسراع الى (هايد بارك) ٠٠ ولم تكن ثمة عربة أخرى يستطيع الجاسوسان أن يركباها ٠٠ فرآهما يحاولان اللحاق به عدوا ٠٠ لكنه كان قد سبقهما ، فلما استوقف الحوذى وهبط من العربة ٠٠ لم يكن ثمة أثر لهما !

واذ ذاك رجع متجها نحو البيت ، فوجد ماريان تنتظره وحدها فى حجرة الجلوس الصغيرة، وكانت قد أقنعت لورا بأن تأوى الى فراشها لتستريح ٠٠ وروى هارترايت لماريان فى همس — خشية أن يقلق راحة النائمة فى الحجرة المجاورة — تفصيلات ما حدث ، واختتم قصته قائلا :

— ان أول ما يجب أن نهتدى اليه هو تاريخ رحيل لورا الى لندن ٠٠ هذه هى النقطة الضعيفة فى المؤامرة ، والفرصة الوحيدة لاثبات أنها ما زالت على قيد الحياة !

فسألته ماريان : « أتعنى أنك تبغى اثبات أن لورا لم تغادر قصر « بلاكووتر بارك » الا بعد تاريخ وفاتها الوارد فى شهادة الطبيب ؟ »

— بالضبط !

— وما الذى يجعلك ترجح ذلك ؟

— أمران : أولهما أن خطابى مدام فوسكو لك ولمستر فيرلى اللذين أعلنت فيهما وفاة لورا ، لم يحملا أى تاريخ ٠٠ واعتقد أن لذلك سببا ولا بد ! والامر الثانى أن لورا أدخلت المصحة فى السابع والعشرين من شهر يوليو ، وأشك فى أنه كان فى

استطاعة الكونت فوسكو أن يبقيها غائبة عن وعيها فى لندن أكثر من ليلة واحدة !٠٠ فاذا صح تقديرى ، فلا بد أنها وصلت الى لندن فى السادس والعشرين ، أى فى اليوم التالى «لوفاتها» ! ٠٠ فاذا استطعنا اثبات ذلك التاريخ ربحنا قضيتنا ضد سير برسيفال وفوسكو !

فقالت له ماريان : « نعم ، فهمت ، ولكن كيف يمكننا الحصول على الدليل ؟ »

ـ هناك رجلان يستطيعان أن يساعدانى ، وهما : سير برسيفال والكونت فوسكو ٠٠ فالابرياء قد ينسون التاريخ ٠٠ ولكنهما، وهما المجرمان ، يعرفانه ولا شك ! وفى عزمى أن أجبر أحدهما أو كلاهما على الاعتراف٠٠ وسوف أبدأ بسير برسيفال، فهناك موضع ضعف نعرفه كلانا فى حياته ٠٠

ـ أتعنى ذلك « السر » ؟

ـ نعم ، السر ٠٠ فهو سبيلنا الاكيد الوحيد الى تشديد قبضتنا عليه ! وليس فى وسعى أن أرغمه على الخروج من موقفه الحصين بوسيلة أخرى ٠٠ فهو قد وافق على المؤامرة ضد لورا الى جانب الكسب ٠ ألم تسمعيه يذكر للكونت انه يعتقد أن زوجته تعرف ما يكفى لان يدمره ؟٠٠ ألم تسمعيه يقول انه لا محالة ضائع اذا عرف سر آن كاثريك ؟

فأومأت ماريان موافقة وقالت : « نعم ٠٠ نعم سمعته ! »

ـ اذن فلتعلمى يا ماريان أننى أعتزم معرفة ذلك السر !٠٠ ان ذات الثوب الابيض أثر حى فى حياة ثلاثتنا ٠٠ ولا تزال آن كاثريك ـ وهى ميتة فى قبرها ـ ترشدنا الى الطريق !

١٨ ـ قصة السيدة كليمنتس

◆ **كان** الطريق المؤدى الى سر سير برسيفال جلايد يكمن فى لغز ذات الثوب الابيض ٠٠ التى وان ماتت فان أمها ظلت على قيد الحياة ، وينبغى حملها على تقديم المعونة ٠٠ وقرر هارترايت أن من الضرورى أولا أن يعرف كل ما يتسنى معرفته عن السيدة كاثريك ، وقد تستطيع السيدة كليمنتس ـ جارتها السابقة فى هامبشاير ـ أن تقدم له هذه المعلومات ٠ بل لقد أيقن أنه لا يستطيع البدء فى تحرياته الا بأن يتصل بصديقة آن الوفية هذه ٠٠

وعلى هذا كانت الصعوبة الاولى هى كيف يهتدى الى السيدة كليمنتس ٠ وهنا أوحت بديهة ماريان السريعة بطريقة : تلك هى ارسال خطاب الى مزرعة « تود » ـ حيث كانت آن كاثريك والسيدة كليمنتس تقيمان أثناء وجـــودهما فى ليمريدج ـ للاستفسار عما اذا كانت السيدة كليمنتس قد كتبت الى المزرعة أخيرا ، فاذا كان ذلك ، فمن أى عنوان ؟

وكتب الخطاب ٠٠ وفيما كانا الشابان ينتظران الرد ، طلب هارترايت من ماريان أن تحدثه عمـــا تعرف عن أسرة سير برسيفال وحداثته ٠٠ فقالت له ان سير برسيفال كان وحيد أبويه ، وكان أبوه سير فليكس جلايد يعانى منذ مولده تشويها موجعا غير قابل للشفاء جعله يتجنب كل مجتمع !٠٠ فلمـــا تزوج ، رحل وزوجته الى أوربا ٠٠ ولم يعودا الى انجلترا بعد ذلك قط ، بل قضيا جانبا من حياتهما فى فرنسا ، وجانبا آخر فى ألمانيا وكانا دائما يحرصان على تجنب المجتمعات !٠٠ وقد ولد ابنهما برسيفال فى الخارج ، وتلقى علومه هناك على معلمين خصوصيين ٠٠ وكانت أمه أول من فقده من أبويه ، ثم لحق بها

أبوه فى سنة ١٨٢٥ ، فعاد سير برسيفال الى وطنه ليتسلم الثروة التى ورثها .. وفى ذلك الوقت تعرف الى مستر فيليب فيرلى والد لورا

كان هذا كل ما عرفته ماريان ، فسجله هارترايت عسى أن تكون له قيمة فى المستقبل

وبعد أيام وصل رد من مزرعة تود بعنوان مكتب بريد معين ، كما شاء هارترايت .. وكانت السيدة كليمنتس قد كتبت خطابا الى السيدة تود ذكرت فيه اختفاء (آن) وسألتها أن تقوم بتحريات فى المنطقة المجاورة للمزرعة .. وقد ذكرت عنوانها بطبيعة الحال ، وكان فى لندن ، على مسيرة نصف الساعة من مسكن هارترايت !

❊

◆ **وذهب** الى هناك فى صباح اليوم التالى ، فلما طرق الباب فتحت له السيدة كليمنتس بنفسها . وبدا أنها لا تذكره ، واذ سألته عما يريد ذكرها بلقائهما فى فناء مقبرة ليمريدج ، وعنى بأن يذكرها ــ بوجه خاص ــ بأنه الشخص الذى أعان آن كاثريك على الافلات من مطارديها عقب فرارها من المصحة !

وتذكرت الظروف بمجرد أن تحدث عنها ، فدعته الى غرفة الجلوس ، وهى أشد ما تكون لهفة الى معرفة ما اذا كان يحمل اليها أية أنباء عن آن ؟

وكان مستحيلا أن يذكر لها الحقيقة كاملة دون أن يفصح عن الجريمة التى ارتكبت ــ الامر الذى كان من الخطر أن يأتمن عليه امرأة غريبة ــ فقال : « **ان هدف زيارتى هو أن أعرف الاشخاص المسئولين حقيقة عن اختفاء آن ، فليس لدى أدنى أمل فى أن أستطيع تعقب آثارها ، بل أعتقد اننا لن نراها ثانية على قيد الحياة .. لذلك فان اهتمامى الاكبر يتجه الى انزال العقاب برجلين أعتقد أنهما المسئولان عن اختطافها ، وعلى يديهما عانيت وبعض أصدقائى الاعزاء بلاء فظيعا !**

وكانت السيدة كليمنتس من الانفعال بحيث عجزت عن أن تستوعب ما قاله هارترايت تماما ، فأجابته : « انك أهل لاى شيء أستطيع أن أنبئك به فى مقابل ما أوليت آن من كرم ٠٠ اننى يا سيدى لست لبقة ولا سريعة البديهة اذا ما تحدثت الى الغرباء ٠ ولهذا أرجو أن تذكر من أين تريد أن أبدأ ٠٠ »

ـ خبرينى أولا : ماذا حدث بعد أن غادرت ليمريدج ؟

ـ عدنا الى لندن يا سيدى ٠٠ وحين قرأت « آن » فى الصحف نبأ زواج ليدى جلايد انتابها مرض شديد ٠ وتبين الطبيب فى الحال أنها مصابة بمرض خطير فى القلب ٠ وقد دام مرضها ستة أشهر ، ثم قررت أن تعود الى هامبشاير وتسعى الى مقابلة ليدى جلايد ، ولا سيما بعد أن باتت تعتقد أن يوم وفاتها ليس بعيدا ، وأن لابد لها من أن تفضى الى ليدى جلايد بالسر !

ـ وهل أطلعتك أنت على ذلك السر يا سيدة كليمنتس ؟

ـ كلا يا سيدى ! ولست أعتقد أنها كانت تعرف حقا أى شيء فلو أنها كانت تعرف سرا لأنبأتنى به بالتأكيد ٠٠ انما هى سمعت أمها تقول انها تعرف عن سير برسيفال سرا يهمه أن تصونه ٠ هذا كل ما هنالك ، فيما أعتقد ٠٠ لكن المسكينة توهمت أنها عرفت الحقيقة بأكملها !

وتابعت السيدة كليمنتس سرد قصة رحلتهما الى هامبشاير ، واقامتهما بقرية ساندون ، ومقابلة آن لليدى جلايد ، ثم مقابلتها هى للكونت فوسكو ، وما ترتب عليها من عودتهما الى لندن بصحبة الكونت ٠٠ الى أن قالت العجوز : « وكان الكونت قد ذكر لى اننا سنسمع أنباء من ليدى جلايد عند وصولها الى لندن ٠٠ وبعد نحو ثلاثة أسابيع ـ فيما أذكر ـ جاءت الينا سيدة فى عربة وذكرت أنها موفدة من ليدى جلايد ، وأن هذه تقيم بفندق فى لندن ، وتريد أن تراني لتدبير لقاء مقبل مع آن ٠٠ فذهبت معها طبعا ٠٠ وقبل أن نبلغ الفندق أوقفت العربة

أمام متجر ورجتنى أن أنتظرها ريثما تبتاع بعض أشياء كانت قد نسيت أمرها ٠٠ فانتظرتها طويلا يا سيدى ٠٠ لكنها لم تعد ثانية !٠٠ فتولانى الخوف والقلق وأمرت الحوذى بالعودة بى الى مسكننا ٠٠ لكنى حين وصلت كانت آن قد ذهبت ! »

وأدرك هارترايت الخدعة بوضوح ٠ فقد كان ظاهرا أن مدام فوسكو هى تلك المرأة التى أقصت السيدة كليمنتس عن الطريق، كى تيسر مهمة الكونت فى اختطاف آن كاثريك ٠٠ فكيف نفذ ذلك ؟

واستطردت السيدة كليمنتس قائلة : « وكل ما استطعت معرفته، هو أن غلاما من الشارع حمل خطابا الى آن، وبعد خمس دقائق رؤيت تفتح باب المسكن وتخرج منه ٠ ومن المرجح أنها أخذت الخطاب معها ، فانى لم أعثر له على أثر ! وفى اليوم التالى ذهبت الى المصحة ، فقيل لى ان آن لم ترد اليها ٠٠ فكتبت الى السيدة كاثريك ، ولكنها أجابت بأنها لم تر ابنتها ولا سمعت أى نبأ عنها ٠٠ ولم أعرف ـ بعد ذلك ـ ماذا أفعل يا سيدى ؟! »

فقال لها هارترايت : « بودى لو أستطيع مساعدتك ، فلو كانت آن ابنتك يا سيدة كليمنتس لما أظهرت نحوها عطفا أصدق من هذا ! »

فأجابت : « لقد كانت المسكينة كابنتى ، رعيتها منذ طفولتها يا سيدى ٠٠ وكنت دائما أقول ان الله أرسلها الى عزاء عن حرمانى من النسل ! »

ـ أكنت تعرفين السيدة كاثريك قبل مولد آن ؟

ـ نعم ، ولكن بزمن غير طويل ٠٠

ـ وهل كنتما جارتين ؟

ـ نعم يا سيدى ٠٠ كنا جارتين فى ضاحية « ولمنجهام القديمة »

ـ ولمنجهام « القديمة » ؟٠٠ أهناك اذن ضاحيتان بهذا الاسم فى هامبشاير ؟

ـ كان الامر كذلك فى تلك الايام، منذ أكثر من ثلاث وعشرين سنة ٠٠ اذ بنوا بلدة جديدة على بعد ميلين من النهر ، فلم تلبث ولمنجهام القديمة ـ التى لم تكن يوما أكثر من قرية ـ أن أخذت تقفر على مر الزمن والبلدة الجديدة هى التى يطلقون عليها الآن « ولمنجهام » ، ولكن كنيسة القرية القديمة لا تزال تستعمل ٠ وهى قائمة وحدها بين أطلال المنازل لتى تهدمت أو انهارت ٠٠

ـ وهل كنت تعيشين هناك قبل زواجك يا سيدة كليمنتس؟

ـ كلا يا سيدى ، بل أنا من بنـــات لندن ، وقد ذهبت مع زوجى ـ الذى مات منذ سنين عديدة ـ الى هناك بعد زواجنا ٠ ولم يكن أى منا شابا ، لكننا عشنا معا فى غاية السعادة ٠٠ أسعد مما كان جارنا مستر كاثريك يعيش مع زوجته حين جاءا الى ولمنجهام القديمة بعدنا بنحو عام أو عامين ٠٠

ـ ولماذا جاء كاثريك الى البلدة ؟

ـ كان قد عين كاتبا فى كنيسة ولمنجهام ، فأحضر عروسه الجديدة معه٠٠ ولست أحب أن أخوض في سيرة أحد ياسيدى، ولكنها كانت امرأة بلا قلب ، مشغوفة بالاعجاب الاحمق والثياب الفاخرة ، ولم تكن تظهر لزوجها القدر المناسب من الاحترام ، رغم انه كان يحسن معاملتها ٠٠٠ وقبل أن يمر على وجودهما فى القرية أربعة أشهر نشب بينهما شجار فظيع ، فانهار كيان أسرتهما ٠٠ وكان كلاهما مخطئا ٠٠

ـ تعنين كلا من الزوج والزوجة ؟

ـ أوه ، كلا يا سيدى ٠٠ بل أعنى كلا من السيدة كاثريك وسير برسيفال جلايد !

ـ وهل كان سير برسيفال يعيش قريبا منكم فى ذلك العهد؟

ـ كلا يا سيدى ٠٠ لقد حل بيننا غريبا ٠٠ وكان ذلك قبل

أن تولد آن بنحو شهر ، على ما أذكر ٠٠ وكان والده قد مات فى الخارج قبل ذلك بوقت غير طويل ، فأقام سير برسيفال فى الفندق الصغير المطل على النهر ٠٠ وقد هدم فيما بعد

ـ أكان غريبا بالنسبة لكم جميعا ؟٠٠ أعنى بالنسبة للسيدة كاثريك أيضا ؟

ـ هذا ما كنا نحسبه فى البداية يا سيدى ٠ ولكن حين نشب الشجار لم يعد أحد يعتقد أنهما كانا غريبين ، **فقد وجد الزوج ـ كاثريك ـ خاتمين ثمينين وساعة ذهبية جديدة وسلسلة ، مخبأة فى درج زوجته ! وأبت أن تذكر له كيف حصلت على هذه الاشياء ، فأدرك انها هدايا منحت لها لا سيما وأن الحرفين الاولين من اسمها كانا محفورين داخل الساعة ! ٠٠ ثم رآها تتحدث الى سير برسيفال جلايد فى خلوة فراقبها حتى فاجأها فى اليوم التالى تتهامس مع سير برسيفال بالقرب من مخزن المحفوظات فى الكنيسة ، ففقد صبره وضرب سير برسيفال !** ويؤسفنى أن أقول أن سير برسيفال كان أقوى منه بكثير ، فأوسعه ضربا ٠٠ ولم تقع على كاثريك عين أحد فى القرية بعد ذلك، فلقد غادرها بعد ظهر ذلك اليوم ٠ وسمع زوجى فيما بعد أنه استقر فى أمريكا !

فتساءل هارترايت : « وماذا حدث لسير برسيفال بعدذلك؟ هل بقى مقيما بالقرية ؟ »

ـ كلا يا سيدى ٠٠ لقد رحل فى صباح اليوم التالى

ـ والسيدة كاثريك ؟

ـ بقيت فى القرية ، وتوليت أنا رعاية آن منذ ذلك التاريخ، ولو أن أمها كانت تأخذها أحيانا ٠٠ كانت امرأة بلا قلب كما ذكرت لك يا سيدى ، لم تحب ابنتها قط ، وانما كانت تأخذها منى فى بعض الاحيان نكاية فى لانى كنت متعلقة بالطفلة وكانت تعرف اننى أشقى بفراقها !٠٠ وحين شيدت المدينة الجديدة انتقلت السيدة كاثريك اليها ، ولا تزال تعيش هناك حتى اليوم

ـ ولكن كيف كانت تعيش طيلة هذه السنين ؟

ـ قيل ـ وعن حق فيما أعتقد ـ أن مورد عيشها كان يأتيها سرا من سير برسيفال جلايد !

وكان هارترايت قد سمع ما فيه الكفاية ٠٠ فكانت الخطوة الثانية أن يقابل السيدة كاثريك ، ويحاول أن يستخلص منها سبب مقابلتها السرية لسير برسيفال جلايد ٠٠ ومن ثم نهض مستأذنا للانصراف ، وقال : « أشكرك يا سيدة كليمنتس ، لقد ضايقتك بأسئلة ما كان كثير من الناس ليعنوا بالاجابة عليها ! »

فأجابته قائلة : « بل انى لارحب يا سيدى بأن أقدم لك أية معلومات لدى ٠ لكنى أود لو حدثتنى قليلا عن آن ٠ لقد خيل الى عند دخولك انى قرأت فى وجهك أنك تعرف شيئا ! انك لا تستطيع أن تتخيل ما أعانى لعدم معرفتى ما اذا كانت حية أو ميتة!

ـ أخشى ألا يكون ثمة شك فى الحقيقة الاليمة ٠٠ انى على ثقة ـ فى نفسى ـ بأن متاعبها الدنيوية قد انتهت !

فتهالكت المرأة المسكينة فى مقعدها وأخفت وجهها وقالت : « أواه يا سيدى ، كيف علمت ذلك ؟ من الذى يمكن أن يكون قد أنبأك ؟ »

ـ لم ينبئنى بذلك أحد يا سيدة كليمنتس ، لكن عندى من الاسباب ما يجعلنى أوقن من ذلك ٠٠ وهى أسباب أعدك بأنك ستعلمينها بمجرد أن أطمئن الى أن بوسعى الافضاء بها ٠

فقالت السيدة كليمنتس : « ماتت ؟ ماتت فى زهرة شبابها ، وبقيت أنا لاسمع نعيها ؟ لقد علمتها المشى ، وعند ما قالت لاول مرة « أمى » ، قالتها لى أنا !٠٠ والآن بقيت أنا ، وذهبت آن !»

فقال لها هارترايت فى رفق : « ينبغى أن أنصرف الآن ، ولكن أعطينى أولا عنوان السيدة كاثريك »

وكتب العنوان فى مفكرته ، ثم أمسك بيد السيدة كليمنتس قائلا : « سوف تسمعين أنباء منى فى القريب ٠٠ وسوف تعرفين كل ما وعدتك باطلاعك عليه ! »

١٩ ـ أم « آن كاثريك »

◆ فى عصر اليوم التالى وصل هارترايت الى « ولمنجهام » ، فنزل فى فندق صغير مجاور للمحطة . وبعد الغداء مضى الى منزل السيدة كاثريك ، مستفسرا عن طريقه من عدة أشخاص .

وطرق الباب ، ففتحته له خادم فى أوسط العمر .. فأعطاها بطاقته قائلا انه يود أن يرى السيدة كاثريك لامر خاص بابنتها .. فذهبت الخادم ثم عادت ترجوه أن يتبعها ..

ودخل حجرة صغيرة ، مكسوة الجدران بورق زاهى الالوان .. وكانت مزدحمة بالأثاث .. والى جوار المنضدة القريبة من النافذة كانت تجلس امرأة مسنة ، تنسج أشغالا بالابرة .. وقد تدلى شعرها الاشيب على جانبى وجهها ، وحدقت عيناها القاتمتان الى الامام بنظرات صارمة ..

وابتدرت هارترايت قائلة قبل أن ينبس بكلمة : « لقد جئت لتحدثنى بشأن ابنتى .. فتفضل بذكر ما عندك »

فسألها هارترايت : « هل تعلمين أن ابنتك قد فقدت ؟ »

ـ نعم ، أعلم ذلك !

ـ ألم يراودك الخوف من أن تتلو مأساة اختفائها مأساة موتهـــا ؟

ـ بلى !.. فهل جئت لتخبرنى بأنها قد ماتت ؟

ـ نعم

ـ ولمـــاذا ؟

ألقت اليه بهذا السؤال الغريب دون أن يطرأ على صوتها أو وجهها أو مسلكها أدنى تغير !.. فأجابها هارترايت متعجبا : « لماذا ؟ تسألييننى لماذا جئت الى هنا لاخبرك بوفاة ابنتك ؟ »

ـ نعم ، ماذا يهمك من أمرى أو أمرها ؟ وكيف توصلت الى معرفة شىء عن ابنتى ؟

ـ لقد التقيت بها ليلة فرارها من المصحة ، وساعدتها على أن تبلغ مكانا آمنا !

ـ لقد أخطأت خطأ جسيما !

ـ آسف اذ أسمع هذا من أمها !

ـ ان أمها تقول ذلك !٠٠ وكيف عرفت أنها ماتت ؟

ـ لست فى حل من أن أوضح لك كيف عرفته، لكنى عرفته٠٠

ـ وكيف عرفت عنوانى ؟

ـ حصلت عليه من السيدة كليمنتس

ـ ان السيدة كليمنتس امرأة حمقاء ! وهل أوصتك بأن تحضر الى هنا ؟

ـ لا ٠٠ لم توصنى بذلك

ـ اذن فأنا أسألك مرة أخرى : لماذا جئت ؟

ـ جئت لاننى حسبت أن أم آن كاثريك قد يهمها بطبيعة الحال أن تعرف هل ابنتها حية أم ميتة ؟!

ـ جئت لذلك فقط ؟ ألم يكن لديك سبب آخر ؟

وتردد هارترايت ٠٠ لم يكن من اليسير عليه أن يجيب على هذا السؤال جوابا صادقا !٠٠ فاستطردت المرأة : « **اذا لم يكن لديك سبب آخر فليس لدى سوى أن أشكرك على زيارتك ، وأن أقول أننى لن أستبقيك طويلا ٠٠ طاب مساؤك !** »

فقال هارترايت : « بل لدى سبب آخر للحضور ! »

ـ آه ، لقد حدست ذلك !

ـ ان موت ابنتك قد استخدم لالحاق أبلغ الضرر بشخص عزيز على جدا ٠ وقد اشترك فى الحاق ذلك الضرر شخصان : أحدهما هو سير برسيفال جلايد !

— حقـــا ؟!

أنعم هارترايت النظر الى المرأة ، ليرى هل تأثرت بذكر هذا الاسم فجأة ٠٠ ولكن عضلة واحدة من وجهها لم تختلج ، والحدة الصارمة فى نظراتها لم تتغير !٠٠ فاستطرد : « قد تتساءلين : كيف أضرت وفاة ابنتك بشخص آخر ٠٠؟ »

فقالت السيدة كاثريك : « كلا ، على الاطلاق ٠٠ فهذا شأنك! انك تهتم بأمورى ٠٠ أما أنا فلست مهتمة بأمورك ! »

— اذن فلعلك تتساءلين : لماذا أذكر هذه المسألة أمامك ؟

— نعم ، انى لأتساءل عن ذلك !

— انما أذكرها لانى أعتزم معاقبة سير برسيفال جلايد !

— وما دخلى أنا فيما تعتزم ؟

— سوف تعرفين ٠٠ هناك أحداث معينة فى حيـــاة سير برسيفال الماضية ستعيننى معرفتها ، وأنت تعرفينها ٠٠ ولهذا جئت اليك !

— أية أمور تقصد ؟

— أمور حدثت فى ولمنجهام القديمة ، حين كان زوجك كاتبا فى كنيسة القرية

وبدا له أنه نال من المرأة أخيرا ، ونفذ خلال سياج هدوئها ٠٠ اذ رأى الغضب يتقد فى عينيها ، ولم تعد يداها تستقران على وضع ٠٠ ثم قالت : « آه ، لقد بدأت أفهم الآن ٠٠ أنت عدو لسير برسيفال جلايد ، وتريدنى أن أساعدك ٠٠ أن أنبئـك بهذا وذاك وسواهما عن سير برسيفال وعن نفسى ٠٠ أترى ذلك ؟٠٠ كلا ٠٠ فلتحطمه وحدك ! »

— ألا تثقين بى ؟

— كلا !

— أأنت خائفة من سير برسيفال ؟

ـ حقـــا ؟

ـ ان لسير برسيفال جلايد مكانة سامية فى العالم ، فــلا عجب اذا كنت خائفة منه ‥ وهو رجل قوى ، من ذوى الالقاب، ويملك ضياعا واسعة ، وسليل اسرة عريقة ‥

وأدهش هارترايت أن انفجرت المرأة فجأة ضاحكة ‥ ثم قالت فى ازدراء : « نعم ، انه من ذوى الالقاب ، ويملك ضــياعا واسعة ، وسليل اسرة عريقة ‥ نعم ‥ اسرة عريقة حقــا ، ولا سيما من جهة امه ! »

ـ اذن فأنت ترفضين ان تفضى الى بما كان بينك وبين سير برسيفال جلايد حين كنتما تلتقيان سرا ، وحين فاجأكما زوجك تتهامسان معا بقرب مخزن المحفوظات بالكنيسة !

وهنا طرأ على المرأة تبدل غريب ، فقد زايل الغضب وجهها ورأى هارترايت المرأة الصارمة الحازمة، التى لاتخاف، تضعف فجأة أمام رعب لم تقو صلابتها وقوة ذهنها على الصمود له ‥ وكانت كلماته الاربع الاخيرة هى التى احدثت هذا التطـور : « بقرب مخزن المحفوظات بالكنيسة »

وكرر الشاب سؤاله : « اما زلت ترفضين ان تولينى ثقتك ؟ »

وهنا لم تستطع المراة ان ترد الى وجهها لونه السابق الذى فر ‥ لكنها استطاعت ان ترد الى صوتها ثباته ، والى مظهرها هدوءه وهى تجيبه :

ـ نعم ، ارفض ‥ فاذهب ولا تعد مرة ثانية !

✠

◆ **غادر** هارترايت المنزل وهو يشعر بان الســيدة كاثريك قد اعانته على الرغم منها خطوة الى الامام ‥ فمضى فى الشارع متباطئا ‥ واذا به ينتبه فجأة الى صـوت باب يغلق وراءه ،

فنظر حوله .. فراى رجلا يغادر المنزل المجاور لمنزل السيدة كاثريك .. وكان نفس الرجل الذى ظل يراقبه قبل مبارحته انجلترا ، والذى رآه وهو يغادر مكتب مستر جيلمور منذ ايام !

وانتظر هارترايت فى مكانه ليرى ما اذا كان الرجل سيتكلم فى هذه المرة ، فاذا الرجل لدهشته يتجاوزه مسرعا دون ان ينطق بكلمة ، بل دون أن يلقى نظرة الى وجه هارترايت حين حاذاه . وكان هارترايت يتوقع تصرفا آخر ، فقرر ان يرضى فضوله بأن يتتبعه .. فمضى فى اثره ، دون ان يعبأ بما اذا كان قد رآه او لم ينتبه اليه .

ولم ينظر الرجل خلفه .. بل تقدم هارترايت ماضيا فى الشوارع حتى محطة السكة الحديدية . وكان القطار قد اوشك ان يتحرك ، وقد اجتمع عند « شباك التذاكر » اثنان او ثلاثة من المسافرين الذين وصلوا متأخرين .. فانضم هارترايت اليهم ، واستطاع أن يسمع الرجل بوضوح يطلب تذكرة الى « بلاكووتر »

واطمأن الى ان الرجل قد سافر فعلا فى القطار ، قبل ان يغادر المحطة ! .. ولم يكن امام هارترايت سوى تفسير واحد لما سمعه ورآه .. لقد لاحظ ان الرجل غادر البيت المجاور لبيت السيدة كاثريك ، ما فى هذا شك .. فلعله يقيم هناك كمستأجر من قبل سير برسيفال ، الذى توقع أن تحريات هارترايت ستقوده الى السيدة كاثريك ، ان عاجلا او آجلا ! .. ولا شك ان الرجل راى هارترايت يدخل البيت ، ثم يغادره ، فهرع الى بلاكووتر بارك بأول قطار كى يقدم الى برسيفال تقريره ! .. ومن الطبيعى ان يكون الاخير مقيما هناك كى يكون متأهبا فيما لو ذهب هارترايت الى هامبشاير ! ـ واستنتج الشاب ان من المحتمل جدا ان يلتقى وسير برسيفال جلايد عما قريب !

وحين غادر هارترايت المحطة كان المساء يؤذن بالظـلام . وكان ثمة امل ضئيل فى ان يستطيع الافادة من مواصلة تحرياته بعد هبوط الظلام ، فى بلدة هو غريب عنها تماما .. ! ومن ثم عاد ادراجه الى الفندق فتناول عشاءه ، ثم كتب الى ماريان خطابا يطمئنها فيه على سلامته ، ويخبرها بأن لديه أملا معقولا فى النجاح !

ثم جلس ليفكر فى حديثه مع السيدة كاثريك ! .. « بقرب مخزن المحفوظات بالكنيسة » ! .. ان السيدة كاثريك لم تغضب او تستاء حين قال هذه الكلمات ، وانما تملكها خوف هائل ! .. وكان كثيرا ما خطر له ان سر السير برسيفال قد يكون جريمة خفية تعرفها السيدة كاثريك .. وقد اظهر له ذعر المراة امرين : ان للجريمة صلة بمخزن المحفوظات بالكنيسة .. وان السيدة كاثريك كانت اكثر من شاهد لارتكاب تلك الجريمة .. كانت شريكة لسير برسيفال فيها !

ولكن لماذا تحدثت السيدة كاثريك عن سير برسيفال فى ازدراء ؟ .. لقد اشارت فى تهكم الى الاسرة « العريقة » التى انحدر منها « ولا سيما من جهة امه ! » فما معنى ذلك ؟ .. هل كانت أمه من طبقة وضيعة ؟

ان الجواب على هذه الاسئلة لن يتسنى الا بالبحث فى السجل الذى أثبت فيه زواج سير فليكس جلايد .. ودفاتر تسجيل الزواج تحفظ عادة فى غرف المحفوظات بالكنائس ! .. وهكذا كان كل شيء يرشد هارترايت الى الخطوة التالية : فقرر أن يزور في الغد كنيسة « ولمنجهام القديمة »

٢٠ ــ السر !

◆ **كان** الجو فى صباح اليوم التالى ملبدا بالفيوم ، ولـكن المطر لم ينهمر .. وبعد ان استفسر هارترايت عن الطـريق انطلق سائرا على قدميه الى كنيسة « ولمنجهـام القديمة » . وكانت المسافة تزيد عن الميلين ، ترتفع الارض فيهما تدريجا طيلة الطريق .. وكانت الكنيسة تقوم على اعلى بقعة ، وكانت مبنى عتيقا ، عدت عليه عوادى الجو .. وكانت غرفة المحفوظات فى المؤخرة ــ اذ بنيت خارج مبنى الكنيسة ، وبدا انها تناهزها فى القدم ــ وحول المبنى ظهرت اطلال القرية التى عاشت فيها السيدة كليمنتس والسيدة كاثريك منذ اكثر من عشرين عاما ، والتى هجرها السكان الاصليون الى بلدة ولمنجهام الجديدة .. وهكذا لم تبق فى القرية غير الجدران الخارجية لبعض المنـازل وبضعة اكواخ ظل يسكنها قوم من افقر طبقة ..

واذ جاوز هارترايت بعض الاكواخ المهدمة ، باحثا عن شخص يقوده الى كاتب الكنيسة ، برز من وراء احد الجدران شخصان مضـيا فى اثره ! .. وكان اطول الاثنين رجـل ضخم بارز العضلات ، لم يره من قبل .. أما الثانى فكان الرجل الذى تبعه فى اليوم السابق الى المحطة !

ولم يحاول أحدهما أن يخاطب هارترايت ، بل حرص كلاهما على ان يظلا على مسافة منه .. لكن سبب وجودهما فى المكان كان واضحا ، ومطابقا لما توقعه هارترايت من أن برسـيفال كان متأهبا للقائه .. فلقد نمى اليه نبأ زيارته للسيدة كاثريك فى الليلة المـاضية فأرسل هذين الرجلين ليتربصا له بالقرب من الكنيسة !

وقرر هارترايت ان يواصل مهمته ، فما كان فى استطاعته ان يمنع الرجلين من مراقبته ، اذ كان لهما عين ما له من حق فى الوجود فى المكان .. وهكذا مضى مبتعدا عن الكنيسة حتى بلغ

احـد المنازل المأهولة ، راى فى حديقته عاملا يشتغل بفـلاحة الارض ٠ ٠

وقاد العامل هارترايت الى كوخ أمين الكنيسة ، فاذا الامين فى الداخل ، يهم بارتداء سترته . فقال حين اوضح له هارترايت الغرض من زيارته : « من الخير أن جئت مبكرا يا سـيدى ، فقد كنت اهم بالخروج » ٠٠ وتناول مفاتيحه ـ وهو يتكلم ـ من مسمار وراء المدفأة ، واغلق باب الكوخ خلفهما اذ خرجا ، قائلا فى مرح :

ـ لا يوجد احد فى البيت يدبر شئونه ، فان زوجتى ترقـد هناك فى مقبرة الكنيسة ، واولادى جميعا قد تزوجوا . انه مكان كئيب ، اليس كذلك يا سيدى ؟ ٠٠ اظنك من لندن ؟٠٠ كنت اعيش فى لندن منذ خمسة وعشرين عاما . ما انباؤها الان من فضلك يا سيدى ؟

ومضى يقود هارترايت وهو يثرثر حتى مخزن المحفوظات ، ولم يكن يبدو للجاسوسين اى اثر ـ ولعلهما اختبئا فى مـكان يستطيعان منه ان يراقبا تصرفات هارترايت التالية بحرية تامة !

كان باب غرفة المحفوظات مصنوعا من خشب البلوط القوى ، تدعمه مسامير حديدية ٠٠ فوضع الامين مفتاحه الضـخم الثقيل فى القفل ، بهيئة من يعلم سلفا أن أمامه صعوبة ويرتاب فى استطاعته التغلب عليها ٠٠ ثم قال :

ـ لقد اضطررت الى احضارك من هذا الطريق يا سـيدى لان الباب المفضى من الكنيسة موصد بالمزلاج من داخل الغرفة ٠٠ ولولا ذلك لجئنا عن طريق الكنيسة ٠٠ وهذا القفل ردىء ، ومن الكبر بحيث يصلح لباب سجن . وقد اصـلح مرارا وتكرارا وينبغى تغييره بآخر جـديد ٠٠ قلت ذلك للقسيس خمسين مرة ، وهو دائما يقول : « سأنظر فى الامر » ٠٠ لكنه لا ينظر قط ! ٠٠ آه ، ان المكان ركن ضائع ٠٠ انها ليست مثل لندن يا سيدى ، أليس كذلك ؟٠٠ نحن هنا نيام ، لا نتطور مع الزمن !

وبعد عدة محاولات .. اذعن القفل الثقيل ، فانفتح الباب !
كانت الحجرة عتيقة معتمة ، منخفضة السقف ، اقيمت لصق جدارين منها خزانتان خشبيتان ثقيلتان ، اكل الدهر عليهما وشرب ، ونخرهما السوس .. وكانت على ارض الحجرة ثلاث حقائب ، وفي ركن منها كومة من الاوراق تراكم عليها الغبار .. وكان النور ينساب الى الحجرة من كوة صغيرة فى السقف .. وكان الباب الذى يصلها بالكنيسة مصنوعا بدوره من خشب البلوط المتين ، وقد اوصد من الجانب الذى فى الغرفة بمزلاجين ثبتا فى قمته واسفله ..

وقال امين الكنيسة فى لهجة الاعتذار : « ينبغى ان نكون اكثر عناية بالنظافة ، اليس كذلك يا سيدى ؟ .. ولكن ماحيلتك حين تكون فى ركن ضائع كهذا المكان ؟ اى عام فى سجل الزواج تود الاطلاع على بياناته يا سيدى ؟ »

وكانت ماريان قد ذكرت لهارترايت سن سير برسيفال ، عندما تحدثا عن خطوبته للورا ، فقالت يومئذ انه فى الخامسة والاربعين .. وحسب هارترايت المدة على هذا الاساس ، مضيفا اليها العام الذى انقضى ، فوجد انه ولد ولا بد فى عام ١٨٠٤ ، لذلك راى من الاسلم ان يبدا بحثه من هذا التاريخ ، فقال يجيب محدثه : « أريد أن أبدأ بعام ١٨٠٤ »

فتناول الامين حزمة مفاتيح من جيبه وفتح احدى الخزانتين .. وبهت هارترايت لعدم سلامة المكان الذى تحفظ به هذه السجلات ، اذ كان باب الخزانة متآكلا من القدم ، والقفل من اصغر الانواع واكثرها شيوعا ، بحيث كان فى مقدور هارترايت ان يفتحه بسهولة اذا دفعه بعصاه !

وقال : « كان لابد لدفتر بهذه الاهمية ان يحفظ فى خزانة حديدية آمنة ، ذات قفل احسن من هذا »

فقال الامين وهو يتناول من الخزانة سجلا مجلدا بغلاف بني اللون : « هذا عجيب .. هذه عين الكلمات التى كان مستر

« وانسبورو » يقولها دائما .. كان محاميا شديد الاهتمام بشئون الكنيسة.. وقد ظل طيلة حياته يحتفظ بنسخة من هذا السجل فى مكتبه بجهة « نوليسبورى » : وكان يحضر الى هنا مرة كل شهر لينسخ التسجيلات الجديدة قائلا : « من ادرانى ان السجل المحفوظ هنا لا يسرق يوما أو يتلف ؟ لماذا لا يحفظ فى خزانة حديدية ؟ .. سيقع يوما حادث .. فاذا ما ضاع السجل ، فستدركون قيمة سجلى الخاص ! » .. آه ، انك لا تجد الان رجالا فى مثل حرصه ! »

ووضع الامين نظارته على عينيه وأخذ يقلب صفحات السجل ، وهو يبلل اصبعه بحرص كل ثلاث صفحات مرة .. ثم قال :

ـ اليك يا سيدى .. سنة ١٨٠٤ .. ها هى ذى السنة التى تريدها

فبدأ هارترايت بحثه من بداية السنة . وكان السجل من الطراز العتيق ، الذى تضاف اليه التسجيلات الجديدة فى صفحات جديدة بيضاء ، وبعد كل اضافة يرسم خط بالحبر عبر الصفحة مشيرا الى مكان الاضافة !

ولم يجد هارترايت الزواج المنشود فى بداية سنة ١٨٠٤ .. فعاد يبحث فى ديسمبر سنة ١٨٠٣ ، فنوفمبر ، فاكتوبر .. وفى شهر سبتمبر ، وجد الزواج ، فانعم النظر فيه .. كان فى آخر الصفحة ، وقد وضع فى فراغ اقل مما خصص للزيجات التى سبقته ، لضيق المجال ..

كان أسم زوجة سير فليكس جلايد قد سجل هكذا : « جين الستر ، من بارك ـ فيوهاوس بجهة نوليسبورى .. الابنة الوحيدة للمرحوم السيد باتريك الستر من اهالى « باث » سابقا .. »

ولم يكن هناك شىء غريب يكتنف التسجيل، غير ضيق المساحة التى كتب فيها .. فنقل هارترايت البيانات فى مفكرته الخاصة ،

وهو يحس بمزيج من الارتياب وخيبة الامل ، اذ بدا انه لم يقف على شيء ذى أهمية ٠٠ والسر الذى حسبه قد بات فى متناوله ، بدا ابعد ما يكون عن يديه ! .. فاغلق السجل واعاده الى الامين ، وهو يقول :

ــ احسب ان القسيس الذى كان هنا سنة ١٨٠٣ لم يعد على قيد الحياة ؟

ــ لا ، لا يا سيدى .. لقد مات قبل حضورى الى هنا ــ سنة ١٨٢٧ ــ بنحو ثلاثة او اربعة اعوام . وقد حصلت على عملى هنا عندما تركه الامين الذى سبقنى يا سيدى ٠٠ ويقولون انه قد طرد من داره ومقامه بسبب زوجته ، التى ما تزال تعيش فى المدينة الجديدة هناك ٠٠ وقد كان ابن مستر « وانسبورو » الشيخ هو الذى حصل لى على هذا العمل » !

وراى هارترايت ان من الخير ان يتوجه الى « نوليسبورى » ويقوم ببعض التحريات هناك عن « الانسة الستر ، المنحدرة من نوليسبورى »

وسأل أمين الكنيسة : « ألم تذكر لى بأن مستر وانسبورو كان يعيش فى جهة نوليسبورى ؟ »

فأجابه الرجل : « نعم يا سيدى ، بالتأكيد : ان مستر وانسبورو كان يعيش فى جهة نوليسبورى ، وكذلك يعيش ابنه مستر وانسبورو الشاب هناك الان ٠٠ وهو محام ، مثل ما كان والده .. ! »

ــ وكم تبعد « نوليسبورى » عن هنا ؟

ــ مسافة طويلة يا سيدى ، اكثر من خمسة اميال !

وكان الوقت ظهراً ، ولا تزال هناك فسحة من الوقت للسير الى نوليسبورى والعودة الى « ولمنجهام » .. ولعل احدا فى البلدة كلها لم يكن اصلح لمعاونة هارترايت فى تحرياته بصدد والدة سير برسيفال من محام من أهل بلدتها !٠٠ وهكذا ما ان قرر الذهاب الى « نوليسبورى » فورا حتى سعى الى باب

غرفة المحفوظات ودس بعض النقـود فى يد أمين الكنيسة نقـال هذا :

ـ اشكرك يا سيدى ... ولكن هل تعتزم حقا الذهاب الى نوليسبورى والعودة منها سيرا على قدميك ؟ ان سـاقيك قويتان ، وهذه نعمة كبرى .. هذا هو الطريق ، وانت لن تخطئه .. اتمنى لك يوما طيبا يا سيدى .. وشكرا جزيلا ، مرة أخرى !

وافترق الرجلان .. واذ خلف هارترايت بناء الكنيسـة وراءه التفت خلفه ، فراى الجاسوسين مرة اخرى وقد انضم اليهما ثالث ، ووقفوا يتحدثون معا فتـرة من الوقت .. ثم تركهما الثالث ومضى فى اتجاه ولمنجهام ، بينما بقى الاخران فى موقفهما بقرب الكنيسة !

كان الطريق الى « نوليسبورى » مسـتقيما مستويا فى الجزء الاكبر منه .. وبعد مسيرة سـاعتين دخل هارترايت المدينة . ولحسن حظه وجد مستر « وانسبورو » فى مكتبه . وبدا الاهتمام على المحامى حين عرف الهـدف من زيارة هارترايت ، فقال : « ان النسخة لم تمس منذ وفاة ابى ومن المحزن انه لم يعش ليسمع رجاء بطلب سجله الخاص .. فقد كان ذلك خليقا بأن يسره ! »

واحضر احد الكتبة السجل ، فتناوله منه هارترايت بيدين مرتجفتين ورأس متقد ـ فضولا واشفاقا ـ وبحث فيـه عن تسجيلات شهر سبتمبر سنة ١٨٠٣ .. فوجـد الصفحة الخاصة به وفيها نفس الزيجات التى قرأها فى سجل الكنيسة .. وفى ذيل الصفحة .. عجبا .. لم يجد فى ذيل الصـفحة شيئا ـ لا ولا كلمة واحدة ـ مما اثبت به زواج سير فليكس جلايد وجين الستر فى سجل الكنيسة !

وقفز قلب هارترايت فى صدره قفزة هائلة، وأخذ يخفق حتى أحس انه يكاد يقفز من حلقه !.. ونظر مرة أخرى ، وهـو

يخشى ان يصدق عينيه ! لا .. لا .. لم يكن ثمة شك .. ان الزواج لم يكن مسجلا فيه ، بل كان مكانا شاغرا ، مما أوحى له بالقصة كلها: فان سير فليكس جلايد لم يتزوج قط ولا كان سير برسيفال ولده الشرعى !.. وقد كان سجل الزواج بالكنيسة خاليا من الزواج المزعوم حتى حل سير برسيفال بالقرية فى سنة ١٨٢٧ فزور الاثبات، بمعونة السيدة كاثريك.. ولعلها قد سرقت يومئذ مفاتيح غرفة المحفوظات من زوجهـــا الذى كان أمين الكنيسة اذ ذاك .

وتشبث هارترايت بحافة المكتب ليجنب نفسه السقوط .. فما كان اى شك مما ساوره يقرب من الحقيقة فى شيء .. بل ان فكرة ان سير برسيفال جلايد لم يكن له – اكثر مما لافقر عامل يفلح ارضه – من حق فى اللقب الذى يحمله ، وفى ضيعة « بلاكووتر بارك » ، لم تخطر بباله البتة ! .. اى عجب الان فى القلق الذى كان يضنى حياة التعس ، وفى عدم الاطمئنان الذى جعله يحبس آن كاثريك فى المصحة ، ويساعد فى التآمر على زوجته ، ظنا منه ان كلا منهما كانت تعرف سره الرهيب .. لو ان هذا السر عرف فى السنين المـاضية لشـــنق ، بل انه ليحتمل أن ينفى الى الابد لو عرف الان !؟

واتضح للشاب اذ ذاك ايضا سر فزع السيدة كاثريك ، فلو عرف نصيبها فى التزوير لحق عليها نفس العقاب .. وحتى لو لم يعاقب القانون سير برسيفال على جريمته ، فان معرفة سره ستنتزع منه بضربة واحدة : اسمه .. ومركزه .. واملاكه .. وكل الحياة التى اغتصبها بغير وجه حق !

ذلك اذن هو السر ، وقد بات الان فى حوزة هارترايت ! .. كلمة منه كفيلة بحرمان سير برسيفال من قصره وأراضيـه ولقبه الى الابد !.. كلمة واحـــدة من هارترايت تقذف به الى الدنيا ، نكرة ، خالى الوفاض ، عديم الاصدقاء ..

كان مستقبل الرجل كله معلقا بشفتى هارترايت .. وهو لا بد قد عرف ذلك كما عرفه هارترايت !

٢١ ــ نهاية رهيبة

◆ **كان** من المؤكد ان سير برسيفال قد علم بوقوف هارترايت على سره ، اذ لا بد ان جواسيسه قد اخبروه بزيارة هارترايت لغرفة المحفوظات بكنيسة ولمنجهام القديمة .. وقد جعلت هذه الفكرة مدرس الرسم يتئد ويلزم الحذر ، فان مصالح لورا ــ التى تفوق فى الاهمية مصالحه الشخصية ــ تعتمد وتتوقف على تصرفاته المقبلة .. وما كان سير برسيفال ليحجم عن ارتكاب اية جريمة ممكنة ضده .. ما كان السيد الزائف ليقف عند حد لانقاذ نفسه من الخطر الذى كان يتهدد مركزه ووجوده كله !

وفكر هارترايت لحظة .. كان واجبه الاول الآن أن يحصل على دليل كتابى يثبت السر الذى اكتشفه .. ولا شك ان نسخة السجل كانت بمأمن فى مكتب مستر وانسبورو ، اما السجل الاصلى المحفوظ فى مخزن الكنيسة ، فأبعد ما يكون عن الامان ، كما رأى بعينيه !

ومن ثم اعتزم الشاب ان يعود ادراجه الى الكنيسة ، وان ينقل نسخة من التزوير قبل أن يأوى الى فراشه فى تلك الليلة .. ولم يكن يعلم اذ ذاك ان لابد من صورة رسمية معتمدة ، وان أية وثيقة بخطه وحده لا يمكن أن تؤخذ دليلا .. وبحكم جهله بهذه الحقيقة كان هدفه الاوحد الان ان يعود الى ولمنجهام القديمة !

واذ غادر مكتب المحامى خطر له احتمال ان يتعرض لاعتداء فى الطريق ، وكانت عصاه خفيفة عقيمة الجدوى فى الدفاع .. فألقاها من يده وابتاع قبل مغادرته « نوليسبورى » عصا

ثقيلة قصيرة صلبة الراس ! .. وبهذا السلاح قدر انه سيكون كفؤا لاى انسان يحاول ان يتصدى له ! .. اما لو تصدى له اكثر من واحد ، ففى وسعه عندئذ ان يعتمد على ساقيه ، وقد كان فى زمن الدراسة بطلا فى العدو ، ولم يعوزه التدرب بعد ذلك ، لا سيما فى امريكا الوسطى !

*

◆ **كانت** السماء تمطر حين غادر هارترايت البلدة بخطى سريعة . وحان ختام النهار الشتوى القصير وهو ما يزال على مسيرة ميل من الكنيسة . وفيما هو يدور حول احد المنعطفات وثب ثلاثة رجال الى عرض الطريق من اكمة الى يمينه ! ..

ووقف هارترايت جامدا وهم ينقضون عليه .. وهوى اول الرجال بعصاه نحوه ، فتنحى هارترايت جانبا ، واذا بالخبطة تقع على كتفه .. ورد هارترايت بأن ضرب المعتدى بعنف على



راسه ، هابطا عليه بالعصا التى كان قد اشتراها ، بكل قوته .. واذا الرجل يسقط على ظهـــره نحو زميليه فى اللحظة التى كادا يطبقان فيها على هارترايت ، فتوقفا لحظة ، كانت فرصة كافية لهارترايت ، فمرق منهـــم فى لحظة ، وانطلق يجرى فى الطريق بأقصى سرعة ..

وتبعه الرجلان اللذان لم يصابا بضر .. وكانا عـــداءين سريعين ، فظل هارترايت فى الدقائق الخمس الاولى لا يسبقهما بكثير .. وكان من الخطر ان يجرى طويلا فى الظلام ، فقد كان لا يكاد يرى الخط الاسود الممثل لاسوار الحقول على كل من الجانبين .. وكانت أى عقبة فى الطريق كفيلة بأن تلقى به الى هلاك محقق !

.. ولم يمض كثيرا حتى أحس بالارض تتغير تحت قدميه ، فانحدرت عن المستوى مرة ، ثم ارتفعت ثانية .. وكان الرجلان فى الانحدار قد اقتربا منه قليلا ، ولكنهما فى الارتفاع بدءا يتخلفان عنه .. واخذ وقع اقدامهما يتضاءل فى اذنيه .. وقدر على هدى الصوت ، انه تقدمهما بمسافة تسمح بأن ينحرف عن الطريق وينطلق فى الحقول ، فتسنح الفرصة كى يتجـــاوزه الرجلان فى الظلام ! .. وبلغ بابا فى السور فقفز فوقه ، ووجد نفسه فى حقل .. وجرى عبره دون تلكؤ ، موليا ظهره نحو الطريق .. وسمع الرجلين يمران بالباب ، ثم سمع احدهما بعد دقيقة ينادى صاحبه كى يعود .. ولم يكن لهارترايت بعد ذلك ان يعبأ بهما ، اذ كان بعيدا عن بصرهما وسمعهما .. فظل ماضـــيا عبر الحقل حتى اذا بلغ طرفه القصى ، وقف لحظة ليسترد أنفاسه ..

وكان مستحيلا عليه أن يعود الى الطريق الرئيسى ، ولكنه كان مصرا مع ذلك أن يبلغ ولمنجهام القديمة فى تلك الليلة .. ولم يبزغ القمر أو النجوم لتهديه .. كل ما كان يعـــرفه أن الرياح والامطار كانت فى ظهره حين غادر « نوليسبورى » ،

فاذا حرص على ان يجعلها فى ظهره دائما ضمن على الاقل الا يسير فى اتجاه خاطىء اطلاقا ..

وجريا على هذه « الخطة » انطلق عبر الحقول ، غير مصطدم بعقبات اسوأ من الاسوار والحفر ، حتى وجد نفسه على سفح تل ، والارض منحدرة تحت قدميه ، فهبط الى اسفل التل وعبر سياجا وجد نفسه بعده فى طريق ضيق ، فتحول الى اليسار .. وبعد عشر دقائق أو أكثر لمح كوخا ينبعث الضوء من احدى نوافذه .. وكان باب الحديقة مفتوحا ، فدخل ليستفسر عن الطريق وقبل ان يطرق الباب فوجىء به يفتح ، ثم اندفع رجل منه خارجا وفى يده مصباح مضاء ، ثم توقف ورفع المصباح الى أعلا ليتبين شكل هارترايت .. فذهل الاثنان اذ راى كلاهما الاخر ! .. كان جرى هارترايت قد افضى به الى اقصى القرية .. ولم يكن حامل المصباح سوى صاحبه الذى تعرف اليه فى ذلك الصباح : أمين الكنيسة !

وسأله الشيخ بصوت منزعج : « اين المفاتيح ؟ هل اخذتها ؟ »

فأجابه هارترايت : « اية مفاتيح ؟ .. لقد جئت فى هذه اللحظة من نوليسبورى .. اية مفاتيح تعنى ؟ »

ـ مفاتيح غرفة المحفوظات ! .. فلينجنى الله ويساعدنى ! ماذا أفعل ؟! .. لقد ضاعت المفاتيح !

ـ كيف ؟ .. متى ؟ من يمكن ان يكون اخذها ؟

ـ لست ادرى .. لقد عدت الان فقط ، وكنت قد احكمت غلق الباب والنافذة قبل خروجى .. واذا انا اجدهما الان مفتوحتين ! .. انظر ! .. لقد اقتحم بعضهم البيت وسرق المفاتيح !

وعاد الى النافذة ليرى هارترايت كيف انها مفتوحة على مصراعيها .. فقال هذا : « هيا بنا نسرع معا الى غرفة

المحفوظات .. اسرع ، اسرع ! »

كانت لهفته على الوصول الى الكنيسة كبيرة بحيث هرع مبتعدا عن الكوخ متقدما رفيقه الشيخ .. ولكن قبل ان يقطع عشر خطوات اقترب منه رجل قادم من اتجاه الكنيسة ، وقال له فى لهجة احترام : « ارجو المعذرة يا سير برسيفال ! »

ولم يكن هارترايت قادرا على رؤية وجـه محدثه ، ولكنه حكم من صوته بأنه غريب محض .. فقاطعه قبل ان يكمل عبارته : « لقد خدعك الظلام .. فلست سير برسيفال »

قال الرجل : « حسبتك سيدى ! »

ـ هل كنت تتوقع ان تلقى سيدك هنا ؟

ـ لقد قيل لى ان انتظر فى الطريق !

وهنا كان امين الكنيسة قد بلغ مكانهما ، فهمس :

ـ من هذا ؟ هل يعرف شيئا عن المفاتيح ؟

فأجابه هارترايت : « لن ننتظر لنسأله عنها .. فلنسرع اولا الى غرفة المحفوظات »

واخذ ذراع الشيخ ليعينه على الاسراع . وكانت الكنيسة لا تبدو للعين ـ حتى فى ضوء النهار ـ الا بعد بلوغ نهـاية الطريق .. فلما اقتربا من تلك البقعة اقبل نحوهما غلام من القرية يجذبه الضوء الذى يحمـلانه ، وقال لامين الكنيسة حين عرفه : « اسمع يا سيدى .. هناك شخص قد دخل الكنيسة .. سمعته يغلق الباب على نفسه ويشعل الثقاب ! »

وارتجف العجوز هلعا .. فقال هارترايت يشجعه : « هيا ! .. هيا ! .. اننا لم نتأخر .. سوف ندرك الرجل ، ايا كان ! »

وبلغا نهاية الطريق وصعدا التل المؤدى الى الكنيسة .. وكان برج الكنيسة القاتم اول شىء استطاع هارترايت ان يميزه فى عتمة الليل ، بغير وضوح .. فلما استدار لينعطف حول بنـاء

الكنيسة متجها نحو غرفة المخزن سمع خطوات ثقيلة خلفه !.. كان ذلك الخادم الغريب قد تبعهما الى الكنيسة .. فلما ارتد هارترايت اليه قال معتذرا : « لست اقصد شرا .. انى ابحث فقط عن سيدى ! »

لم يبال هارترايت به ، ومضى فى طريقه .. وفى اللحظة التى دار هو والامين فيها حول بناء الكنيسة وصارا فى مواجهة غرفة المحفوظات ، لاح لهما سقف الغرفة مضاءا من الداخل بضوء قوى يشع ببريق شديد فى الليل الخالى من النجوم .. فاندفع هارترايت من جوار الامين نحو الباب !

وتسربت من الحجرة الى هواء الليل الرطب رائحة غريبة .. **وسمع هارترايت ضجيجا فى الداخل ، ثم راى الضوء يزداد توهجا وارتفاعا ، والزجاج يئز ويتحطم .. فوضع يده على الباب : ان غرفة المحفوظات تحترق !**

وقبل ان يتحرك .. بل قبل ان يسترد انفاسه ، افزعه ان يسمع طرقا عنيفا على الباب من الداخل .. وسمع المفتاح يدور فى القفل ، وصوت رجل يصرخ مستغيثا !

وخر الخادم، الذى كان قد تبع هارترايت ، راكعا على ركبتيه وصاح فى هلع : « رباه ! .. انه سير برسيفال ! »

ولم تكد العبارة تبرح شفتيه حتى كان الكاتب قد لحق بهما .. وفى تلك اللحظة سمع صوت المفتاح يدور فى القفل مرة اخرى ، اخيرة .. فهتف العجوز :

ـ فليرحمه الله ! .. انى اعرف هذا القفل .. انه فى حكم الميت .. ولن يستطيع فتحه !

واذا الهدف الاوحد الذى كان قد شغل افكار هارترايت وسيطر على كل تصرفاته طيلة الاسابيع الاخيرة .. يتبخر من رأسه فى لحظة !.. وتلاشت من رأسه ـ كأنها الحلم ـ كل

ذكرى للاسى القاسى الذى ترتب على جرائم الرجل ٠٠ وللوعد الذى قطعه بأن يعاقبه بما يستحق ! .. ولم يعد الشاب يذكر غير بشاعة موقف سير برسيفال .. ولم يعد يخالجه سوى الشعور الانسانى الطبيعى بالرغبة فى انقاذه من ميتة رهيبة .. فصرخ :

ـ حاول الخروج من الباب الاخر ! .. جرب الباب الاخر المؤدى الى الكنيسة .. هذا القفل لن ينفتح . انك لا محالة ميت اذا اضعت لحظة واحدة اخرى فى معالجته !

ولم يسمع القوم صرخة استغاثة اخرى حين ادير المفتاح فى القفل لآخر مرة ٠٠ لم يعد ثمة صوت يوحى بأن «السجين» لا يزال على قيدالحياة ! ٠٠ لم يعد يسمع هارترايت الآن غير صوت اللهب السارى بسرعة !٠٠ فصاح بالامين : « مفتاح الكنيسة ! يجب أن نحاول الدخول من الجهة الاخرى ٠٠ قد نستطيع انقاذه اذا تمكنا من اقتحام الباب الداخلى »

فصاح العجوز : « كلا ، كلا ، كلا ! لا أمل ! ٠٠ انمفتاح الكنيسة ومفتاح غرفة المحفوظات فى حلقة واحدة ٠ ٠كلاهما فى الداخل ٠٠ أواه يا سيدى لقد فات أوان انقاذه ! ٠٠ انه لا بد قد صار الآن رمادا وحطاما !»

وكانت ألسنة النيران وسحب الدخان تتدافع فى تلك الاثناء من كوة الغرفة ٠٠ وكان سكان القرية القلائل قد تجمعوا حول الكنيسة ، وبدت وجوههم المذعورة على وهج اللهب ، ثم اختفت فى سواد الدخان ٠٠ ووقف خادم سير برسيفال جامدا يحدق نحو غرفة المحفوظات ٠٠ وجلس الامين العجوز على أحد القبور يرتجف ويئن ٠٠ وأدرك هارترايت ألا سبيل الى انقاذ الموقف ! ٠٠ ثم هتف صوت من بين القرويين : « سوف يرون النار من البلدة ٠٠ ان ثمة مضخة حريق فى البلدة ٠٠

وسيخفون لانقاذ الكنيسة ! »

وكان لا بد من انقضاء ربع ساعة قبل أن تصل المضخة من البلدة . وما كان هارترايت ليستطيع أن يبقى بلا حراك طيلة الوقت ، فقد يكون التعس الذى فى المخزن حيا ولكنه فاقد الوعى ! .. ومن هنا صاح الشاب بأهل القرية :

ـ فلنبحث عن قطعة من الخشب نستعين بها على تحطيم الباب .. خمسة شلنات لكل رجل يساعدنى !

وتناول المصباح وراح يعدو فى اتجاه القرية ، فهلل له القرويون وتبعوه .. وفى أول كوخ مهجور عثروا على كتلة خشبية ثقيلة .. فعادوا بها الى الكنيسة ! وحملها هارترايت وأربعة من القرويين وهرعوا نحو باب المخزن ، وراحوا يدفعونه .. ثم يتراجعون الى الخلف ويعودون جريا بالكتلة يدفعونه بها .. وبدأت مفصلات الباب تتداعى .. ثم سقط محدثا دويا هائلا ! ..ولفحت الحرارة وجوههم فأرغمتهم على التراجع .. ولم يستطيعوا أن يروا غير أتون من النار المضطرمة !

وهمس الخادم : « أين هو ؟ »

فأجاب أمين الكنيسة : « أصبح رمادا وهشيما .. كما ستصير الكنيسة رمادا وهشيما »

وسمعت ضجة مقبلة من بعيد ، ووقع حوافر جياد مقبلة بأقصى سرعتها .. أخيرا وصلت مضخة اطفاء الحريق !

وفى عشر دقائق كانت قد أعدت للعمل ، وتم توضيلها بالبئر الواقعة خلف الكنيسة ، ثم حمل الخرطوم نحو باب غرفة المحفوظات .. وبدأ رجال الاطفاء مهمتهم ..

ولو استدعى الموقف مساعدة ، لما استطاع هارترايت أن يمد يدا .. فقد فقد نشاطه ونضبت قواه .. لقد أيقن الآن

من أن سير برسيفال قد مات ! ٠٠ فوقف جامدا عاجزا يحدق فى الحجرة المحترقة التى باتت طعما للنيران !

ورأى النار تنهزم وئيدا ٠٠ وخبا وهجها ٠٠ وتصاعد البخار فى سحب بيضاء ٠٠ واستحالت حمرة الرماد الى سواد ٠٠

وترك اثنان من رجال الاطفاء زملاءهما واتجها نحو القرية ٠٠ ثم عادا بباب انتزعاه من أحد المنازل المتهدمة ٠٠ وحملاه الى داخل الحجرة ٠٠ وعندما خرجا ثانية ، كانت على الباب جثة ، ألقى عليها أحد رجال الاطفاء قطعة من القماش ٠٠

تقدم هارترايت على مهل من حلقة الرجال المحيطين بالباب ، الذى وضع على الارض ٠٠ وكان ثلاثة منهم يحملون مصابيح ، **فغض هارترايت بصره متهيبا ٠٠ لم ير فى البداية شيئا سوى قطعة القماش ٠٠ وكان وقع المطر عليها مسموعا فى غمرة الصمت الرهيب ٠٠ فمد بصره الى نهاية القماش ٠٠ وهناك ، كان وجه سير برسيفال جلايد الميت ٠٠ اسود ، بشعا ٠٠ فى ضوء المصابيح !**

وهكذا رآه هارترايت لاول ، ولآخر مرة ٠٠ وهكذا أراد الله لهما أن يلتقيا !

٢٢ ـ تعارف فى الاوبرا

◆ **عاد** هارترايت فى الصباح الى لندن ، وحين أوت لورا الى مخدعها روى الشاب لماريان ما عنده من أنباء ٠٠ ثم قال : « ينبغى أن نجنب لورا صدمة العلم بالحقيقة بغتة ٠٠ فلا تدعى أية صحيفة من الصحف تقع تحت بصرها ! »

ولاذت ماريان بالصمت لبضع دقائق ، تفكر فى نهاية سير برسيفال الرهيبة ٠٠ ثم قالت : « هل تعتقدانه أشعل النار فى الحجرة عامدا ، كى يجعل احتراق السجل يبدو كما لو كان نتيجة حادث ؟ »

فأجاب هارترايت : « كلا ، بل أعتقد أنه كان ينوى احراق الصفحة التى جرى فيها التزوير فقط ، فانى اذا عجزت عن ابراز الاصل للمحكمة كى يقارن بالنسخة التى فى «نوليسبورى» ، لم يتوفر لى الدليل المادى الحاسم ضده ! ٠٠ ولما كانت الحجرة مزدحمة بالاوراق والخشب الجاف فلعل النار امتدت عفوا من ثقابه ٠٠ ولقد حاول الفرار من الباب فاستعصى عليه القفل ٠٠ ولعله حاول النجاة من الباب الداخلى حين ناديته ، ولكن من المحتمل أن اللهب والدخان كانت أكثر من أن ينفذ خلالها ٠٠

فقالت ماريان : « ليغفر الله له ! ٠٠ ولكن ما الذى دعاه منذ البداية الى التزوير فى سجل الزواج ؟ »

فقال هارترايت : « أعتقد انى أفهم السبب ٠٠ اننا لن نعرف أبدا متى علم بأن أبويه لم يعقدا زواجا ٠٠ ولقد عاد بعد وفاتهما الى انجلترا ٠٠ وكان لا بد من شيئين قبل أن يستطيع تسلم الثروة : شهادة ميلاده ، وشهادة زواج أبويه ! ٠٠ وكانت الاولى ميسورة سهلة ، فقد ولد فى الخارج وكانت له

شهادة ميلاد ٠٠ أما الشهادة الثانية فقد حملته على الحضور الى ولمنجهام القديمة ، حيث ارتكب جريمة التزوير بمساعدة السيدة كاثريك ٠٠ »

فسألته ماريان : « وماذا تنوى أن تفعل الآن ؟ هل ستبلغ البوليس ما اكتشفت ؟ »

فقال : « لن أفعل شيئا من هذا القبيل ، اذ ما الفائدة ؟٠٠ لقد حضر محامى سير برسيفال الى ولمنجهام هـــذا الصباح قبل رحيلى عنها ٠ وقد سمع يقول : ان الوارث الشرعى لوالد برسيفال هو ابن لابن عمه يعمل ضابطا فى البحرية ، وقد سرق سير برسيفال لقب هذا الرجل وأملاكه ودخله لمدة ثلاث وعشرين سنة ! ٠٠ ولن يجديه أن يعلم ذلك الآن ٠٠ فضلا عن أن سير برسيفال قد نال عقابه ٠٠ كلا ياماريان ، سوف ألوذ بالصمت ازاء ما اكتشفت ٠٠ وليكتم الماضى أسراره ٠٠!»

فقــالت ماريان : « ولكن لا بد من أن تعــلم لورا بموت زوجها »

– بلا شك ، ولكن ٠٠ يجب أن تمضى فترة من الزمن قبل أن ننبئها به !

– كلا ياوولتر ، الافضل أن تعرف الامر الآن ، سأجنبها التفصيلات وأســوق النبأ اليها فى لطف ٠٠ ولكن واجبى نحوها ، ونحوك ، يقتضينى أن أخبرها بموت زوجها

ثم غادرت ماريان الغرفة ٠٠ وفى اليوم التالى علمت لورا بأن موته قد حررها ! ٠٠ ثم لم يعد اسم سير برسيفال يذكر فيما بينهم قط !

✻

◆ **وانقضت** خمسة أشهر ٠٠ وأقبل شهر ابريل ، شهر الربيع ، شهر التغيرات ! ٠٠ وكانت لورا قد تحسنت كثيرا ، وأخذت النظرة المكدودة المهمومة – التى جعلتها تبدو أكبر من

سنها - تزايلها سريعا ٠٠ لكن هارترايت لاحظ أن المؤامرة خلفت نتيجة خطيرة واحدة : تلك هى أن ذاكرتها فيما يتعلق بالاحداث التى وقعت فيما بين وقت مغادرتها «بلاكووتربارك» ووقت لقائهما فى مقبرة كنيســـة ليمريدج ، كانت بعيـــدة عن أى أمل فى استردادها ! - وان ظلت المســكينة تتجهم وترتجف لاتفه ذكر لهذه الفترة - وفيما عدا ذلك ، كانت قد قطعت مرحلة كبيرة فى طريق الشفاء ، حتى أنها كانت فى خير أيامهـا وأصفاها تبـــدو وتتكلم كما كانت فيما مضى ! ٠٠ واستيقظت ذكريات حياتها الماضية فى كمبرلاند - عندما كان هارترايت هناك - من سباتها الطويل ٠٠

وفى أثناء تلك الشهور لم يستطع هارترايت أن ينسى هدف حياته الاول ٠ لم ينس كلماته الى مستر جيلمور : « ان بيت عمها سيفتح ثانية لاستقبالها ، وتلك الاكذوبة (الخاصة بموتها) ستمحى عن قبرها أمام الملأ ٠٠ وهـذان المجرمان الآثمان سوف يقدمان لى حسابا عن جريمتهما ! » ٠٠ ولقـــد مات أحدهما ٠٠ وبقى الآخر ٠٠ وكذلك بقى عزم هارترايت !

واستطاع أن يعثر على السمسار الذى أجر منزل « غابة سان جـون » الى الكونت فوسكو ٠٠ فقيل له ان الكونت جـــدد العقد لستة أشهر أخرى ، وسيبقى المنزل فى حوزته حتى آخر شهر يونية ٠٠ فكان أمام هارترايت وقت كاف لاعداد عدته ٠٠

وفى صباح يوم مشرق من أيام ابريل قال لماريان : « لقد اعتزمت أن أنتزع من الكونت فوسكو الاعتراف الذى فشلت فى الحصول عليه من سير برسيفال ٠٠ لكنى فى موقفنا الحاضر لا أملك حقـا على لورا يجيزه القانون ، ويقـوينى فى كفاحى ضد الكونت وحمايتى لها ٠٠ واذا كنت سأخوض قضيتنا ضد الكونت فلا بد من أن أخـوضها باسم «زوجتى» ! ٠٠ فهـــل توافقيننى على ذلك ياماريان ؟ »

- أوافق على كل كلمة منه

فواصل هارترايت كلامه قائلا : « اننى أتكلم بصراحة ٠٠ وأنا أعتقد اعتقادا خالصا أن آمال لورا فى المستقبل محدودة متواضعة ، فان ديون سير برسيفال قد التهمت ثروتها ٠ وآخر فرصة لاعادتها الى مكانها فى المجتمع باقية تحت رحمة ألد أعدائها ! ٠٠ أما وقد زال عنها كل امتياز ، فقد حق لمدرس الرسم الفقير أن يفتح قلبه لها آخر الامر ! ٠٠ لقد كنت أيام ثرائها المعلم الذى يأخذ بيدها فحسب ٠٠ أما الآن فانى أطلب هذه اليد ، فى ضيقها وفقرها ، لتكون صاحبتها زوجة لى ! »

فقالت ماريان والدموع تطوف بمقلتيها : « وولتر ! ٠٠ لقد فرقت بينكما يوما ، لخيرك وخيرها ، فابق هنا يا أعز وأخلص صديق ، حتى تأتى لورا وتحدثك عما فعلت الآن ! »

وغادرت الغرفة ٠٠ فجلس هارترايت وحده الى جوار النافذة ، ينتظر أصعب لحظة فى حياته !٠٠ وفتح الباب ٠٠ ودخلت لورا وحدها ٠ ولمح سعادتها ، وسعادته ، فى عينيها !

وبعد عشرة أيام تزوجا ٠٠ !

*

◆ **كانت** تمر بهارترايت ـ فى سعادته الجديدة ـ لحظات يهن فيها عزمه ٠٠ لحظات يشعر خلالها باغراء يلح عليه فى أن يقنع بحاضره الآمن ، بعد أن تحققت له أعز رغبات حياته !٠٠ كان عمله وفنه يستطيعان أن يكفلا العيش له وزوجته ، وماريان ٠٠ ولاول مرة ، فكر فى خطورة العمل ضد الكونت فوسكو ! ٠٠ وكما كانت لورا تحوله ـ دون أن تدرى ـ عن طريق الواجب الوعر ، فانها ـ دون أن تدرى أيضا ـ ردته اليه !

كانت تمر عليها فترات تعاودها فيها ـ فى نومها ـ أحلام الماضي الرهيب ، فتذكرها بالاحداث التى غابت عن ذاكرتها في يقظتها ٠٠ وفي ذات ليلة ـ بعد أسبوعين من زواجهما ـ

رأى هارترايت الدموع تنحدر فى بطء من بين أجفانها المغمضة ، وسمعها تتمتم بكلمات خافتة أدرك منها أنها قد ارتدت - فى نعاسها - الى ذكرى الرحلة القاتلة التى غادرت فيها « بلاكووتر بارك » الى منزل الكونت فوسكو فى ضواحى لندن !

٠٠ وفى اليوم التالى ارتد الى هارترايت عزمه القديم وقد ازداد قوة وتصميما عشرة أضعاف ! ٠٠ لقد فكر فى كل ما حدثته به ماريان عن الكونت فوسكو : كيف أنه لم يعبر الحدود الى وطنه الاصلى منذ سنوات عديدة ، وكيف أسمته لورا يوما بالجاسوس ، فخطر ببال هارترايت أن هذا قد يكون صحيحا !٠٠ فلو كان الكونت جاسوسا ، لفسر هذا سر اطالته البقاء فى انجلترا على هذا النحو الغريب ، بعد أن أصاب أهداف مؤامرته ! ٠٠ ومن المحتمل أن تكون مسز روبل - الممرضة التى أحضرها لماريان فى مرضها - جاسوسة هى الاخرى تعمل تحت امرته !

ولكن كيف يتأتى لهارترايت أن يعرف حقيقة هذه الافكار؟٠٠ كان خير عون يستطيع أن يركن الى مساعدته هو شخص من مواطنى الكونت ٠٠ ففكر هارترايت لفوره فى الايطالى الوحيد الذى كان على معرفة وثيقة به ٠٠ وهو صديقه القديم : البروفيسور بيسكا ! ٠٠ لقد غاب البروفيسور عن هذه الصفحات طويلا ، حتى غدا معرضا لان يكون قد بات فى زوايا النسيان ٠٠ وكان هارترايت - كما يمكن أن نتذكر - قد التقى به فى الدور اللندنية حيث كان يعلم الرسم ، وكان الايطالى يعلم لغته ٠٠ وبفضل توصية بيسكا ذهب هارترايت الى قصر ليمريدج ٠٠

وكان هارترايت قد التقى بالبروفيسور منذ عودته الى انجلترا ، لكنه لرغبته في أن يخصص كل وقته لكشف

المؤامرة التى دبرت ضد لورا لم يلب الدعوة الحارة التى وجهها اليه البروفيسور كى يزوره .

وقبل أن يطلب هارترايت معونة بيسكا كان لزاما عليه أن يرى الكونت ! - اذ لم يكن بصره قد وقع عليه قط حتى تلك اللحظة - فمضى ذات صباح الى غابة سان جون وراح يسير على مهل جيئة وذهابا فى الشارع ، ملتزما الجانب المقابل لبيت الكونت ، وبصره عالق بالبيت .. وبعد برهة قصيرة فتح باب البيت .. وخرج منه الكونت !

وكانت ماريان قد وصفت لهارترايت طول قامة الكونت وبدانته المخيفة ، لكنها لم تصور للشاب نشاط الرجل ومرحه .. كان يحمل سنى عمره الستين وكأنها أقل من أربعين !.. وكان يسير بخطوات خفيفة ، وقد ارتدى قبعته بميل خفيف ، وراح يطوح عصاه الكبيرة وهو يغنى بصوت خافت .. وتبعه هارترايت فى حذر ، وكانت ثمة ميزة لصالحه .. فان الكونت لم يكن قد رآه قط ، ولن يعرف من يكون ، حتى اذا التفت خلفه ..

وبلغا شارع اكسفورد .. فدخل الكونت حانوتا صغيرا لبيع النظارات .. ثم خرج يحمل فى يده منظارا مقربا مما يستخدم متابعة روايات الاوبرا

وسار الكونت ، ثم توقف ليتأمل اعلانا عن برامج الاوبرا ملصقا على حائط .. وما لبث أن نادى احدى عربات الاجرة فاستقلها وهتف بالحوذى : « الى شباك تذاكر الاوبرا » .. ثم ابتعدت به العربة .

وكان المنظار الذى فى يد الكونت ، ومطالعته الاعلان ، والعنوان الذى أملاه على الحوذى ، كل هذه أوحت الى هارترايت بأن فوسكو سيكون من شهود الاوبرا فى تلك الليلة .. فسار الى دار الاوبرا ، وابتاع تذكرتين .. ثم ترك رسالة للبروفيسور بيسكا في مسكنه .. وعاد اليه في الساعة الثامنة

الا ربعا ليصحبه الى المسرح .. وكان صديقه بادى الابتهاج ، وقد وضع فى عروة سترته زهرة جميلة ، وتأبط أضخم منظار مقرب وقعت عليه عيناه يوما ما !

*

◆ **أسدل** الستار عقب الفصل الاول ، وأضيئت الانوار ، فنهض النظارة يتأملون ما حولهم .. وكان الكونت فوسكو يجلس فى صف يتقدم عن مكان هارترايت وصديقه بعشرة صفوف .. فنهض بدوره وأدار ظهره للمسرح ثم رفع منظاره وراح يتأمل الجالسين فى المقاصير ..

وسأل هارترايت صديقه : « هل تعرف هذا الرجل ؟ »

ـ أى رجل يا صديقى ؟

ـ الرجل الطويل البدين الواقف هناك ، ووجهه الى ناحيتنا ؟

وكان بيسكا قصير القامة الى حد كبير ، فتطاول على أطراف أصابعه ونظر الى الكونت .. ثم أجاب :

ـ كلا ! .. انه غريب عنى .. أهو شخصية مشهورة ؟.. ولماذا تلفت نظرى اليه ؟

ـ اننى أريد أن أعرف عنه شيئا ، فهو من مواطنيك ، ويدعى الكونت فوسكو .. هل تعرف هذا الاسم ؟

ـ كلا ياوولتر ! لا الاسم ولا صاحبه معروفان لدى !

ـ أواثق أنت من أنك لا تعرفه ؟ تأمله ثانية وأنعم النظر اليه .. قف فوق المقعد لتراه بوضوح أكثر !

وكان الى جوارهما رجل نحيل الجسم فى خده الايسر ندبه .. فنظر بانتباه الى بيسكا وهارترايت يعينه على اعتلاء المقعد ، وتبع اتجاه بصر بيسكا ، وزاد من انتباهه وهو ينظر للكونت

وعاد البروفيسور الضئيل القامة يقول مكررا : « كلا ! ان بصرى لم يقع قط من قبل فى حياتى على هذا الرجل الضخم البدين ! »

وفيما هو يتكلم هبط نظر الكونت ، فالتقت أعين الرجلين الايطاليين ! ٠٠ وكان هارترايت قد اقتنع تماما ــ فى اللحظة السابقة ــ بأن بيسكا لا يعرف الكونت ٠٠ ولكنه فى اللحظة التالية أيقن تماما من أن الكونت يعرف بيسكا

يعرفه بل ويخافه أيضا ــ الامر الذى يدعو الى المزيد من الدهشة ! ٠٠ فما كان أحد ليخطىء التغير الذى طرأ على وجه فوسكو ٠٠ اذ شحب لونه فصار فى بياض الموتى ، وفغر فاه ، ووقف جامدا بلا حراك وقد سيطر رعب قوى على جسمه ونفسه ٠٠ وكان تعرفه على بيسكا هو السبب ٠٠ بينما كان ذو الندبه ــ والذى بدا أجنبيا ــ لا يزال واقفا على مقربة منهما حين هبط بيسكا من فوق المقعد وهتف مستغربا :

ــ ما أغرب نظرات الرجل البدين ؟ أكانت موجهة لى ؟ ٠٠ أأنا من الشخصيات المعروفة ؟ كيف يعرفنى اذا كنت لا أعرفه ؟

وما أن تحرك بيسكا حتى تحول الكونت وهرع خارجا من المسرح ٠٠ فأمسك هارترايت بذراع بيسكا وقاده الى الخارج أيضا ٠٠ ولاحظ فى دهشته ان الرجل النحيل هرع أيضا وسبقهما ٠٠ وعاقت جماعة من النظارة هارترايت وصديقه فى الممر ، فلما وصلا الى بهو المسرح كان الكونت فوسكو قد اختفى ٠٠ وكذلك الاجنبى ذو الندبه !

وهنا قال هارترايت لصديقه : « تعال معى ، تعال معى يابيسكا ، الى مسكنك ٠٠ اذ يجب أن أحدثك فورا على انفراد»

فصاح البروفيسور وهو فى أقصى العجب : « رحماك اللهم ٠٠ ماذا جرى فى الدنيا ؟ »

٢٣ «أخوة» الندوة

◆ **ماكاد** هارترايت وبيسكا ينفردان فى غرفة الاخير ، حتى ضاعف هارترايت من دهشة صديقه بأن سرد عليه قصة الجريمة بحذافيرها ، وقصة زواجه من لورا ، والغرض الذى يسعى له ضد الكونت ..

فلما فرغ هارترايت من قصته صاح البروفيسور : « وماذا أستطيع أن أفعل يا صديقى ؟ كيف أساعدك ياوولتر اذا كنت لا أعرف الرجل ؟ »

ـ لكنه يعرفك ، بل يخافك ! .. لقد ترك المسرح فرارا منك ! .. لا بد من سبب لذلك يابيسكا . عد الى حياتك قبل أن تأتى الى انجلترا فتأملها .. لقد غادرت ايطاليا ـ كما ذكرت لى ـ لاسباب سياسية .. فحاول أن تتذكر ما اذا كان هناك أى سبب فى الماضى للخوف الذى أدخلته على الرجل أول نظرة ألقاها عليك !

ولدهشة هارترايت أحدثت هذه العبارات ـ برغم براءتها الظاهرة ـ فى نفس بيسكا عين الاثر الذى أحدثته فى نفس الكونت رؤيته لبيسكا .. فقد ابيض وجه الايطالى بغتة وتراجع مبتعدا عن صديقه فى بطء وهو يرتجف من رأسه الى قدمه ! ..

ثم همس فيما يشبه الحشرجة : « وولتر ، انك لا تعرف ماذا تطلب ! »

فأجابه هارترايت : « اغفرلى اذا كنت قد آلمتك .. واذكر الاساءة البشعة التى قاستها زوجتى على يدى الكونت فوسكو ! تذكر ان ذلك الذنب لا يمكن قط اصلاحه ، ما لم تتح لى الوسائل التى تضطره الى انصافها ، انى أناشدك باسمها هى يا بيسكا ! »

فقال البروفيسور : « لقد هززتني من رأسى الى قدمى ٠٠ انك لا تدرى كيف غادرت بلادي ، ولا لماذا غادرتها ! »

وراح يذرع الحجرة ذهابا وجيئة ، وهو يغمغم محدثا نفسه بلغته ٠٠ وبعد جولات عدة اقترب فجأة من هارترايت وواجهه ثم ألقى يديه الصغيرتين على كتفيه وقال : « وحقك ، ألا توجد وسيلة أخرى لتنال من هذا الرجل الا عن طريقى أنا ؟ »

فأجابه هارترايت : « ما من وسيلة أخرى ! »

فاتجه بيسكا نحو باب الغرفة ، وفتحه وتأمل الممر فى حذر ٠٠ ثم أغلقه ثانية وعاد الى هارترايت يقول : « سأصارحك بكل شىء ٠٠ وأقسم أن كلماتى التالية صادقة ٠٠ وسوف تضع حياتى بين يديك ! »

نطق بيسكا بهذه الكلمات فى لهجة جادة أقنعت هارترايت بأنه يقول الصدق ٠ ثم استطرد قائلا : « أصغ الى ٠٠ ليس فى ذهنى خيط يربط بين ذلك الرجل فوسكو وبين ماضى ٠٠ فاذا اهتديت أنت الى هذا الخيط فاحتفظ به لنفسك ، ولا تقل لى شيئا عنه ٠٠ دعنى أظل على جهلى به وعلى عماى عن المستقبل كله ، مثلما أنا الآن ! »

وصمت بضع لحظات .. قبل ان يستطرد : « انك لاتعرف شيئا عن سبب مغادرتى ايطاليا ، عدا انه سبب سياسى . ولعلك سمعت يا وولتر عن الجمعيات السياسية الخفية التى توجد فى كل مدينة كبيرة فى اوربا .. لقد كنت انتمى فى ايطاليا الى احدى هذه الجمعيات السرية ، ولا أزال أنتمى اليها وأنا فى انجلترا ٠٠ فعندما جئت الى هذه البلاد ، جئت بتوجيه من رئيسى .. كنت فى شبابى الباكر شديد التحمس ، وكان حماسى خليقا بأن يعرضنى ويعرض سواى للخطر . ولهذه الاسباب امرت بالمهاجرة الى انجلترا ، والبقاء بها فى انتظار صدور اوامر اخرى !

« وقد هاجرت .. وانتظرت .. وما زلت انتظر ! ٠ ٠

وقد اتلقى غدا امرا بالعودة .. وقد لا ادعى قبل عشر سنوات أخرى !.. ان الامر سواء عندى ، فانى هنـــا أتعيش من التدريس ، وانتظر .. **والان سأحـــدثك يا وولتر عن الجمعية ، وبذلك اضع حياتي فى يديك ، فلئن عرف الاخرون ان ما اقوله لك قد بارح شفتى ، فثق ـ ثقتك من جلوسنـــا الان هنا ـ انني ميت لا محالة ! »**

ثم انحنى على هارترايت وهمس فى اذنه بالكلمات التالية : « الجمعية التى احدثك عنها تدعى « اخوة النـــدوة » .. وهدفها هو القضاء على الطغيـــان ، ومنح الشعب حقوقه .. ومبادىء الاخوة اثنان : ما دامت حياة الانسان نافعـــة ، او حتى غير ضارة فحسب ، فان من حقه ان يستمتع بها ! .. اما ان تضر حياته بزملائه من البشر فانه يفقد ذلك الحـــق ، ولا يكون قتله جريمة بل فضلا !

« وقوانين الاخوة لا مثيل لها لدى اية جمعية سيـــاسية اخرى على وجه الارض .. فأعضاؤها لا يعرف احـــدهم الآخر .. وهناك رئيس فى ايطاليا ، ورؤساء فى الخارج .ولكل من هؤلاء سكرتيره . والرؤســـاء والســـكرتيرون يعرفون الاعضاء ، ولكن الاعضاء لا يعرفون بعضهم فيما بينهم .. ونحن جميعا نحمل علامة سرية تبقى ما بقينا على قيد الحياة .. وقد امرنا بأن نمضى فى أعمالنا العادية وان نتقـــدم الى الرئيس ، أو السكرتير ، أربع مرات كل عام ، لاحتمـــال أن تكون ثمة دواع لخدماتنا .. فاذا وشينا بالاخوة او اسأنا اليها بخدمة مصالح اخرى ، فاننا نموت بحكم مبـــادىء الاخوة .. نموت بيد غريب قد يكون موفدا من اقصى اطراف المعمورة كى يضرب الضربة القاضية .. او ربما بيد اخلص اصدقائنا ، ممن يكون عضـــوا مجهولا لنا طيلة ســـنوات صداقتنا .. وقد يؤجل الموت احيانا . .واحيانا ينفذ فورا عقب الخيانة .. وواجبنـــا الاول أن نتعلم كيف ننتظر ..

وواجبنا الثانى ان نتعلم كيف نطيع اذا صدر الامر لنا . وقد ينتظر بعضنا العمر كله دون ان تعن حاجة اليه .. وقد يدعى بمهمة فى يوم الانضمام بالذات ! .. وقد وقع الاختيار على لمنصب السكرتير، اثناء وجودى فى ايطاليا . وجميع الاعضاء الذين التقوا بالرئيس وجها لوجه - فى ذلك الوقت - التقوا بى انا ايضا »

وهنا بدأ هارترايت يفهم .. ورأى النهاية التى تؤدى اليها هذه القصة الغريبة .. وتريث بيسكا لحظة ، وهو يرقب صديقه بامعان ، حتى حدس ماكان يدور فى رأسه .. ثم قال : « لقد استنبطت نتائجك الخاصة .. اننى أقرأ ذلك فى وجهك ، فلا تقل لى شيئا . اقصنى عن سر افكارك .. ولكن دعنى افعل شيئا واحدا اخر ، ثم افرغ من هذا الموضوع الى غير رجعة ابدا ! »

وخلع سترته ، وأزاح كم قميصه عن ذراعه اليسرى .. وقال : « ذكرت لك ان الاخوة تضع لكل عضو علامة تلازمه مدى حياته ، وفى استطاعتك ان ترى العلامة ومكانها بنفسك ! »

ثم رفع ذراعه العارية ، وأرى لهارترايت فى الجزء العلوى منها وعلى الجانب الداخلى ، دائرة صغيرة طبعت بكى عميق فى اللحم ، وبلون الدم الأحمر القانى ! .. ثم استطرد وهو يغطى ذراعه مرة اخرى :

- اى رجل به هذه العلامة ، فى هذا المكان ، يكون عضوا فى « الاخوة » .. وكل من يتنكب مبادىء الجمعية لابد أن يفتضح أمره ، ان عاجلا أو آجلا ، بوساطة الكبار الذين يعرفونه - ان رؤساء أو سكرتيرين - وكل من يكتشف أمره فهو ميت ! .. ما من قانون بشرى يستطيع أن يحميه .. فلتذكر هذا الذى رأيت وسمعت ، وكون ما شئت من استنتاجات ، وتصرف كما يحلو لك .. ولكن بالله لا تخبرنى بشىء .. اعفنى من المسئولية . وللمرة الاخيرة ، أقسم بشرفى كرجل مهذب ، أنه

ان كان الرجل الذى أشرت اليه فى الاوبرا يعرفنى فلابد أنه تغير لدرجة تجعلنى لأعرفه ٠٠ وانى لاجهل أفعاله وأغراضه فى انجلترا ٠٠ فأنا لم أره أبدا ، ولم أسمع قط ـ قبل الليلة ، فيما اعلم ـ بالاسم الذى يتخذه لنفسه .. ولا اقول اكثر من هذا ، فدعنى الآن برهة يا وولتر ٠٠ فقد هز ما قلت أعصابى ٠٠!

فقال هارترايت : « سوف أحتفظ بذكرى هذه الليلة فى سويداء قلبى ٠٠ ولن تأسف أبدا على الثقة التى أوليتنيها ٠٠ طاب مساؤك يا بيسكا »

ـ طاب مساؤك يا صديقى ..

❖

◆ **وما** كاد هارترايت يجد نفسه خارج البيت ، حتى اعتزم ان يتصرف فورا على ضوء المعلومات التى تلقاها .. فنظر الى ساعته ، وكانت تشير الى العاشرة ٠٠ ولم يدر بخاطره اى ظل للشك فى الغرض الذى غادر الكونت المسرح من اجله .. كان « فراره » فى تلك الليلة خليقا بأن يعقبه فراره من لندن كلها .. وكان هارترايت على ثقة من ان علامة الاخوة على ذراعه ، وانه خان الجمعية !

وقد كان من السهل ادراك سبب قصور بيسكا عن معرفته ٠٠ فلعل الوجه الحليق الذى أشار اليه هارترايت فى الاوبرا ، كان مكسوا بلحية أيام كان بيسكا سكرتيرا ٠٠ وربما كان الشعر البنى القاتم مستعارا ٠٠ ومن الجلى أن الاسم زائف ٠٠ ولعل عارض الزمن ساعده كذلك ، فجاءت هذه البدانة الهائلة مع تقدمه فى السن ٠٠ الخ

ولم يكد هارترايت يبلغ مسكنه حتى دلف فى هدوء الى غرفة عمله دون ان يزعج لورا او ماريان .. كان لابد من مقابلة الكونت فوسكو فى تلك الليلة بيد انه كان من الضرورى

ـ من اجل لورا ـ ان يقى نفسه من غريمه .. ومن ثم كتب الى بيسكا الرسالة التالية :

« الرجل الذى اشرت لك نحـوه فى الاوبرا عضـو فى « الاخوة » ، وقد حاد عن مبادئها .. وأنت تعـرف الاسـم الذى يتخذه لنفسه فى انجلترا ، وعنوانه : « رقم ٥ فوريست رود ، غابة سان جون » .. فاستخدم سلطتك دون رحمة ودون ابطاء ضد هذا الرجل ، فلقد خسرت معركتى ضده ، ودفعت حياتى ثمنا لهذا الفشل ! »

ثم وقع على الرسالة وكتب التاريخ ، ووضـعها فى ظرف أغلقه ، وكتب على ظاهره : « لا تفض هـذا الخطـاب حتى الساعة التاسعة من صباح غد .. فاذا لم تسمع انباء منى أو تراني قبل هذا الوقت ففض الرسـالة حين تدق الساعة التاسعة واقرا محتوياتها ! » .. ثم اضاف الحرفين الاولين من اسمه ووضع الظرف فى ظرف ثان احكم اغلاقه ، وكتب عليه عنوان بيسكا فى مسكنه..وهبط السلم فأعطى الرسالة لابن صاحب البيت وكلفه بأن يستقل عربة وان يسلم الرسالة الى البروفيسور بيسكا يدا بيد ، ويحضر ايصالا بتسلمها ، ثم يعـود فى العربة فيستبقيها لدى الباب كى يستخدمها هارترايت بعد ذلك .. !

واحس الشاب انه قد فعل كل ما فى وسعه .. وعليه ان يتوجه الان الى بيت الكونت .. فاذا حدث له شيء هنـاك فقد اتخذ ما يكفل للكونت ان يموت هو الاخر ..

ودخل الى حجرة الجلوس ، فلم يجد فيهـا سوى ماريان ، اما لورا فكانت قد اوت الى فراشها مبكرة .. فغادر الغرفة ثانية ليراها ، ووقف يتأملها وهى نائمة فى أطمئنان . . ثم همس يناجيها : « ليباركك الله ، ويحفظك ! »

وعاد الى حجرة الجلوس .. ولم تمض عشرون دقيقة ، حتى اقبل ابن صاحب البيت بالعربة ، حاملا رد بيسكا ،

وكان يتضمن عبارتين : « تلقيت خطابك .. فاذا لم ارك قبل الوقت الذى حددته فسوف افض الرسالة مع دقات الساعة التاسعة ! »

وضع هارترايت الورقة فى مفكرته ثم اتجه نحو الباب ، قائلا : « انى خارج مرة ثانية يا ماريان » .. فحدقت فى وجهه ، وامسكت بيديه ، وهمست :

ـ لقد فهمت انك تبذل محاولتك الاخيرة الليلة !

فهمس مجيبا : « نعم ، انها اخر الفرص ، وافضلها .. ! »

ـ لا تذهب وحدك !.. أواه يا وولتر ، بربك لا تذهب وحدك !.. دعنى أذهب معك.. لا ترفضنى لمجرد اننى امرأة !..

فقال هارترايت : « اذا أردت مساعدتى فابقى هنا ، ونامى فى مخدع زوجتى الليلة .. دعينى أذهب وأنا مطمئن على لورا ! .. هيا يا ماريان ، اظهرى لى أن عندك الشجاعة الكافية كى تنتظرى حتى اعود ! »

وخلص يديه من قبضتها وهرع خارجا من الغرفة . ولم تمض لحظة حتى كانت العربة قد انطلقت به فى الطريق الى « غابة سان جون » ... وكانت الساعة الحادية عشرة حين استوقف الحوذى ، فنقده أجره وصرفه .. ثم اتجه نحو باب دار الكونت فوسكو !!

وكان ثمة شخص اخر يتقدم نحو باب الحديقة ، من الاتجاه المضاد .. فعرفه هارترايت ، على ضوء مصباح الشارع .. كان ذلك الاجنبى النحيل ذو الندبة ! .. وبدلا من ان يقف امام البيت كما فعل هارترايت ، واصل سيره ..

ترى هل كان فى طريق «فوريست رود» بمحض المصادفة ..؟ أم انه تبع فوسكو فى عودته من الاوبرا ؟

لم يحاول هارترايت ان يجيب عن هذه الاسئلة ، وانما دق جرس الباب ، واعطى بطاقته للخادم التى فتحت له ، فمضت الى داخل البيت ، ثم عادت تدعوه الى الدخول .. !

٢٤ ـ اعترافات الكونت فوسكو

◆ **قادت** الخادم هارترايت الى احدى الحجرات ، واذا به يجد نفسه وجها لوجه امام الكونت فوسكو !

كان الكونت لا يزال فى ثياب السهرة ، فيما عدا سترته التى القاها على احد المقاعد .. وكان كما قميصه مطويين عند رسغيه ، دون أن يتجاوزاهما ٠٠ وفى أنحاء الحجرة انتثرت الكتب والاوراق وقطع الثياب المختلفة .. وعلى منضدة صغيرة كان القفص الذى يضم فيرانه البيض !

وكان الكونت جالسا أمام صندوق انهمك فى حزمه ٠٠ فنهض واقفا حين دخل هارترايت . وكان وجهه ما يزال يحمل بوضوح آثار الصدمة التى تلقاها فى دار الأوبرا ، اذ تهدل خداه ، وبدت فى عينيه الرماديتين الباردتين نظرة حذر وتيقظ .. ثم قال : « هل اتيت لعمل يا سيدى ؟ »

فأجابه هارترايت : « اننى حسن الحظ اذ وجدتك هنا الليلة ٠٠ اذ يبدو أنك على وشك القيام برحلة ما ٠٠؟ »

ـ وهل مهمتك تتصل برحلتى ؟

ـ الى حد ما ..

ـ الى حد ما ؟ هل تعرف الى اين انا ذاهب ؟

ـ كلا .. وانما اعرف فقط سبب رحيلك عن لندن !

واذ ذاك مرق الكونت الى جوار هارترايت فى سرعة خاطر ، فأغلق باب الحجرة بالمفتاح .. ووضع المفتاح فى جيبه وقال :

ـ انت وانا ، يا مستر هارترايت .. يعرف كلانا الاخر حق المعرفة بما سمعه عنه .. فهل تدرك اننى لست بالرجل الذى تستطيع ان تلعب معه ؟

فقال هارترايت : « لم آت الى هنا كى العب معك ، وانما انا هنا لمسألة تتعلق بحياة او موت .. ولو كان هذا الباب

مفتوحا فى هذه اللحظة لما استطاع اى شىء تقوله او تفعله ان يجعلنى اغادر الغرفة ! »

وجلس الكونت الى مكتب ، فوقف هارترايت امامه ، والمكتب بينهما .. بينما قال الكونت :

ـ امر حياة او موت ؟ ماذا تعنى ؟

ـ اعنى ما اقول !

تفصد العرق من جبين فوسكو غزيرا ، بينما سعت يده اليسرى الى درج بالمكتب .. ثم اردف قائلا : « اذن فأنت تعرف لماذا أغادر لندن ؟.. حدثنى عن السبب اذا سمحت ! »

فأجاب هارترايت : « أستطيع أن أفعل خيرا من ذلك .. استطيع ان اريك السبب .. اذا شئت ! »

ـ كيف تريني اياه ؟

قال هارترايت : « لقد خلعت سترتك ، فاطو كم قميصك الى اعلا ذراعك اليسرى .. تر السبب هناك ! »

وهنا طرأ على وجه الكونت عين التغير الذى خالجه فى دار الاوبرا .. وشع بريق عينيه المخيف مسددا نحو عينى هارترايت مباشرة ! .. ولم يقل شيئا .. لكن يده اليسرى فتحت درج المنضدة على مهل ، وتسللت الى داخله فى حذر ، ثم أمسكت بمسدس !

وسمع هارترايت صوت المعدن ، فعرف ما فى الدرج عن يقين كما لو كان رآه رأى العين .. وقال : « انتظر قليلا .. لقد أغلقت باب الحجرة ، وها أنت ذا ترى أنى لاأتحرك وان يدى خاويتين .. فانتظر قليلا .. ما زال عندى شىء اقوله لك ! »

فأجابه الكونت ، فى هدوء غير طبيعى : « لقد قلت ما فيه الكفاية .. اتعلم فيم افكر ؟ »

ـ ربما .. !

فاستطرد الكونت فى هدوء : « **انني افكر فيما اذا كنت**

اضيف الى الفوضى التى تسود هذه الغرفة ، بقايا ما يتناثر من مخك على الارض ؟ »

قال هارترايت : « انصح لك بأن تقرا سـطرين قبل ان يستقر رايك على هذا الامر ! »

وأخرج من مفكرته رسالة بيسكا وناولها للكونت ، فتلاها بصوت مسموع : « تلقيت خطابك ، فاذا لم ارك قبل الوقت الذى حددته فسوف افض الرسـالة مع دقات السـاعة التاسـعة »

ولو كان القارىء غير الكونت ، لاحتاج الى ايضاح لهـذه العبارة .. اما الكونت فقد ادرك من تلاوتها مرة ان غريمه قد عرف كيف يحمى نفسه .. فخرجت يده من الدرج .. فارغـة !

وقال لزائره : « لن أغلق درجى يا مستر هارترايت ، ولا أقـول اننى قد لا أنثر مخك على الارض .. لكننى رجـل عادل ، حتى مع عدوى ، وسوف اشهد لك فورا انك ابرع مما توهمت .. والان اطرق الموضوع مباشرة يا سيدى .. هل تريد منى شيئا ؟ »

ـ نعم يا سيدى ، وانا مصمم على الحصول عليه !

ـ بأى شرط ؟

ـ بلا قيد ولا شرط !

واذ ذاك امتدت يد الكونت الى داخل الدرج مرة اخرى ، وقال :

ـ لا تكن احمق يا مستر هارترايت ، ان خطـر اطلاق الرصاص عليك اهون لدى من خطر تركك تخرج من هـذا البيت ، الا اذا قبلت شروطى .. انك لا تتعـامل الان مـع صديقى المسكين سير برسيفال ، وانما انت تواجـه الان « فوسكو » !.. واذا كانت حياة عشرين مستر هارترايت هى الدرجات التى أرقى عليها الى سلامتى ، فانى أطأها وأنطلق ..

فاحترمني ان كنت تحب حياتك ٠٠ لقد جئت مزودا بمعلومات ٠٠ فمن أين حصلت عليها ؟

– انى ارفض ان اخبرك !

– لا بأس ، فسوف أصل الى ذلك بنفسى ٠٠ هذه السطور التى دعوتنى الى تلاوتها لاتحمل توقيعا ٠٠ فمن كاتبها ؟

– رجل تقتضينى الظروف أن أعتمد عليه ، ويقتضيك كل عقل ان تخافه !

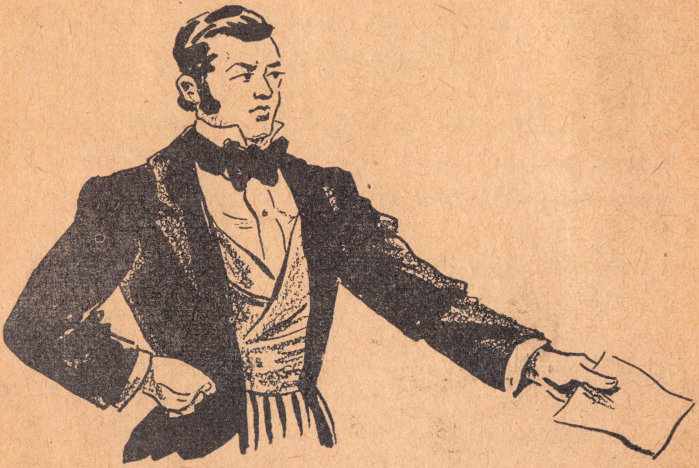
– كم من الزمن تمهلنى ، قبل أن تدق الساعة وتفض الرسالة ؟

– حتى الساعة التاسعة من صباح غد !

– واخيرا ، ما هى شروطك ؟

– ستسمعها : انك مذنب فى مؤامرة دنيئة حصلت بها بغير حق على عشرة الاف جنيه !





ولم يعلق الكونت بكلمة ، لكن سحابة من القلق خيمت على وجهه .. بينما استطردها هارترايت :

ـ احتفظ بما كسبت .. (وهنا أشرق وجه الكونت فورا واتسعت حدقتاه دهشة واستغرابا) فأنا لم آت لاساومك على مال ، وانما اريد شيئين : اريد اولا اعترافا كاملا بالمؤامرة .. واريد ثانيا دليلا ماديا يثبت تاريخ مغادرة لورا لقصر « بلاكووتر بارك » وسفرها الى لندن !

فأجاب الكونت فى هدوء : « اذن فقد استطعت ان تضع اصبعك على نقطة الضعف .. انه لم يكن خطأى .. ففى يوم ٢٥ يولية كتبت الى برسيفال اطلب اليه ان يرسل زوجته الى العاصمة فى يوم ٢٦ يولية .. ثم ارسلت زوجتى فى يوم ٢٥ لتزيح السيدة كليمنتس عن الطريق .. وتبعتها فى عربة اخرى ، حاملا خطابا الى آن كاثريك بأن ترحل لتقابل ليدى جلايد والسيدة كليمنتس فى رعايتى .. وقد ارسلت هذا

الخطاب الى آن مع احد غلمان الشارع ، فلم تمض خمس دقائق حتى خرجت آن وركبت عربتى !

« وكنت اعتزم ان احتفظ بها فى منزلى حتى يوم ٢٦ ، حين اعين الطبيعة على ان تحررها من حياتها المضطربة ! .. لكنها عندما لم تجد ليدى جلايد او السيدة كليمنتس ــ وانما وجدت زوجتى وحدها فى البيت ــ ذعرت واصيبت بنوبة قلبية قضت عليها فى الليلة نفسها ! .. ماتت فى يوم ٢٥ بينما كان مقدرا الا تصل ليدى جلايد الى لندن الا يوم ٢٦ يوليو !.. وكانت هذه نقطة ضعف فى المؤامرة ، لكن أوان تعديل خطتى كان قد فات ! »

فقاطعه هارترايت قائلا : « اننى اريد دليلا ماديا على هذا ، لا يتوقف على كلمتك ! »

فأجابه الكونت : « سوف تحصل على هذا الدليل ، بالشروط التى افرضها انا .. سأكتب الاقرار الذى تطلبه ، وسأعطيك خطابا من سير برسيفال يخطرنى فيه بيوم وساعة وصول زوجته الى لندن .. ولعلك تقر بأنه دليل مادى !؟.. كل هذا استطيع ان افعله ، وسأفعله ولكن بشرطين : اولهما ان نغادر ــ مدام فوسكو وانا ــ هذا المنزل فى الوقت الذى نشاء دون تدخل من جانبك . والثانى ان تبقى هنا لتقابل وكيلى الذى سيحضر فى الساعة السابعة صباحا ، فتعطيه امرا مكتوبا الى الشخص الحائز لرسالتك المغلقة لينزل عنها .. ثم تنتظر هنا حتى يعود وكيلى فيسلمنى تلك الرسالة مغلقة .. وعندئذ تمهلنى نصف ساعة كى اغادر وزوجتى هذا البيت ! .. هذه هى شروطى فأخبرنى ان كنت تقبلها ام ترفضها .. نعم ام لا ؟ »

وفكر هارترايت بضع لحظات .. كان غرضه ان يرد الى لورا مكانتها فى الدنيا .. ولم يكن راغبا فى ان ينجو الكونت فوسكو ، لكنه تذكر ميتة سير برسيفال ! .. ان العقاب

قد انتزع فى تلك الحالة من يديه الضعيفتين ، وخليق به ان يترك الكونت ايضا لقوة علوية تعاقبه !

واذ انتهى الى هذا القرار اجاب محدثه قائلا : « اقبل شروطك ٠٠ ولكن الرسالة المغلقة يجب أن تعدم فى وجودى ، دون أن تفض ، بمجرد وصولها الى يدك ! »

وكان غرض هارترايت ان يحول بين الكونت وبين ان يأخذ معه قرينة قد يستخدمها ضد بيسكا فيما بعد ٠٠!

واجاب فوسكو : « اوافق ، فالامر لا يستحق جدلا .. سوف تعدم الرسالة ! » .. ثم اغلق درج المنضدة ونهض من المقعد الذى كان يجلس فيه مواجها هارترايت .. وبدا انه بمجهود بسيط قد اراح ذهنه من المناقشة كلها ! .. وصاح وهو يمد ذراعيه : « اف ! .. كانت المعركة حامية اثناء حدوثها ! .. خذ مقعدا يا مستر هارترايت »

ثم مضى ففتح باب الحجرة بالمفتاح وصاح مناديا بصوته العميق : « اليانور ! » ٠٠ وجاءت زوجته ، فقال يقدمها الى زائره : « مدام فوسكو ٠٠ مستر هارترايت ٠٠ »

ثم استطرد محدثا امرأته : « يا ملاكى » ، هل يسمح لك انشغالك بحزم الحقائب بوقت تعدين فيه لى قدحا لطيفا ممتعا من القهوة القوية ؟ »

فأحنت مدام فوسكو رأسها مرتين ، مرة الى هارترايت - فى برود - ومرة الى زوجها ، فى خضوع ، ثم غادرت الغرفة .. واذ ذاك عاد الكونت الى المكتب فأعد الورق والريشة ، وقال :

- سأجعل من هذا الاقرار وثيقة ممتازة ، فانى الفت الانشاء الادبى .. وان من اندر المواهب العقلية التى يوهبها الانسان موهبة تنسيق آرائه . وانا املك هذه الموهبة !

واحضرت مدام فوسكو القهوة ، فقبل زوجها يديها شاكرا ، وقادها الى الباب ٠٠ ثم عاد وحده ، فصب قدحا من القهوة لنفسه وحمله الى المكتب ٠٠ وقال قبل ان يجلس :

« هل اقدم لك بعضا من القهوة ؟ »

فرفض هارترايت .. وضحك الكونت قائلا : « ماذا ؟ .. اتحسب انى سأدس لك السم ؟.. ان العقل الانجليزى لا بأس به ، لكن فيه نقطة ضعف خطيرة : هى انه دائما يحترس فى غير مواضع السوء »

ثم غمس ريشته فى الحبر وبدا يكتب بسرعة خارقة ، وبخط كبير ، تاركا مسافة عريضة بين السطور ، بحيث كان يفرغ من كل ورقة فيما لا يزيد عن دقيقتين من بدايته للصفحة .. وانقضت ساعة بعد ساعة ، وهارترايت جالس يرقبه بانتباه ، والكونت جالس يكتب ! .. ودقت الساعة الاولى .. فالثانية .. فالثالثة .. وفى الساعة الرابعة ، وضع الكونت توقيعه فى ذيل الاقرار ، ثم هب واقفا على قدميه وهو يهتف جذلا وعلى فمه ابتسامة الفوز :

– مرحى مرحى !.. لقد تمت مهمتى يا مستر هارترايت .. وانا راض عن عملى اعمق الرضى ..

وراح يرتب اوراقه ويراجعها ، ثم تلا الاعتراف على هارترايت .. وبعد ذلك قدم اليه خطاب سير برسيفال ، وكان مؤرخا فى هامبشاير يوم ٢٥ يوليو ، وفيه ذكر رحلة ليدى جلايد الى لندن فى يوم ٢٦ يوليو ! .. او بمعنى اخر كان ذلك الخطاب يثبت انه فى اليوم الذى اعلنت فيه شهادة الطبيب وفاة الليدى ، كانت هى على قيد الحياة فى بلاكووتر ، وفى اليوم التالى قامت برحلتها !

وبهذا الخطاب ، واقرار فوسكو ، اكتملت لهارترايت الادلة التى ارادها !

ونظر الكونت الى ساعته ، ثم قال : « الساعة الخامسة ، وقد آن لى ان انعم بقسط من النوم . اننى اشبه نابليون فى قدرتى على السيطرة على النوم وفقا لارادتى » .. ثم نادى زوجته ليطمئن الى أن هارترايت لن يبرح البيت أثناء نومه ..

وقال لها : « تولى تسلية مستر هارترايت يا ملاكى ! »

٠٠ ثم قدم لها مقعدا وتمدد هو على أريكة ٠٠ ولم تمض دقائق ثلاث حتى كان مستغرقا فى النعاس ، كأتقى الناس وأخلصهم ضميرا !

اما مدام فوسكو فتناولت كتابا من فوق المنضدة ، ثم جلست ونظرت الى هارترايت بحقد المراة التى لا تنسى ولا تصفح قط عن اساءة ! .. ثم قالت : « لقد اصغيت الى حديثك مع زوجى .. ولو كنت مكانه لالقيت بك على الارض صريعا ! »

ثم فتحت كتابها بعد هذه الكلمات ، ولم تنظر الى هارترايت أو تخاطبه ثانية ٠٠ حتى استيقظ زوجها فى الساعة السابعة ، ففتح عينيه ونهض عن الاريكة قائلا : « أحس بمنتهى الانتعاش والنشاط ٠٠ اليانور ، يازوجتى الطيبة ، هل أنت على استعداد؟ حسنا ٠٠ ان حزم متاعى القليل ينتهى فى عشر دقائق ، فخذى الفيران البيضاء الى الطابق العلوى يا ملاكى وضعيها فى قفصها المعد للسفر ٠٠ »

وبعد دقائق من مغادرة مدام فوسكو للحجرة ، دق جرس الباب وأقبل الوكيل ٠٠ وكان أجنبيا ذا لحية قاتمة ٠٠ فقال الكونت يقدم كلاهما الى الاخر : « مستر هارترايت ٠٠ مسيو روبل ! »

وبينما راح الكونت يهمس لوكيله ببعض التعليمات ، كتب هارترايت الى بيسكا يرجو منه تسليم رسالته المغلقة دون فضها الى الرسول ٠٠ ثم سلم الخطاب لمسيو روبل ، الذى انصرف على الفور

وفرغ الكونت من حزم متاعه ، ثم جلس يتأمل خريطة للسفر ، وينظر بين حين وآخر الى ساعته فى نفاد صبر ٠٠ دون أن يوجه كلمة أخرى الى هارترايت

وقبيل الساعة الثامنة بقليل عاد مسيو روبل يحمل رسالة

هارترايت المغلقة فى يده ، ففحص الكونت الظرف بدقة ثم أشعل شمعة وأحرق الرسالة ، وهو يقول : « انى أفى بوعدى »

وكان الوكيل قد ترك العربة التى عاد بها لدى الباب ٠٠ فانهمك مع الخدم فى نقل الامتعة اليها ٠٠ وهبطت مدام فوسكو السلم تحمل فى يدها قفص الفيران البيض ٠٠ واذذاك قادها زوجها الى العربة ، وتبعهما هارترايت الى باب البيت ٠٠ ولم يلبث الكونت أن عاد وحده من العربة وقال : « ستبقى هنا يامستر هارترايت مع وكيلى لنصف الساعة ٠٠ بقيت كلمة أخرى : عندما رأيت الآنسة هالكومب لآخر مرة كانت بادية الهزال والمرض ٠٠ فاعن بهذه المرأة الرائعة يا سيدى ! »

وكانت هذه آخر الكلمات التى نطق بها قبل أن يحشر جسمه الهائل فى العربة فتنطلق به ! ٠٠ بينما وقف هارترايت والوكيل أمام البيت يتبعانه ببصريهما ٠٠ فاذا بعربة أخرى تظهر وتتبع عربة الكونت ! ٠٠ واذ مرت بباب الدار أطل الشخص الذى فى داخلها من نافذتها ٠٠ وكان ذلك الغريب الذى رآه هارترايت فى دار الاوبرا ٠٠ الاجنبى النحيل ذا الندبة !

وحدث هارترايت نفسه : « ترى هل هو الآخر عضو فى « الاخوة » ؟ ٠٠ وهل عرف أن الكونت قد خان مبادىء الجمعية ٠٠ ؟ ٠٠ اذا كان الامر كذلك، فخير للكونت أن يطلق آماله فى الفرار ! »

بعد ثلاثة أيام ، انتشلت من نهر السين – فى باريس – جثة رجل مسن بدين كان يرتدى ثياب عامل فرنسى ٠٠ ولم يعثر على ما يرشد الى اسمه أو شخصيته ! ٠٠ وكان الجرح الذى قتله ناجما عن سكين اخترقت القلب ! ٠٠ وعلى ذراعه اليسرى وجد جرحان عميقان على شكل حرف «T» طمسا تماما الوشم الذى كان يرمز الى عضويته فى جمعية «الاخوة» السرية ٠٠ وحرف «T» هو الحرف الاول من كلمة «TRAITOR» الانجليزية – ومعناها «خائن !»

أما اليد التى قتلته ، فلم يكتشف أمرها !

٢٥ ـ الخاتمة

◆ **نحن** الآن فى قاعة الطعام الكبرى بقصر «ليمريدج» ـ بعد بضعة أيام ـ وكانت المائدة قد رفعت وصفت مكانها صفوف من المقاعد ، جلس عليها أهل القرية وفلاحو المناطق المجاورة ، الذين شيعوا جنازة ليدى جلايد منذ عام تقريبا ٠٠ وكانت النوافذ قد فتحت على مصاريعها ، وأطل منها ـ من الخارج ـ العمال وصبية المدرسة ٠٠ وفى أقصى القاعة جلس مستر فيرلى ، والى جانبه مستر جيلمور ٠ ووقف خلف مقعد مستر فيرلى خادم يحمل فى يده زجاجة «نوشادر» معدة للاستعمال ، وفى يده الاخرى منديلا أبيض مبللا بماء الكولونيا !

ونهض كل المجتمعين واقفين حين دخلت لورا القاعة يقودها هارترايت وماريان ٠٠ وأبدوا دهشة واهتماما لمرأى وجهها ، اذ زال عنه التغير الذى أحدثته الاحزان والآلام ، وعاد ثانية وجه لورا فيرلى التى عرفوها ٠٠

وشرع هارترايت يتكلم بصوت عال ، سمعه حتى أولئك الذين كانوا فى الحديقة ٠٠ قال : « أود أولا أن أسأل مستر فيرلى أن يحدثكم عما اذا كنت هنا الآن ، باذنه وموافقته ؟ »

وهنا أعطى مستر فيرلى احدى ذراعيه الى محاميه ، وذراعه الاخرى الى خادمه ٠٠ فساعداه على الوقوف على قدميه ، وقال : « اسمحوا لى أن أقدم لكم مستر هارترايت ٠٠ اننى كما تعرفون عاجز مقعد كعادتى ، وانه لمتفضل اذ يتكلم نيابة عنى ٠٠ فكيف كان لى أن أعرف ان ابنة أخى ما تزال على قيد الحياة ، وقد قيل لى انها ماتت ؟ ٠٠ لسوف يروى لكم مستر هارترايت القصة ٠٠ فرجائى اليكم أن تصغوا اليه ، وألا تحدثوا ضجيجا ! »

ثم غاص وئيدا فى مقعـــده ثانية ، ورفع المنديل المعطر الى أنفه ٠٠ وبدأ هارترايت يقول :

ـ لقد دعيتم الى هنا فى هذا الصباح كى تسمعونى أعلن أولا أن زوجتى ـ الجالسة الآن الى جوارى ـ هى ابنة المرحوم مستر فيليب فيرلى ٠٠ وثانيا ، كى أثبت لكم ان الجنازة التى اشتركتم فى تشييعها الى مقبرة ليمريدج كانت جنـازة امرأة أخرى ٠٠ وثالثا ، لأروى لكم باختصار كيف حدث ذلك كله !

ثم تلا عليهم وصفا واضحا للمؤامرة كان قد كتبه فى اليوم السابق ، وتحدث فيه عن الدافع المالى وحده ، وبذلك لم تكن ثمـة ضرورة لأن يذكـر سر سـير برسيفال جـلايد ٠٠ فلما انتقل من هذا الجزء ذكر سامعيه بتاريخ الوفاة المكتوب على رخام المقبرة ، وهو يوم ٢٥ يوليو ، وأثبت صحته بابراز شهادة الوفاة ٠٠ ثم تلا خطاب سير برسيفال جلايد المؤرخ فى ٢٥ يوليو ، معلنا اعتزام زوجته السفر من هامبشاير فى السادس والعشرين ! ٠٠ وأضافت ماريان روايتها عن لقائها لورا فى المصحة ، وعن فرار أختها ٠٠ ثم اختتم هارترايت القصـة قائلا : « لقد مات سير برسيفال فى شهر نوفمبر ، وتزوجت لورا فى شهر ابريل »

وأخيرا نهض مستر جيلمور فقال : « بوصفى محامى الاسرة ، أحب أن أقول ان قضية مستر هارترايت قد ثبتت بأوضح أدلة سمعتها فى حياتى ! »

ثم أحاط هارترايت لورا بذراعه ورفعها بحيث يراها كل شخص فى القاعة ٠٠ وصاح بالحاضرين وهو يخطو نحوهم بضع خطوات ويشـير الى زوجته : « هل ترون جميعا نفس هـذا الرأى ؟ »

وكان للسؤال مفعول التيار الكهربائى ٠٠ فنهض فى أقصى القاعة فلاح مسن ذو وجه صريح أسمر وشعر أغبر ، واعتلى

مقعده صائحا وهو يلوح بسوطه الثقيل فوق رأسه : « هاهى ذى ٠٠ هاهى ذى على قيد الحيـــاة وبخير ٠٠ فليباركها الله ٠٠ افصحوا عن شعوركم أيها الاخوان ٠٠ افصحوا عن شعوركم ! »

وكان الهتاف الذى رددوه على الاثر ، وكرروه المرة بعد المرة ، أعذب موسيقى سمعها هارترايت فى حياته ! لكن مستر فيرلى لم يشاركه هذا الرأى ، فقد أزعجه الضجيج بدرجة دعت الى حمله واخراجه من القاعة ! ـ واستمر فلاحو القرية وصبية المدرسة المجتمعون فى الحديقة يرددون الهتافات الصاخبة ٠٠ وتكأكأت زوجات الفلاحين حول لورا ورحن يتنافسن على السبق الى مصافحتها٠٠ورحن والدموع تنحدر على وجناتهن ، يسألنها أن تكون شجاعة فلا تبكى ٠٠ وغلب عليها التأثر تماما بحيث اضطر هارترايت الى أن ينتزعها من وسطهن ويحملها الى الباب٠٠ وهناك تركها فى رعاية ماريان ، التى لم تتخل عنهما قط !٠٠ ثم دعى الى الصمت وقال : « أشكركم جميعا ، باسم زوجتى وباسمى ٠٠ والآن أريدكم أن تتبعونى الى المقبـــرة ، وتروا العبارات الزائفة المنقوشة وهى تمحى عن رخامها ٠٠ »

وغادروا الدار ، وانضموا الى جموع القرويين التى كانت قد احتشدت فعلا حول القبر ، وكان فى انتظاره ناقش الاحجـار الذى كان هارترايت قد كلفه بالحضور ٠ ٠وفى غمرة السكون الذى لم يكن يسمع فيه تردد الانفاس ، رنت على الرخام أول طرقة على الازميل ولم يسمع صوت ما ، ولم يتحرك فرد ما ، حتى محيت تلك الكلمات الثلاث : « لورا ، ليدى جلايد » ٠٠! اذذاك سرت فى الجمع زفرة ارتياح ، وكأنما قد شعروا أن آخر أغلال المؤامرة قد حطمت من حول لورا نفسها ٠٠ وبدأ الناس ينصرفون فى بطء٠٠وحان العصر قبل أن تمحى جميع الكلمات المنقوشة ، وينقش فى مكانها سطر واحد : « آن كاثريك ، ٢٥ يوليو سنة ١٨٥٠ »

وتذكر هارترايت اليوم الذى قابل فيه آن كاثريك عند قبر السيدة فيرلى ٠٠ وتذكر يديها الكليلتين الهزيلتين وهما تربتان الحجر ، وكلماتها المهمومة لرفات صديقتها : « آه ، لو دفنت الى جوارك » ٠٠ لقد انقضى أكثر من عام مذ نبست بهذه الرغبة ، فما كان أروع تحققها ! ٠٠ والكلمات التى قالتها للورا على ضفاف البحيرة ٠٠ لقد غدت الكلمات بحذافيرها حقيقة ٠٠ « أواه ، ليتنى أدفن الى جوار أمك ! » ٠٠ خلال أية مسالك اجرامية قاتلة ، هامت المخلوقة الضائعة فى طريقها الى مقرها الاخير الذى لم تكن تأمل فى حياتها أن تبلغه !

وتحول هارترايت عن القبر ٠٠ لقد صار بوسعه الآن أن يروى لمسز كليمنتس القصة ، فلسوف يسعدها أن تعرف – على الاقل – أن آن قد استراحت ٠٠

وفى صباح اليوم التالى أخذ هارترايت زوجته وماريان عائدين الى لندن ٠٠ واذ اختفت عن نواظرهم تلال « كمبرلاند » عاد الشاب بذاكرته الى الصراع الرهيب الطويل الذى انتهى !٠٠ **كان غريبا أن يستعرض الماضى ، فيرى ان فقرهم كان السبيل غير المباشر لنجاحهم ، اذ أجبر هارترايت على أن يعمل بنفسه٠٠ ترى ماذا كان يمكن أن تكون النتيجة، لو كانوا على ثراء مكنهم من الحصول على معونة قانونية ؟ ٠٠ ان القانون ما كان ليتيح لهارترايت مقابلة السيدة كاثريك ٠٠ لا وما كان فى وسع القانون أن يجعل بيسكا وسيلة لانتزاع اعتراف من الكونت بجرائمه وآثامه !**

✻

◆ **انقضى** الصيف ، والخريف ٠٠ وكان هارترايت قد اتخذ بيتا فى لندن ، عاش فيه الزوجان معيشة بساطة وهدوء ، بحيث ان الدخل الذى أخذ يكسبه بانتظام ، كان كافيا لسد جميع حاجاتهما ٠٠

وكانت ماريان قد قبلت أن تشارك الزوجين حيـاتهما فى بيت واحد ، قائلة لهما : « بعد كل ما قاسيناه ـ ثلاثتنا معا ـ لن يكون هناك فراق بيننا ، حتى يحين الفراق الاخير ٠٠ ان قلبى وسعادتى مع لورا ومعك ياوولتر ٠٠ فانتظر قليلا حتى ترزقا أطفالا ترن أصواتهم الحلوة بجوار المدفأة ، فأتولى تعليمهم أن يتكلموا بلسانى ، ولسوف يكون الدرس الاول الذى يرددونه على أمهم وأبيهم : « لن نستطيع الاستغناء عن خالتنا ! »

وفى فبراير من العام التالى رزق الزوجان ابنهمـا الاول ، وكان ذكرا ! وحين بلغ وولتر الصغير شهره السادس أوفد هارترايت الى ايرلندا ، كى ينقل بعض المنـاظر لاحـدى الصحف ٠٠ وغاب زهاء أسبوعين ٠ فلما عاد ، أدهشه ألا يجد أحدا يستقبله فى البيت ، اذ كانت لورا وماريان والطفل قد غادروا البيت فى اليوم السابق !

وزادت من دهشته رسالة من زوجته سلمها اليه الخادم ، أنبأته فيها بأنهم رحلوا الى ليمريدج ـ دون ايضاح الاسباب!ـ وتضمنت رجاء بأن يلحق بهم بمجرد وصوله ، وألا يقلق أو ينزعج !

واستقل هارترايت أول قطار ، فبلغ ليمريدج فى عصـر اليوم نفسه ٠٠ وكانت زوجته وماريان فى الطابق العلوى ، فى مخدع لورا ، وكانت ماريان جالسة فى أحد المقاعد ، والطفل فى حجرها ٠٠ بينما وقفت لورا بجوار المنضدة ٠٠ فتسـاءل هارترايت :

ـ ماذا جاء بكم الى هنا بحق السماء ؟ ٠٠ هل يعلم مستر فيرلى أن ٠٠٠

فقطعت ماريان السؤال على شفتيه قائلة ان مستر فيرلى قد مات ٠٠ وأن مستر جيلمور محامى الاسرة قد أخطرهما بوفاته وأشار عليهما بالحضور فورا الى ليمريدج

واستطاع هارترايت أن يرى – فى ابهام – التغيير الكبير الذى قد يطرأ على حياتهم ٠٠ وقبل أن يتكلم نهضت ماريان وحملت الطفل ، وهو يضرب ذراعيهـــا بقدميه ، وقالت وقد ترقرقت فى عينيها دموع السعادة :

– أتعرف من هذا ، ياوولتر ؟

فأجابها الشاب :

– ان لحيرتى حدودا ، فما زلت أستطيع أن أعرف طفلى !

فهتفت فى مرح :

– طفل ؟ ! ٠٠ أهكذا تتكلم عن أحد سادة انجلترا ، ذوى الضياع ؟٠٠ ألا تعرف في حضرة من تقف ؟ وبالطبع لا ٠٠ دعنى اذن أقدم كلا منكما للآخر : « هذا مستر وولتر هارترايت٠٠ وهذا ٠٠ وارث ليمريدج وسيدها ! »



– تم الكتاب –



طبع هذا الغلا
بشركة فن الطباعة